# الاغتراب

## في شعر أحمد الصافي النجفي

رسالة تقدمت بها

**وفاء عبد الأمير هادي الصافي**

**الى مجلس كلية التربية للبنات في جامعة الكوفة**
**وهي جزء من متطلبات نيل درجة الماجستير**
**في اللغة العربية وآدابها**

بإشراف

الأستاذ الدكتور

**سعيد عدنان المحنة**

شعبان ١٤٢٦هـ    تشرين أول ٢٠٠٥م



بسم الله الرحمن الرحيم

# المقدمـة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على اشرف الانبياء والمرسلين محمد بن عبد الله وآله الطيبين الطاهرين، وبعد:

مما لا شك فيه ان الاغتراب يعد ظاهرة قديمة قدم الارض، لذلك كان رفيق الانسان الاول ... وصار المفهوم الذي يعول عليه في مناقشة قضاياه المختلفة.

فهناك من يجد في الاغتراب هربا من .. او بحثا عن .. او ارضاء لنزوع ذاتي، او لاسباب اخرى ترتبط بالانسان اضطرارا او اختيارا.

ان هذا الترابط العميق بين الانسان والاغتراب جعلني اتأمل فيه عبر مظاهره المتجلية في دارسيه وعبر مظاهره المعيشة من قبل شعرائه المغتربين ولا سيما الشاعر احمد الصافي النجفي.

ولكن هذا الاختيار لم يأت عبثا، بل كانت له اسبابه الخاصة التي ترجع الى ما وجدته من مظاهر الاغتراب الواضحة في حياة الشاعر وانعكاساتها المختلفة التي تبلورت في جل شعره فكانت دواوينه تجارب نفسية حقيقية عبر عنها بصدق وانفعال.

فالصافي إنسان غريب في كل شيء، غريب في صراحته، غريب في مزاجه وسلوكه، غريب في مأكله وملبسه، غريب في مسكنه، بل انه غريب حتى في جلسته، وعلى وفق هذا الاتجاه فقد قامت الرسالة على تمهيد وثلاثة فصول وخاتمة .

اتجهت الدراسة في التمهيد الى توضيح نشوء مصطلح الاغتراب وتطوره على ايدي جملة من الفلاسفة والمفكرين والادباء، واساليب التخلص منه كلا حسب رؤيته الخاصة، ثم الانتقال الى الحديث عن الفرق بين الغربة والاغتراب وسرد حجج الفريقين لاستخلاص النظرة الراجحة منها، ثم الرجوع الى الاغتراب مرة اخرى واسباب ظهوره في المجتمعات المختلفة، هذا فضلا عن علاقة تلك الظاهرة بالادب وما تفرزه من اعمال تعبر عن معاناة اصحابها وعدم انسجامهم النفسي والفكري مع الواقع الذي يعيشون فيه.

أما الفصل الاول فلقد تناول حياة الشاعر احمد الصافي النجفي تضمن الاسرة واصل نسبها، وهجرتها الى النجف من الحجاز، ثم الولادة والنشأة، ثم هجراته الى ايران عام ١٩١٨ وعام ١٩٢٠ واسبابها، ثم الى الشام مدة مكوثه و حياته هناك حتى رجوعه الى العراق بعد اصابته بالرصاصة الطائشة في الحرب الاهلية اللبنانية، هذا فضلا عن علاقة الشاعر بالمرأة والدين.

أما الفصل الثاني فلقد اوضح اهم موضوعات الاغتراب في شعر احمد الصافي التي توزعت على اربعة مباحث، و هي : البشر، الحيوانات، الامكنة، الازمنة حيث تطغى في جميعها الحالة النفسية للشاعر وما يعانيه من الاحزان والالام والقنوط والشعور بالتذمر والنفور والانزعاج وعدم التلاؤم والاخفاق في التكيف مع الاوضاع السائدة من حوله.

أما الفصل الثالث فقد جاء لدراسة الخصائص الفنية لموضوعات الاغتراب في شعر احمد الصافي باربعة مباحث، تناول المبحث الاول لغة الشعر وقد تضمنت الالفاظ والتراكيب فضلا عن المحسنات البديعية، وتناول المبحث الثاني الموسيقى التي انصبت على دراسة الاوزان والقوافي، بينما جاء المبحث الثالث بدراسة الصورة الفنية وما تميزت به من تجسيد وتشخيص فضلا عن الرمز الادبي، اما المبحث الرابع فقد درس البناء الفني لشعر الاغتراب وقد جاء على نمطين تضمن القصائد الشعرية الخالية من المقدمات والمقطعات.

وعرضت الخاتمة كشفا لنتائج البحث التي استخلصت من خلال هذه الدراسة المتواضعة.

وازعم اني اعتمدت في هذه الرسالة المنهج التحليلي الفني مركزة في ذلك على النص في الدرجة الاولى ـمع الاستعانةـ كلما دعت الحاجة الى اقاويل النقاد والدارسين في تحليل المواقف المختلفة للاغتراب وعلاقتها بالشاعر، بل وفهمها.

واذ اختم هذا التقديم الموجز لبحثي، لا يسعني الا ان اتوجه بالشكر الى الله تعالى الذي انعم علي بان وفقني الى ان اتم هذا العمل المتواضع بالصورة التي هو عليها الان، وارجو ان ينال الرضا والاستحسان، واعتذر عن كل نواحي النقص والتقصير التي لا يخلو منها اي انسان فالكمال لله وحده.

كما اتوجه بالشكر الجزيل الى اليد الخبيرة التي كانت وراء البحث الا وهي يد الاستاذ الدكتور سعيد عدنان المحنة الذي غمرني بالرعاية وحسن التوجيه الذي انار لي طريق البحث بقراءته المتعمقة ونظرته الفاحصة وارائه القيمة التي اوصلت البحث الى ما هو عليه الان داعية من الله العلي القدير ان ينعم عليه بالصحة والعافية ودوام التوفيق فجزاه الله عني خير جزاء المحسنين.

كما اتوجه بخالص الشكر والامتنان الى الاهل والاصدقاء الذين كان لهم من فضل لا ينكر في مد يد العون والحث على الصبر والتأني في مواصلة طريق البحث ولا سيما والدي الذي اولاني من العناية والدعم لطلب الحقيقة كما اخص بالشكر اعمامي المرحوم الدكتور علي الصافي والسيد فاتك الصافي والسيد محمود الصافي لما اولوني من العناية والاهتمام والرفد بالمعلومات والمصادر التي افادت البحث.

فما على الانسان الا ما سعى وما التوفيق الا من عند الله.



# التمهيد

## الاغتراب والادب

## الاغتراب في اللغة والاصطلاح :

ترد مادة (غَـرَب) في المعجمات العربية للدلالة على البعـد، فجاء ((الغَرْب والغَرْبة: الذهاب والتنحي والنوى، والغُرْب والغُرْبة: النزوح عن الوطن وكذلك الاغتراب والتغرب. والتغريب : النفي عن البلد، والغريب: البعيد عن الوطن، والجمع : غرباء ومؤنثه : غريبة))[1].

وقيل: (( لكل متباعد غريب و لكل شيء فيما بين جنسه عديم النظير غريب... والغراب سمي لكونه مبعدا في الذهاب... وسمي الدلو غَرْبا لتصور بعدها في البئر... والغَرْب الذهب لكونه غريبا فيما بين الجواهر الارضية))[2].

وكذلك جاءت مادة (غَرَب) للدلالة على التزوج من الغرائب، فتقول: ((اغترب الرجل: نكح في الغرائب وتزوج الى غير اقاربه، وجاء في الحديث (( اغتربوا ولا تضووا )) ))[3].

أما في اللغات الاجنبية فقد اشتقت كلمة ( Alienation ) في الانكليزية و( Aliénation ) في الفرنسية للدلالة على الاغتراب من الكلمة اللاتينية ( Alienatio ) وهو اسم يستمد معناه من الفعل اللاتيني (Alienare) بمعنى ينقل او يسلم او يبعد، وهو مأخوذ من ( Alienus ) بمعنى الانتماء الى الاخر وهي مشتقة من كلمة (Alius) بمعنى الاخر او اخر[4].

وعلى هذا فان المعنى اللغوي للاغتراب في اللغة العربية واللغات الاجنبية حمل معنى (البعد).

وفضلا عما تقدم فان مفهوم الاغتراب كان وما يزال مشكلة يكتنفها الغموض لتعدد معانيها ودلالاتها، فهو يدخل في كافة مجالات الحياة ويرتبط بالمشاعر الانسانية كالقلق والخوف والضياع، لذلك حاول الباحثون وضع بعض الدلالات لهذا المفهوم.

### ١- العجز Powerlessness

ان الفرد يشعر بان مصيره ليس تحت سيطرته وانما يتقرر بوساطة عوامل خارجية كالقدر، او الحظ، او نظام المؤسسات المتبعة في المجتمع الذي يعيش فيه ذلك الفرد.

### ٢- فقدان الهدفية Meaning lessness

هو احساس الفرد بالضعف في الادراك او فقدان الهدف في الحياة، من مثل: عدم فهم شؤون العالم او العلاقات الانسانية المتداخلة او احساسه بعدم جدوى الغرض في هذه الحياة.

### ٣- فقدان المعايير Norm lessness

هو الشعور بالنقص في الاسهام في العوامل الاجتماعية المحددة للسلوك البشري، لذلك يحدث انحراف واسع وعدم الثقة والتنافر الفردي غير المحدد وما اشبه.

### ٤- التنافر الثقافي Cultural Estrangement

هو الاحساس بالانفصال عن القيم التي تحكم المجتمع والعادات والتقاليد الاجتماعية السائدة، من مثل: تمرد الطلبة على المؤسسات التقليدية.

### ٥- العزلة الاجتماعية Social Isolation

وهي احساس الفرد بالوحدة والشعور بالعزلة والانفصال عن العلاقات الاجتماعية، من مثل: الانفصال الذي يحدث بين اوساط الاقليات.

### ٦- الاغتراب الذاتي Self Enstrangement

ويعد من اصعب الانواع السابقة وفيه يشعر الفرد بانه خارج سيطرة نفسه او انه بعيد عن ذاته[5].

---

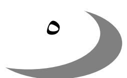
(1 ) كتاب العين : الفراهيدي :٤:٤١٠، لسان العرب : ابن منظور :١: ٦٣٨، تاج العروس : الزبيدي :٣: ٤٥٧ - ٤٦٠ ، تهذيب اللغة : الازهري : ٨ : ١١٣.

(2 ) معجم مفردات الفاظ القران : الراغب الاصفهاني : ٤٠١ - ٤٠٢.

(3) لسان العرب : ١:٦٣٩، الصحاح : الجوهري :١:١٩١، تاج العروس :٣:٤٧٤، القاموس المحيط : االفيروز آبادي :١:٢٦٤.

(4) ينظر : الاغتراب سيرة ومصطلح : د . محمود رجب : ١ : ٣٣- ٣٤.

(5)The New Encyclopadia Britannica , Vol , 1,P. 574.



# نشوء الاغتراب:

لقد ارتبط الاغتراب بالانسان منذ نشوء الخليقة في قصة آدم والثمرة المحرمة وخروجه من الجنة، ومواجهته للحياة على الارض القائمة على الصراع بين الروح والجسد، وما جاء في الفكر اليوناني القديم الذي عبرت عنه حالة (الجذب) الذي يسلم فيه الانسان جسمه للشعائر الدينية، وفيما جاءت به اشعار هوميروس في (الالياذة والاوديسا) التي بينت اغتراب الانسان وضعفه امام الطبيعة[١]، وكذلك ما تحدث به افلاطون عن عالم المثل وحياة الانسان في هذا الوجود، وهو وجود طارئ وجد فيه الانسان دون ارادته، وبات يعيش ارضية ناقصة، زاده فيها ما يتذكره من ذلك العالم الازلي وهذا الانعكاس لتلك الحقيقة[٢]، وهو بذلك فصل الوجود عن الفكر.

في حين وجد عند ديكارت (١٥٩٦ ـ ١٦٥٠م) يعني (اغتراب الانا عن ذاته) او ما تعيشه الذات في ((الانا افكر اذن انا موجود))[٣] من انفصال لترتفع في عملية التفكير من الوجود الى الجوهر، او بمعنى اخر فان هذه النقطة هي حجر لزاوية ((الانطلاق لليقين.. الذي حاول ان يخرج به من التصور الى الوجود، و من الذاتية الى الموضوعية، بل وحاول ان يثبت عن طريق تلك الحقيقة الذات والموضوع معا)) [٤].

وقد جاء هذا المفهوم نتيجة لما عاناه ديكارت في حياته من اغتراب في وطنه وعن وطنه وفي عزلة تامة متخفيا حتى وصلت به الحال الى اخفاء مقر اقامته عن اقاربه واصدقائه[٥]، فان ((حب العزلة وارادة الغربة من سمات شخصيته))[٦] .

اما في العصور الحديثة فقد عرف الاغتراب على يد اصحاب نظرية (العقد الاجتماعي) التي ترى ((ان المجتمع قد تكون نتيجة تخلي الافراد وتنازلهم على نحو طوعي واختياري عما يمتلكون من حقوق طبيعية))[٧]، وهذا التنازل ما هو الا تعبير عن فكرة كان كل من توماس هو بز (١٥٨٨ــ ١٦٧٩م) وجون لوك (١٦٣٢ــ ١٧٠٤م) قد تناولاها دون ان يطلقا عليها اسم الاغتراب، اما روسو (١٧١٢ــ ١٧٧٨م) فقد اطلق على تلك الفكرة كلمة ((الاغتراب))[٨]، ويعني بها ((التسليم او البيع... فالانسان الذي يجعل من نفسه عبدا لاخر، انسان لا يسلم نفسه، وانما هو بالاحرى يبيع نفسه من اجل بقائه على الاقل))[٩]، فروسو ينظر الى الاغتراب في تعريفه هذا من جهتين: الاولى ايجابية حين يسلم الانسان ذاته الى المجتمع ويضحي بها في سبيل الوصول الى هدف نبيل يخدم فيه الاخرين، وهو اغتراب ضروري، والثانية سلبية حين ينظر الانسان الى ذاته على انها سلعة يضطر الى بيعها في سوق الحياة، وهو اغتراب غير مقبول.

وهو يعطي حلا لهذا الاغتراب في ان الانسان فيه الظاهر والباطن والحياة الباطنية لا يراها الا الله فهي محجوبة عن الاخرين[١٠]، ولا يتم قهر هذا الاغتراب الا عن طريق الاعتراف امام الاخرين وبهذا يستطيع ان يكون واحدا مع نفسه ومع الاخرين[١١] .

ان روسو قد عاش غريبا بين البشر لعدم رضوخه للقوانين السياسية والاجتماعية والفكرية، مما جعله يتمرد ويرفض كل تلك القوانين وينطوي على ذاته، الا ان هذه العزلة والتمرد لم تؤد به الى ان يكره البشر، بل انه احبهم وذلك من خلال تأملاته في ذاته البشرية، وبحثه عن كوامن النفس الانسانية[١٢]، فالفرد الذي يكون اكثر انسانية يجب ان يعاني من هذا الاغتراب.

ولقد اتبع هيجل (١٧٧٠- ١٨٣١م) روسو في معنى الاغتراب الذي تحول لديه من ((مجرد اشكال يعانيه الانسان في عصور الازمة والقلق او مجرد فكرة توثق في اذهان بعض المفكرين او كلمة ترد في هذا المؤلف او

---

(1 ) ينظر : مجلة عالم الفكر : ١٩٧٩ : مج ١٠ : ع١ : الاغتراب في الذات : د. حبيب الشاروني :٦٩ .
(2 ) ينظر : الاغتراب في الفن : د . عبد الكريم هلال :١٤.
(3 ) مجلة عالم الفكر : ١٩٧٩ : مج١٠ : ع١ : الاغتراب في الذات : د. حبيب الشاروني : ٧٠ .
(4 ) فلسفتنا : محمد باقر الصدر :٩٩ .
(5 ) ينظر: مجلة عالم الفكر : مج١٠ : ع١ : الاغتراب في الذات : د. حبيب الشاروني :٨٢.
(6 ) م . ن
(7 ) الاغتراب سيرة ومصطلح : ١ : ٢١ .
(8 ) م . ن : ١ : ١٣ .
(9 ) العقد الاجتماعي : جان جاك روسو ، ترجمة : عادل زعيتر: ٤٥.
(10 ) ينظر: الاغتراب سيرة ومصطلح : ١ : ٦٠- ٦١ .
(11 ) ينظر: م . ن : ١ : ٦١.
(12 ) ينظر: مجلة الثقافة : ١٩٨٣ : ع٤ : الاغتراب في الفكر الماركسي : د . شاكر نوري : ٥٧.

ذاك... تحول الى (( مصطلح)) فني و((مفهوم)) دقيق يطلق عن قصد مقصود ، ومن هنا كان النظر الى هيجل، من جانب الباحثين ، على انه (( ابو الاغتراب)))[١] ، فهو ينظر اليه بما يتعلق بالانسان على انه واقعة روحية فهو ((الذي يعرف ذاته على انها عالمة ، وهو يعرف وعي عالمه بذاته))[٢] ، وعلى هذا فطبيعة الانسان مزدوجة تتمثل بالفردية والكلية (البنية الاجتماعية) وهو ينظر اليها باعتبارها موضع العقل الانساني فعلاقة الانسان بتلك البنية ((علاقة موحدة كاملة فورية))[٣] ، ولكن قد يغترب الانسان عنها وتغدو العلاقة بينهما علاقة تنافر فينظر الفرد اليها باعتبارها شيئا غريبا وخارجا عنه، يقول هيجل :((ان مثل هذا الانسان الخاضع للقوانين تفرض عليه من الخارج انسان مغترب عن ذاته، وهو بهذا الاغتراب ... يتوقف عن كونه انسانا))[٤]، وقد تؤدي به تلك القوانين الى ان(( يغترب بذلك نفسه عن طبيعته الجوهرية ويصل الى اقصى قمم التطرف في التنافر مع ذاته))[٥].

ولا يتم قهرهذا الاغتراب الا من خلال التخلي او التسليم، وبهذه الطريقة تزال الهوة التي تفصل بين الفرد وبين البنية الاجتماعية، فان (( قوة الفرد تتمثل في جعل نفسه متوافقة مع تلك البنية اي في تنازله عن ذاته))[٦].

ويأتي لودفيج فيورباخ ( ١٨٠٤ ــ ١٨٧٢م) احد تلاميذ هيجل الشبان بمنظار جديد في رؤيته للاغتراب حيث عد الاغتراب الديني اساسا لكل اغتراب[٧] سواء اكان سياسيا ام اجتماعيا ام فكريا ام نفسيا، فمهمة الدين عنده ((هي تحويل اللاوعي الى وعي...[و]الكشف عن ماهية الانسان و تحويل هذه الماهية الخارجية الى ماهية الانسان الحقيقية))[٨] هدفه في ذلك هو ان يكون ((الانسان الحقيقي واعيا بذاته، ووعيه بذاته، وذاته بوعيه، في وحدته الداخلية))[٩] ، فان لم يؤد هذا فهو دين يقوم على الخرافة، محاولا في ذلك ابعاد الانسان عن واقعه وجعله غريبا عن مجتمعه وعن الاخرين، لانه ((انقلاب الانا الى الاخر))[١٠] .

اما قهر هذا الاغتراب فيتم عن طريق تحريره من الدين في عودة الانسان الى نفسه، ورفض اي تخارج لذاته حتى لا تضعف ويتولد الاخر[١١]، وبالرجوع الى الجوهر الانساني .

ويتأثر ماركس (١٨١٨ـ ١٨٨٣م) بكل ما جاء به هيجل وفيورباخ، ولكنه ذهب الى غير ما ذهبا اليه، فهو يرى ان الواقع السياسي والاجتماعي والاقتصادي هو مصدر اغتراب الحياة الواقعية للانسان من خلال انفصاله عن العملية الانتاجية، فالعمل هو جوهر الانسان وهو تعبير عن شخصيته واهتماماته، وعندما يوضع تحت قوى موجهة من قبل فئة محددة فسوف يؤدي ذلك الى الانفصال، والعامل لا يقوم بعمله الا تحت وطأة اشباع الحاجات العضوية المباشرة[١٢] ، وهذا الاغتراب في العمل هو ((الارضية المشتركة لكل اشكال الاغتراب الاخرى))[١٣]، وبالتالي فانه سيقود الى ان يغترب الانسان عن ناتجه الذي يصبح (( قوة مستقلة تعارضه وتقف بازائه كقوة غريبة معادية))[١٤] ، لان ((عمل الانسان هو حياته وان انتاجه هو حياته))[١٥]، وهو تموضع تتجسد فيه الانا، فاذا ما حدث اي استلاب فان ((البشر يغربون واحدهم عن الاخر و ان كل واحد منهم يغرب عن الماهية الانسانية))[١٦] .

---

(1 ) الاغتراب سيرة ومصطلح : ١ : ١٥.

(2) Phaenomenologie des Geistes . S . 313. نقلا عن الاغتراب سيرة و مصطلح : ١٧١:١.

(3 ) الاغتراب : ريتشاردز شاخت ، ترجمة: كامل يوسف حسين : ٩٨ .

(4) Cf. Peperzak , A. Lejeune Hegel at la vision morale da monde , La Hage, Nijho ff, 1960. 190 . نقلاعن الاغتراب سيرة و مصطلح : ١: ١٣١.

(5) الاغتراب :١٠١.

(6) م . ن : ١١١ .

(7) ينظر : مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠: ع١: جالاغتراب الديني عند فيورباخ : د. حسن حنفي :٤٤.

(8) مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: ندوة حول مشكلة الاغتراب : مجموعة من الباحثين : ١٣١.

(9) مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: الاغتراب الديني عند فيورباخ : د. حسن حنفي :٥١.

(10) م . ن : ٤٤.

(11) ينظر : مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: ندوة حول مشكلة الاغتراب : مجموعة من الباحثين :١١٧.

(12) ينظر : الاغتراب :١٥٠.

(13) الاغتراب و ازمة النسان المعاصر : د. نبيل رمزي : ١٨٥.

(14) مخطوطات١٨٤٤، الاقتصاد السياسي والفلسفة : كارل ماركس ، ترجمة : الياس مرقص :١٧٢.

(15) الاغتراب :١٥٨.

(16) الاغتراب في الشعر العباسي : د. سميرة سلامي : ٤١.

وبما ان ماركس يرى ان ((الانسانية لا تكون حقا ما لم تكن اجتماعية))[١] فان اي اغتراب عن الاخرين سوف يؤدي الى ان ينفصل عن اجتماعيته الجوهرية، وبهذا يغترب عن ذاته.

ولا يتم قهر هذا الاغتراب الا عن طريق(( الانفصال من خلال التسليم ))[٢] ، وهو سيطرة الانسان على عمله ومنتجه فهي ((لا تظهرالا كوسيلة لتلبية حاجة، حاجة لحفظ النوع الطبيعي ))[٣].

بينما تأتي الوجودية في سعيها لان (( تضع الانسان بوجه حقيقته، وان تحمله بالتالي المسؤولية الكاملة لوجوده))[٤]، فالاغتراب يرتبط لديها بالحرية الفردية التي هي (معنى الحياة) لذلك فهو يعد في نظرها ((ضرب من ضروب الوجود الزائف))[٥] ، وهي ظاهرة ابدية مطلقة مادام هذا الوجود محكوما عليه بالموت والعدم والزوال .

وهي تضع قانونا ترى بموجبه ان ((العلاقة التي تربط الانسان بالعالم هي في صميمها فعل وعاطفة قبل ان تكون فكرا او سلوكا))[٦] ، يقول كيركجور ( ١٨١٣ ــ١٨٥٥م) (ابو الوجودية) : ((حقيقة ... نفسي انا، ان اجد الفكرة التي من اجلها احيا واموت))[٧] ، فهذه الحياة في نظره ونظر الوجوديين الاخرين تتسم باللامعنى والعبثية وفقدان الهدف، ويقول سارتر: (( ولكن لاني اختار نفسي كانتزاع من الغير فاني اقر بان هذا الانا المستلب هو اناي ))[٨] ، فالوجود الحقيقي الذي يهدفون اليه ((هو الذي لا تقرره علاقات المرء بالاخرين وانما تحدده قرارات المرء وخياراته))[٩] .

اما التخلص من هذا الاغتراب فلا يمكن ان يتم الا عن طريق قهره بالحرية والتي لا تكشف عن حقيقتها الا من خلال القضاء عليه .

اما علماء النفس فقد حاولوا من خلال تناولهم لمصطلح الاغتراب ان يعطوا مفهوما واضحا للذات والاخرين، ومنهم : اريك فروم (١٩٠٠- ١٩٨٠م) الذي رأى ان الاغتراب يرد من ((زاوية تكوين الشخصية))[١٠] ، فالشخصية عنده تتكون من عدة معايير، وهي كون المرء (( متمتعا بهوية فريدة وغير قابلة للتكرار وكونه مبدعا في عمله))[١١] ، فالانسان في نظره يرى الطبيعة والاشياء والاخرين وحتى نفسه قد اصبح غريبا عنه، وهو يسعى من اجل السيطرة على الطبيعة والاشياء، واعتبارالاخرين وسائل لتحقيق غاياته التي يصبو اليها[١٢]، وبالتالي فانه سوف يشعر ان هناك اختلافا بين الانا والنحن وبين الظاهر والجوهر.

ويمكن قهر هذا الاغتراب من خلال التغييرات التي تحدث في كافة جوانب الحياة المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية[١٣] ، فـ ((ان الهدف من الحياة هو السعادة))[١٤] في تحقيق اقصى متعة واشباع كل رغبة او حاجة ذاتية، فالانسان يهدف من خلال اغترابه الوصول الى((الحرية المطلقة))[١٥].

ومن كل ما تقدم يمكن تعريف الاغتراب بانه((حالة نفسية اجتماعية تسيطر على الفرد فتجعله غريبا بعيدا عن واقعه الاجتماعي))[١٦] .

---

(1) الاغتراب :١٦١.
(2) م . ن :١٤٠.
(3) الاغتراب في الشعر العباسي :٣٩.
(4) الوجودية مذهب انساني : جان بول سارتر :٤٦.
(5) الاغتراب سيرة و مصطلح :٢٠:١.
(6) الادب الاوربي : د. حسام الخطيب :٢٦٢.
(7) دراسات في الفلسفة الوجودية : عبد الرحمن بدوي :٢٠.
(8) الوجود والعدم : جان بول سارتر ، ترجمة : عبد الرحمن بدوي :٥٩.
(9) الاغتراب :٢٦٣.
(10) مجلة عالم الفكر : ١٩٧٩: مج١٠:ع١: الاغتراب اصطلاحا و مفهوما و واقعا : د. قيس النوري :١٨.
(11) الاغتراب :١٩٣.
(12) ينظر : م . ن :١٧٥.
(13) م . ن :١٨٦.
(14) الانسان بين المظهر و الجوهر : اريك فروم ، ترجمة : سعد زهران :٢١.
(15) الانسان و الاغتراب : مجاهد عبد المنعم مجاهد : ١٠٢.
(16) عصر البنيوية :اديث كرزويل ، ترجمة : د. جابر عصفور :٢٦٤.

## فرق ما بين الغربة و الاغتراب :

يرى د . فتح الله خليف ان ((المعنى اللغوي والمعنى الاصطلاحي واحد : [فـ] الغربة والاغتراب كلها في اللغة بمعنى واحد هو الذهاب والتنحي عن الناس وكذلك المعنى الاصطلاحي))(١)، ويقول محمد راضي جعفر ((لا يختلف المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي لكلتا المفردتين ... [فـ] الغربة والاغتراب يعني التنحي والنوى والنزوح ))(٢) .

ويستندان فيما يذهبان اليه الى ان شيخ الاسلام الهروي الانصاري(٣٩٦ ـ٤٨١هـ) يضع الغربة والاغتراب في((مستوى واحد))(٣)، فبعد ان يعرف الاغتراب بانه (( امر يشار به الى الانفراد عن الاكفاء)) يرى انه على ((ثلاث درجات)) وهي :((الغربة عن الاوطان)) و((غربة الحال)) و((غربة الهمة))(٤) .

ويبدو ان الباحثين لم ينتبها الى ما قصده الشيخ الهروي من ان الغربة هي جزء من الاغتراب في تقسيمه للاغتراب على ثلاث درجات وهي ......

ويذهب شاخت ايضا الى ان ((الغربة بين البشر))(٥) هي معنى من معاني الاغتراب، ويعد د . محمود رجب الاغتراب الاجتماعي بمعنى ((الغربة)) نوعا من انواع الاغتراب المختلفة(٦)، ويقول د . شاكر نوري ان ((الغربة تعني الشعور بالابتعاد المكاني عن الوطن اي الاحساس بالغربة بسبب المسافة التي تفصل الانسان عن مجتمعه ومعارفه وعالمه، اما الاغتراب فيختلف اختلافا جوهريا، اذ انه يعني فقدان القيم والمثل الانسانية والخضوع لواقع اجتماعي يتحكم في الانسان ويستعبده))(٧)، ويذهب عبده بدوي الى ان ((الغربة بمعنى مغادرة الوطن طوعا وكرها، وتكون في الغالب لاسباب سياسية اواقتصادية او ثقافية))(٨)، وهي ((بعيدة عن مفهوم الاغتراب))(٩) .

فالاغتراب وفق هذا المفهوم يكون اكثر تعقيدا من الغربة، فالانسان قد يشعر بالاغتراب وهو ما بين اهله ومجتمعه، يقول ابو حيان التوحيدي (٣١٠ ـ٤١٤هـ): (( واغرب الغرباء من صار غريبا في وطنه))(١٠) .

وعلى هذا الاساس يمكن القول بان الاغتراب(( ليس مجرد حالة مرتبطة بمجتمع معين او تنظيم اجتماعي اقتصادي بالذات، وانما هي( ظاهرة) يمكن ان ترصدها و تدرسها في كل انماط الحياة الاجتماعية وان كانت تظهر بغير شك نتيجة لتوافر شروط وظروف معينة. كما ان (شدة) هذه الظاهرة ومدى شيوعها تختلف باختلاف هذه الثقافات والاوضاع الاجتماعية))(١١) .

## اسباب الاغتراب :

ان لبروز ظاهرة الاغتراب في المجتمعات المختلفة دواع شتى ادت الى ظهورها بصور مختلفة وحالات متعددة، وهي :

١ـ **الجمود الديني** : ان معظم الباحثين يرجعون الاغتراب الى ان ((اساسه كان دينيا))(١٢)، فدلالات هذا المصطلح تعود الى ما جاء في الديانات السماوية (اليهودية والمسيحية والاسلامية) عندما يختلف الانسان عن جوهره، ومن ذلك قصة آدم وانتقاله الى الارض، فبعد بذلك في حياته الدنيوية من حقيقته الكبرى،

---

(1) مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: ندوة حول مشكلة الاغتراب : مجموعة من الباحثين :١١٤.
(2) الغربة والاغتراب في الشعر العراقي المعاصر : محمد راضي جعفر :١.
(3) م . ن
(4) منازل السائرين :عبد الله الانصاري ، تحقيق :الاب سي دي لوجييه :٨٨.
(5) الاغتراب :٦٥.
(6) ينظر : مجلة الفكر المعاصر :١٩٦٥:ع٥:الاغتراب انواع : د. محمود رجب :٢٣.
(7) مجلة الثقافة :١٩٨٣:ع٤: الاغتراب في الفكر الماركسي : د. شاكر نوري :٥٥.
(8) مجلة عالم الفكر :١٩٨٤: مج١٥:ع١: الغربة المكانية في الشعر العربي : عبده بدوي :١٣.
(9) م . ن
(10) الاشارات الالهية : ابو حيان التوحيدي ، تحقيق : عبد الرحمن بدوي :٨١:١.
(11) مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: الاغتراب : د. احمد العدواني :٥.
(12) الاغتراب في الفن :١٤٢.

وذلك بسبب انفصاله عن الله، ومنها ايضا ان المجتمعات الغربية جعلت من الكنيسة سلطة تحكم الناس لكنها تحولت بالتدرج الى سلطة جائرة (( تكبت حرية الافراد في التفكير))[(١)] ، وهذا ما يؤدي الى ان ينفصل الانسان عن ذاته فجعلته يشعر بالاغتراب .

٢- **الاستبداد السياسي** : ان تنازل الافراد عن بعض حقوقهم للنظام السائد في مجتمعاتهم قد يؤدي الى ان تكون تلك الانظمة والحكومات مستبدة، فيجب على تلك الانظمة و الحكومات السائدة ان تتخذ مبدأ المشاركة في صنع القرارات لاجراء اي تغير في مجتمعاتهم، فان اتباعهم بكل ذلك الاستبداد والتسلط يؤدي الى حالة من فقدان الحرية والعدالة ينتاب الافراد من خلالها حالة من عدم الرضا والتمرد والدعوة الى تغيير النظام السياسي السائد واستبداله بنظام اخر، وهذا الخنق يؤدي الى الشعور بالا نفراد تمردا او رفضا او عزلة او هجرة وابتعادا مكانيا وزمانيا[(٢)] .

٣- **الظلم الاقتصادي** : يرد بعض الفلاسفة الى ان مصدر الاغتراب هو العامل الاقتصادي[(٣)]، فالمجتمع الذي لا يلبي حاجات الانسان الضرورية سيؤدي الى الشعور بحالة من الاضطراب والخوف والقلق، ويشتد هذا الاغتراب في المجتمعات التي تكثر فيها سيادة طبقة على طبقات اخرى .

٤- **القهر الاجتماعي** : يشعر الانسان في بعض الاحيان ان المجتمع الذي يعيش فيه لا تربطه به اي صلة ولا سيما مع اهله واقاربه، وهو بهذا يبتعد عنهم ليؤد به هذا الشعور الى خيبة الامل في ادراك كل القيم والتقاليد السائدة في مجتمعه، وبالتالي فان هذا الانفصال يؤدي به الى الشعور بالوحدة وانعدام علاقات المحبة والتعامل مع الاخرين، بل انه ينكر كل تلك القيم والاهداف التي يسعى افراد المجتمع في الوصول اليها لانها لا تشكل اية قيمة لديه، و هذا الاغتراب عن قيم المجتمع يسبب انعدام التفاعل الفكري والعاطفي كما في اغتراب بعض المثقفين عن مجتمعاتهم[(٤)] .

٥- **الحالة النفسية** : يعاني الفرد من الاضطراب النفسي نتيجة للوضع الاجتماعي الذي يعيش فيه فيشعر بالعجز والوحشة والضياع والتمزق الداخلي، وهذا بالتالي يؤدي الى ((انعدام الصلة بين الفرد وبين جزء حيوي عميق في نفسه او ذاته))[(٥)] ، وهذا بالتالي يؤدي الى شعوره بالاغتراب عن المجتمع الذي يعيش فيه، يقوده الى الفناء الذي يستغرق اهتمامه كالمتصوف فيبلغ مقام الفناء في الله او الى فقدان السيطرة على نفسه وعلى افعاله كالمجنون[(٦)]، وهذا الشعور يختلف من انسان لاخر تبعا لمكونات شخصيته.

## علاقة الاغتراب بالادب :

لابد للاغتراب الذي وجد ميدانا واسعا له في مجالات الحياة المختلفة وجاء نتيجة لاسباب يشعر بها الانسان اتجاه الواقع والمجتمع ان ينفذ الى الادب، فان للاغتراب التأثير الكبير في الادب وفي تكوين نفسية الاديب، لان ((النفس تصنع الادب وكذلك الادب يصنع النفس والنفس تجمع الاطراف لكي تصنع الادب))[(٧)]، لذلك فالاديب يعيش صراعا داخليا بين ما يشاهده على الواقع وبين ما يريد تحقيقه فيه، فهو يبحث ((شعوريا او لا شعوريا نحو غيرالمألوف))[(٨)] من اجل اثبات ذاته مقابل الوجود الذي يعيشه، فـ((الذات توضع عادة مقابل الوجود بدل ان تكون هي والوجود شيئا واحدا))[(٩)]، وبهذا فهو يحمل شعار((اني انا نفسي بوحدي))[(١٠)] .

---

(1) الاغتراب سيرة و مصطلح :١٣١:١.
(2) ينظر : مجلة المجمع العلمي :٢٠٠٢: مج٤٩:ج٢: الاغتراب في الفكر العالمي و التراث الاسلامي : د. مسارع حسن الراوي:٧٤.
(3) ينظر : الاغتراب سيرة و مصطلح :١٩:١.
(4) ينظر : مجلة عالم الفكر : مج١٠:ع١: الاغتراب اصطلاحا و مفهوما و واقعا : د. قيس النوري :٣١.
(5) م . ن
(6) ينظر : الاغتراب سيرة و مصطلح : ٣٨:١.
(7) التفسير النفسي للادب : د. عز الدين اسماعيل :١٣.
(8) سيكلوجية الابداع في الفن و الادب : يوسف ميخائيل اسعد :١٠٢.
(9) العزلة و المجتمع : نيقولاي برديائف ، ترجمة : فؤاد كامل :٥٢.
(10) شكسبير و الانسان المستوحد : جانيت ديلون ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا :١١.

ان الانسان ـ بوجه عام ـ لا يستطيع ان يحقق تلك الحرية الا في ظل الحرية، فلكل انسان استعداداتــه و قدراته الخاصة التي يتفرد بها عن غيره، وهذه القدرات تساعده على الخلق والابداع وكل ذلك متوقف على مقدار حريته[(١)] .

اما اذا احس الانسان بفقدان تلك الحرية باعتباره عنصرا مندمجا مع المجتمع من دون النظر الى سمات شخصيته سيؤدي به الى الاغتراب وعليه فان اي غبن او حرمان او خوف يشعر به اتجاه الواقع الذي يعيش فيه بشكل سلبي يعبر عنه بطريقته الخاصة ورؤياه الذاتية التي ترصد وتحلل الاحداث والعلاقات والتجارب في الماضي والحاضر والمستقبل .

لقد عرف الاغتراب في القديم كفكرة ارتبطت بالغربة في الدلالة على البعد وفراق الاهل والاحبة والاوطان، لذلك جاءت الاعمال الادبية حديثا عن الاطلال في(( ترجيع لماضيهم، وتجديد لاحاسيسهم وتصوير للحياة العاطفية وذكرياتهم))[(٢)]، فظاهرة الفقد او الغياب (( ليست ظاهرة عابرة، انما هي الحياة))[(٣)]، فالزمن قد تغيير والمكان قد تبدل فلا سبيل الى الرجوع اليه، وكذلك جاءت الفكرة تغييرا لكل القيم والعقائد والتقاليد البالية التي كانت تسود مجتمعاتهم وكانوا ينطلقون من قيم ومفاهيم خاصة بهم من خلال صياغتهم للحياة صياغة تتواءم وعدم جدواها وحتمية الموت .

ولكن هذا المفهوم لا يظل كما هو عليه، وانما يتطور ليصل الى احساس الاديب وشعوره بالاغتراب وهو في وطنه بين اهله واحبابه، يعيش في حالة انفصال وعزلة عنهم، وقد جاء التطور نتيجة لظروف الحياة المختلفة التي وصلت الى اشد حالات الاضطراب والتخلخل والتناقض بسبب التطورات الدينية والسياسية والاجتماعية والفكرية ولاسيما في العصر العباسي، يقول ابو حيان التوحيدي في ذلك: (( فاين انت عن غريب قد طالت غربته في وطنه وقل حظه ونصيبه من حبيبه وسكنه ؟! او اين انت من غريب لا سبيل له الى الاوطان ولا طاقة به على الاستيطان ؟! ... الغريب من نطق وصفه بالمحنة بعد المحنة ودل عنوانه على الفتنة عقيب الفتنة وبانت حقيقته فيه في الفينة حد الفينة، الغريب من ان حضر كان غائبا وان غاب كان حاضرا الغريب من ان رأيته لم تعرفه وان لم تره لم تستعرفه اما سمعت القائل حين قال :

بمـــا التعلـــل لا اهـــل ولا وطـــن ولا نـــديم ولا كـــأس ولا ســـكن))[(٤)]

فان هؤلاء الغرباء يسودهم احساس مليء بالالم والخوف والوحدة والاحباط، القلة منهم تستطيع التميز بالقدرة على الخلق والابداع ومعالجة ذلك الاحساس، والكثرة التي لا تستطيع لانها تفتقد تلك القدرة[(٥)] . فان حالة الانفصال التي يعيشها الاديب ليست مأساة في حد ذاتها بل العجز الذي يشعر به من جراء ذلك الانفصال، وهذا بالتالي يزيد من شعور الفرد بذاته محاولا في ذلك خلق جو مصطنع ليعيش فيه، وهو في محاولته تلك لا يستطيع ان(( يدرك شخصيته واصالته وتفرده وتميزه عن كل شخص وكل شيء الا عندما يكون وحيدا ... وحينئذ يشعر انه غريب لا وطن روحيا له))[(٦)] .

ويطلق ابن باجة (ت ٥٨٣هـ) على هؤلاء الغرباء اسم ((النوابت)) لانهم((كالعشب النابت في الزرع من تلقاء نفسه))[(٧)] ، وهؤلاء ((لاتجتمع على رأيهم امة او مدينة ... [لانهم] وان كانوا في اوطانهم، وبين اترابهم وجيرانهم، غرباء في آرائهم، فقد سافروا الى مراتب اخرى هي لهم كالاوطان))[(٨)] .

لهذا فان الاديب وعلى مر العصور لا يجد امامه سوى خيارين، اما مواجهة هذا الواقع المر ومحاولة تغييره بما يتلاءم وتطلعاته او الهروب الى الطبيعة لتخلص من كل الالام التي يشعر بها، فهو يعيش في صراع

---

(1) ينظر : العزلة و المجتمع :٧.
(2) الاغتراب في الشعر العربي قبل الاسلام : د. صاحب ابراهيم خليل :٤٤.
(3) مقدمة للشعر العربي : ادونيس :٢٨.
(4) الاشارات الالهية : ١: ٧٩ – ٨١ .
(5) ينظر : الاغتراب : ٥٠.
(6) العزلة و المجتمع :٩٣.
(7) رسائل ابن باجة الالهية : ابو بكر الصائغ ، تحقيق : ماجد فخري :٤٣.
(8) م. ن :٤٢.

بين مقومات شخصيته وما يحيط بتلك الشخصية من قوى تسيطر على المجتمع الذي يعيش فيه لذلك فهو لا يجد الا في ادبه ضالته وفرصته للنجاة وامنه النفسي لتخلص من كل حالات القلق والعذاب .

وهذا ما ينطبق عليه قول الدلجي (ت ٨١٥هـ) الذي اطلق على تلك الحالة بـ ((الفلاكة)) والتي((اذا ما استولت على شخص سلبته القدرة على الافعال انتقل الى الاسترواح والتنفس بالاقوال وذلك لما ان في الكلام راحة وفرجا وتنقيصا من الم الباطن))[1] .

وعلى هذا الاساس فان الواقع يصبح مادة لتكوين الادب من خلال حالة الانفصال التي يعيشها الاديب عن ذاته، لذلك فهو يسعى الى التحرر في كتاباته او هو يعالج المسائل المتعلقة بالوجدان الانساني، فهؤلاء وغيرهم ((عاشوا هموم دنياهم في معاناة هادفة وملابسة عميقة واندمجت ذاتهم الفردية والجماعية في الذات الانسانية فجاءت اعمالهم الفنية كاشفة عن جوهر الانسان))[2] .

وهذا ما عبر عنه الاديب في العصر الحديث وهو يشعر((بالتجرد وعدم الاندماج النفسي والفكري ... وانعدام التكيف فهو يحاول نقل ما يحس به من معاناة و هموم في اعماله الادبية، لكنه في ذلك لا يهدف الى مجرد نقل مناظر الحياة كما هي؛ بل هي عملية اختيار وتصفية ترتكز على فلسفته المستمدة من واقعه الاجتماعي))[3] ، لذلك فان الادب يأتي صدى لما يحس به، فهو عملية ((فرار من الواقع وعودة الى الواقع ومزج بين الذات واللاذات وتداخل في وحدات الزمن ... في محاولته الوصول الى مركز الاشياء والحقائق))[4].

اما الغاية التي يتوخاها من وراء ذلك فهي ايصال صوته الى الاخرين اتجاه العالم الذي يعيشون فيه، ليبين لهم صورته الزائفة والقبيحة وهو في ذلك يتمرد على كل القيود التي تتحكم به، فهو((يستبطن الحياة ويكشف عنها وعن التناقض الاصيل فيها، عن التقاء الضوء بالعتمة، والبطولة بالسفه، والحب والحياة، بالفتور والفناء))[5].

فالاديب كان كثيرا ما يرفض كل ما يجري في حياته، لذلك فهو((يسعى الى ابتكار مبادئ وافكار جديدة ما تكون مناقضة للمعايير السائدة في مجتمعه، كذلك يبرز الاغتراب في اوضاع التمرد التي تدفع الافراد الى البحث عن بديل للقيم التي يعتمد عليها البناء الاجتماعي لمجتمعهم))[6] .

---

(1) الفلاكة و المفلكون : شهاب الدين احمد بن علي الدلجي :١٦٧.

(2) قيم جديدة في الادب العربي : د. عائشة عبد الرحمن :٢١٧.

(3) مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: الاغتراب اصطلاحا و مفهوما و واقعا : د. قيس النوري :١٧.

(4) دراسات نقدية في الادب العربي : عزيز السيد جاسم :٢٢

(5) مجلة عالم الفكر :١٩٧٣: مج٤:ع٢:الشعر العربي المعاصر و تطوره و مستقبله : د. سلمى الخضراء الجيوسي :٣٥١.

(6) مجلة عالم الفكر :١٩٧٩: مج١٠:ع١: الاغتراب اصطلاحا و مفهوما و واقعا : د. قيس النوري :١٧.

# الفصل الاول

## حياة أحمد الصافي النجفي

## الاسرة :

اسرة ال الصافي من الاسر العريقة التي اشتهرت بالعلم والوطنية والادب، ترجع في نسبها الى السيد جعفر الخواري ابن الامام موسى الكاظم (ع) لذلك فقد لقبوا بالخواريين نسبة اليه. وهم ثوار كان جدهم محمد المليط الفارس الثائر المتمرد في المدينة، وخوار هي قرية قرب مكة فيها نخيل ومياه ، ويقال انهم لقبوا بالشجريين لانهم نزلوا في مواقع كثيرة الشجر بالقرب من المدينة ايضا(1) .

يرجع تاريخ وجود هذه الاسرة في النجف الى حدود عام (١٠٩٠ هـ) اثر هجرة العلامة السيد احمد الجبيلي ـ رحمه الله ـ طلبا للعلم والجوار، كما اشارت الدلائل الخطية الى ذلك(2) . وقد هاجر السيد احمد من البصرة بعد ان نزل فيها اجداده هربا من البطش والقتل الذي كان يلاقيه العلويون في الحجاز من الحكام في القرن الرابع الهجري .

وقد عرفت الاسرة بـ ( الجبيلي) نسبة الى المنطقة التي سكنتها في البصرة وهي (جبيلة) وقد اعقب السيد احمد ابنه السيد عبد العزيز (١١٢٢ـــ١٢٠٠هـ) الذي عرفت الاسرة فيما بعد باسمه وهو دليل على شهرته وعلو منزلته في زمانه، يقول السيد محمد جواد الصافي وهو احد احفاد هذه الاسرة في ارجوزته مشيرا الى تلك الواقعة :

وفـــي الغـــري أحمـــد جـــد لنـــا     يختـــار بـــدأ موطنـــا ومـــسكنا

مـــن مـــوطن البـــصرة قـــد جـــاء ومـــن     (جبيلـــة ) لـــه بهـــا كـــان الـــوطن

وابنـــه قـــد جـــاء باصـــطحابه     ( عبـــد العزيـــز) خيـــر ابـــن نابـــه (3)

والسيد عبد العزيز كان من كبار العلماء ومن شيوخ الاجازة، فقد بلغ بجده واجتهاده ارقى المراتب ووصل بعلمه الى اسمى الدرجات، وهذا ما دلت عليه عبارات من اجازوه واجازهم، فضلا عن تضلعه من انساب العرب حيث لقب بـ (عبد العزيز النسابة) لتصحيحه جملة من انساب العرب التي كان مطعونا فيها، وروي عنه شعر كثير متوسط الجودة(4) ، وهو من الذين قرضوا القصيدة الكرارية لمحمد بن شريف بن فلاح الكاظمي التي قيلت في مدح امير المؤمنين(ع)(5) .

وقد اشار الشيخ محمد السماوي في منظومته (عنوان الشرف)، الى هذه الاسرة بقوله :

مـــنهم بنـــو عبـــد العزيـــز الـــصيد     فـــي كـــل فـــن مـــنهم عمـــيد

امتلك السيد عبد العزيز مكتبة زاخرة تحوي النفيس والنادر من الكتب المطبوع والمخطوط منها، وقد اخذت تصل اليه من كل انحاء العراق، ولكنه لم يكتف بهذا فاخذ يستحضرها من سوريا وايران والاستانة والهند . وقد تفرقت هذه الكتب على احفاده ، فبيع بعض تلك الكتب ، وبقي البعض منها مهملا حتى نالت منه الارضة الشيء الكثير ويقال : ان بعضا منها رميت في بحر النجف ومازال البعض منها موجودا في الوقت الحاضر .

وقد امتلك السيد عبد العزيز فضلا عما تقدم مجموعة من البيوت في محلة العمارة من الجهة الشمالية الغربية، وقد اوقفها ومازال بعضها موجودا.

---

(1 ) ينظر : الدر المنثور: جعفر الاعرجي (مخطوط) ، عمدة الطالب في انساب ابي طالب :ابن عنبة (مخطوط) ، الشجر الوافي من السلسلة الموسوية : حسن ابو سعيدة الموسوي :٩٧:٣، الوافي في احوال آل السيد الصافي : محمود السيد محمد رالصافي:٢٧.

(2 ) ينظر : الوافي : ١٢

(3 ) م . ن : ٣٨ .

(4 ) ينظر : اعيان الشيعة : السيد محسن الاميني : ٣٨ : ٤٧ ، الذريعة الى تصانيف الشيعة : اغا بزرك الطهراني : ٦: ٢٩ ، معارف الرجال: محمد حرز الدين : ٢: ٦١-٦٢ ، منية الراغبين في طبقات النسابين : السيد عبد الرزاق كمونة : ٤٦٥- ٤٦٦ .

(5 ) ينظر : معارف الرجال : ٢: ٦٢- ٦٣.

اتصل الصافي بالسيد عبد العزيز بسلالة ذات وجاهة علمية ادبية وزعامة اصلاحية في كافة اوساط الحياة، وحملت الاسرة هذا اللقب ولحد الان. والسيد الصافي عاش وحيدا في اسرته اثر الطاعون الذي عم البلاد انذاك فقضى على الاب والابن، لذلك نشأ طموحا عالي الهمة فدأب على الدرس والتحصيل حتى بلغ مبلغا عظيما جعله من اجل العلماء [١] .

وقد اعقب السيد علي ـ والد الشاعر ـ وهو من التابعين لخطا ابيه فكان من العلماء البارزين في عصره مع خلق رفيع ونبل وذكاء وورع وتقوى، وقد الف في الاصول والفقه، مات وعمره لم يتجاوز الخامسة والاربعين سنة (١٣٢٢هـ) بسبب الوباء الذي انتشر في عصره، وقد عرف عنه انه كان قوي الشاعرية وقد شحذت قريحته بعد وفاة اكبر ابنائه سعيد، ولكنه لم يحتفظ به لظنه ان الشعر يزري بالعلماء ولم يعثر الا على اليسير منه[٢] .

وقد رزق السيد علي فيما بعد باربعة اولاد كانوا من العلماء ، وهم : السيد محمد رضا الصافي، والسيد محمد امين الصافي، والسيد الشاعر احمد الصافي، والسيد هادي الصافي، ومما تضمنه في وصية يوصي بها ابناءه :

ابنـــــي لا تهنـــوا اذا مـــا اعـــصفت ... بكـــم الـــصروف ببؤســـها وشـــقائها

كونـــوا لهـــا مثـــل الجبـــال رجاحـــة ... يتكـــسر الاعـــصار دون وقائهـــا

او كالـــسيوف تـــسل مـــن اغمادهـــا ... يـــوم الهيـــاج ببأســـها مـــضائها [٣]

ولهذا فنسب الشاعر الصافي الذي ينتهي الى النبي محمد (ص) عن طريق الامام موسى الكاظم (ع) ـكمامرسابقا ـ هو : احمد بن علي بن صافي بن جاسم بن محمد بن احمد بن عبد العزيز بن احمد بن عبد الحسين بن حردان بن حسان بن موسى بن عبد الله بن حسن بن علي بن محفوظ بن ثابت بن موسى بن محمد بن حمدان بن راشد بن ثامر بن موسى بن محطم بن منيع بن سالم بن فاتك بن هاشم بن هشيمة بن هاشم بن فاتك بن علي بن سالم علي بن صرة بن موسى الخصيم بن علي الخواري بن الحسن الثائر بن جعفر بن الامام موسى الكاظم بن الامام الصادق بن الامام الباقر بن الامام زين العابدين بن الامام الحسين بن الامام علي بن ابي طالب (عليهم السلام)، وقد اشار الشاعر الى تلك الاصول الراسخة والتي نمت منها تلك الفروع التي سادت القوم بطيب اخلاقها وحسن فعالها، بقوله :

إنّـــي لمـــن قـــوم بحـــسن فعـــالهم ... ســـادوا ومـــا فـــيهم تكبّـــر ســـيّد

نمّـــت فـــروعهم بطيـــب اصـــولهم ... وفعـــالهم شـــهدت بطيـــب المحتـــد

جـــدّي محمـــد كـــان داعيـــة الهـــدى ... فـــاذا ضـــللت فلـــست بـــابن محمـــد[٤]

وهو يعتز بهذا النسب في رجوعه الى الرسول الاعظم (ص) فهو جزء من ذلك الكل، يقول:

---

(1 ) ينظر : الوافي :٣٧.
(2 ) ينظر : م . ن :٤٧ .
(3 ) م . ن :٤٨ .
(4 ) هواجس :احمد الصافي :٢٨.

الـــى أحمـــد انمـــى ، واخـــلاق احمـــد فـــانّي هــذا الجـزء ، مــن ذلــك الكــل [1]

اما جد الصافي لامه فهو الشيخ محمد حسين الكاظمي اكبر علماء عصره ولد عام (١٢٣٠ هـ) في الكاظمية هاجر الى النجف طلبا للعلم، عرف بورعه وتقواه وزهده، تخرج عليه جمع من جهابذة العلماء والمجتهدين، توفي سنة (١٣٠٨هـ) .

والشيخ محمد حسين ينتمي الى اسرة آل معتوق اللبنانية التي تعيش في بلدة " الزرارية" في قضاء صور فهو عاملي الاصل، كاظمي المولد، نجفي المسكن والمدفن[2] ، يقول الصافي في اعتزازه بهذا النسب :

تـــسائلني هنـــد عـــن نـــسبتي فقلـــت :الـــى المعـــدن الفاضـــل

. . .

فابـــائي الـــصيد مـــن هاشـــم واخـــوالي الغـــر مـــن (عامـــل) [3]

# الولادة :

ولد الشاعر احمد الصافي في النجف عام (١٣١٤هـ ــ ١٨٩٧م ) كما ورد في المصادر الموثوقة[4]، وما صرح به في كثير من لقاءاته، يقول : ((ولدت سنة ١٣١٤ عن حمل ثمانية اشهر فكنت منذ ولادتي ضعيف البنية فحدبت علي والدتي))[5]، وقد اشار الى تلك الولادة بالنور الذي ظهر في بيته بشهادة الجيران :

نـــورا رأى الجيـــران، فـــي بيتـــي عـــشية مولـــدي

هـــذي روايـــة اســـرتي امـــن بهـــا ، اوفاجحـــد [6]

# النشـأة :

لما بلغ الصافي الخامسة ارسله والده الىالكتاب ليحفظ القران الكريم ــ وهي عادة كان يتبعها النجفيون في تربية ابنائهم ــ وبعد سنتين نقل الى كتاب اخر ليتم تعليمه في القران الكريم، ليتعلم الخط ايضا، يقول الصافي: ((كانت والدتي توقضني رحمها الله بعد صلاة الفجر وانا في لذيذ النوم وتلزمني بمراجعة الدرس تحت اشرافها غير مكترثة بضعفي حيث كانت ووالدي يحرصان على اعدادي اعدادا يكفل ان انهج نهج جدي لابي وامي في تحصيل علوم الدين وان ابلغ ما بلغاه من مراتب اجتهادية))[7]، وكان يقول ايضا : ((وكنت على صغر سني انوب عن المعلم في اعطاء دروس الخط للتلاميذ))[8] .

وهو يتذكر تلك الايام اذ يرى طفلا صغيرا هادئا، يجلس خلف المنضدة ، خافض الطرف متأملا ما حوله، يشكو الضعف والهزال، يقول :

تعـــود بـــي الـــذكرى لعهـــد طفـــولتي فابـــصر طفـــلا فـــي التلاميـــذ وادعـــا

كـــأني اراه الان مـــن خلـــف "درجـــة" هـــزيلا ،حييـــا ،خـــافض الطـــرف خاشـــعا

---

(1 ) الشلال : احمد الصافي : ٥٢

(2) ينظر : اعيان الشيعة : ٤٤: ٢٧٥ ، طبقات اعلام الشيعة : ١: القسم الثاني : ٥٦ .

(3 ) الحان اللهيب : احمد الصافي :٥٢ .

(4 ) ينظر : الوافي :٨٤ .

(5 ) م . ن.

(6 ) المجموعة الكاملة لاشعار الصافي غير المنشورة ، تقديم : د . جلال الخياط : ٤٠ .

(7 ) الوافي : ٨٤ .

(8 ) مجلة افكار :١٩٦٧ : ع١٣: شاعر يقص قصة حياته : عارف البغدادي :٥٥ .

بـــه وحـــشة مـــستغرق فـــي خيالـــه     يخـــال اذا كلمتـــه لـــيس ســـامعا [1]

فهذا الطفل قد ابدى نبوغا حادا وذكاء وقادا جعل الاخرين يعتقدون بانه سيكون خلفا لابائه واجداده العلماء، وعند وفاة والده سنة (١٣٢٢هـ) ـ كما مرسابقا ـ كفل العائلة الاخ الاكبر وهو السيد محمد رضا الصافي الذي نقله بعد سنتين ليدرس على مشاهير العلماء، ومنهم : السيد ابو الحسن الاصفهاني الموسوي، والسيد حسن الحمامي، والشيخ محمد رضا المظفر، والسيد علي اليزدي، وقد تلقى دروسا في الاصول والفقه الاسلاميين والمنطق والنحو والصرف والمعاني والبيان .

والسيد محمد رضا عميد اسرة آل الصافي في ذلك الوقت وهو من المجاهدين والثوريين ضد الاحتلالين العثماني والبريطاني، وهو من مؤسسي حزب الاخاء الوطني الذي ساهم في تشكيل الحكومة العراقية انذاك، وهو فضلا عن ذلك اديب وشاعر كان جل شعره منصبا في بث روح الحماسة والثورة ضد المحتلين، يقول :

وطنـــي حبـــذا ازججـــت زمانـــا     فـــي ســـجون وانـــت حـــر مـــصان

لا ارانـــي ربـــي اراك مهانـــا     واری معـــشري جميعـــا تهـــان

ايهـــا العـــرب للحفيظـــة هبـــوا     قـــد تـــداعت مـــن مجـــدكم اركـــان

واجعلـــوا شـــعاركم فـــوق جـــرد     ايهـــا العـــرب الطعـــان الطعـــان [2]

وكان يجلس للناس في مجلس آل الصافي الذي اسمه السيد عبد العزيز ـ جد الاسرة ـ حيث كان يختلف اليه علية القوم من العلماء والوطنين والادباء والشعراء وكثيرا ما كانت تدور فيه الاحاديث والمساجلات وتلقى فيه القصائد والخطب فضلا عن المناقشات العلمية، فلقد كانت المجالس في ذلك الوقت ((عنوان النجف منذ تاريخ النجف، وهي تمثل النجف تمثيلا فيه الكثير من واقع البلد وحقيقته واهدافه))[3]، ولهذه المجالس الفضل الكبير في اعداد الرجال وتكوينهم واظهار قابلياتهم، وقد تثقف الصافي على هذه المجالس ولا سيما مجلس عائلته حيث اخذ يميل الى الشعر وقرضه هذا فضلا عن ان اسرته التي كانت جميعها تتعاطى الشعر حيث يقول: ((ان اسرتي كلها تتعاطى نظم الشعر . وقد اخذ اهلي ينمون في الروح الشعرية منذ الطفولة بما يعرضون علي من حفظ الشعر))[4].

وفي سن السابعة عشرة تلقى الصافي صدمة كبيرة اخرى وهي وفاة والدته التي كانت احب الناس واقربهم اليه، بما ترفده به من الحب والحنان في ساعة الضيق، وقد احس الصافي ان هذه الدنيا لم تخلق له ولم يخلق لها، وبات في نفسه ان الاحزان والالام والاسقام هي ما سيكون رفيقه في هذه الحياة (( فالدمامة امه، والبؤس ابوه، والسقم اخوه، والفقر ابن عمه، بل ان له من الاسقام اخوانا يقيمون في اعضائه الحيوية كلها وفي اعصابه))[5]، ولكنه مع ذلك لا يستسلم، يقول :

جبلـــت بالـــضعف وبالاســـقام     مـــن مولـــدي مـــع عيـــشة الايتـــام

تـــدعوني الـــنفس الـــى الاقـــدام     والـــضعف بـــي مكبـــل اقـــدامي

اضـــعف اخـــوتي علـــى التمـــام     لكـــن ورثـــت همـــة الهمـــام [6]

---

(1) المجموعة الكاملة : ٧٣ .
(2) الوافي :٦١ .
(3) هكذا عرفتهم : جعفر الخليلي : ١: ٣١٦ ، ينظر : العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية : جعفر الخليلي : ٣٧ - ٤٩.
(4) مجلة افكار : ١٩٦٧ :ع١٣ : شاعر يقص قصة حياته : عارف البغدادي :٦١ .
(5) قلب العراق : امين الريحاني :٢٧٥ .
(6) المجموعة الكاملة : ٢٠٩

وقبيل الحرب العالمية الاولى اشتد الضعف العصبي الذي يعاني منه فنصحه الاطباء بترك الدراسة لان تلك العلوم معقدة، وتحتاج لمن يدرسها ان يكون ذا صحة جيدة، ولديه قوة تحمل وصبر، وهي صفات يفتقدها الصافي، فاشاروا عليه بالقراءة بقصد التسلية فقط، لما وجدوه من شغفه بالعلم وحبه له، فاخذ يقرأ المجلات والصحف التي كانت تصدر في ذلك الوقت، وهي : المقتطف والهلال، بل انه كان يعتبر هذه القراءة واجبا قد فرض عليه رغبة منه في الاتصال بما يطرأ من جديد على العالم من حوله[١]، فهو ((لا يترك فكرا جديدا ولا ادبا جديدا الا وحاول الاستفادة منه بقدر ما تسمح له ظروفه وامكانياته)) [٢]. فالصافي وان لم يصل الى مرحلة الاجتهاد لشدة تلك الامراض عليه، فقد عوضه فيما بعد بشعر اطلق عليه بـ (شعر الاجتهاد) وفي ذلك يقول :

درست علم الاجتهاد كاد يوصلني ... للاجتهاد ولكن عاقني السقم

فاعتضت شعرا فكانت منه عاقبتي ... (شعر اجتهاد) به تسترشد الامم [٣]

# الرحلة الاولى الى ايران :

لقد كان عصر الصافي بما فيه من جوانب ايجابية يعيش بعقلية التعصب القبلي بسبب اضطراب الاوضاع في البلاد وتأخر الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية، لذلك كان الشعر فيه امتدادا للعصور المظلمة، ليس فيه سوى التقليد والمحاكاة لاساليب الشعراء الماضيين، فهولا يهتم الا بالصنعة اللفظية والمحسنات البديعية اكثر من اهتمامه بالمعنى[٤]، وهو لا يعدو كونه (( تسلية لفظية ولذة فردية))[٥]، فان(( النجف لم تتأثر بالحضارة المدنية ولم تلتفت الى مقتضيات العصر كما يراد ... لذا نرى التكتل الاجتماعي قائما على قدم وساق، يزيده وينميه ضعف الوازع الديني والخلقي والنظامي ))[٦] فـ (( النجف تختلف عما غيرها ... وذلك لانها تحتفظ بمعسكرين دائما، ففيها المعسكر الروحي المحافظ يقابله الشباب التقدمي))[٧] الذي رفض التأخر ونقم على كل ما فيه وكان يتطلع الى التغيير والتقدم الذي كان يحدث في بعض الاقطار العربية، مثل : مصر ولبنان، فالنجف بلدة العاجز الذي لا يشعر بما يحدث من حوله :

ان الغري بلدة تليق ان ... يقطنها الشيوخ والعجائز

فصادرات بلدتي مشائخ ... وواردات بلدتي جنائز [٨]

ولكن بالرغم مما هو موجود في النجف، اخذ الشباب النجفي يتجهون الى معالجة المشكلات التي يعاني منها المجتمع ولا سيما الشعراء الجدد منهم حيث اخذوا ينظمون في ابواب واغراض جديدة تحاكي ما يعانيه ابناء جيلهم من الاضطهاد والظلم والتعسف، واخذ هذا التجديد يظهر مع اطلالة النهضة الحديثة، فاحدثت تغييرا في الفاظ الشعر ومعانيه واوزانه وقوافيه واساليبه واخيلته[٩].

---

(1) ينظر : مجلة افكار :١٩٦٧: ع١٣: شاعر يقص قصة حياته : عارف البغدادي :٥٦ .
(2) مجلة الحكمة :١٩٥٤: ع١ : الشاعر احمد الصافي : رياض حنين : ٣٤ .
(3) المجموعة الكاملة : ٤٣٥ .
(4) ينظر : الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه : د . يوسف عز الدين : ٣٠ .
(5) شعراء الحلة : علي الخاقاني : ١: ٣ .
(6) شعراء الغري : علي الخاقاني : ١٢ : ٤٥٥ .
(7) م . ن : ١٢ : ٤٥٦ .
(8) الامواج : احمد الصافي : ٢٧٨ .
(9) ينظر : محاضرات عن الشعر العراقي : عبد الكريم الدجيلي : ١٩٨ ، ينظر : الشعر العراقي الحديث واثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه : ٣٠ .

فالنجف برغم مكافحتها للاستعمار الا انها كانت ضيقة مغلقة لا تسمح لدخول الافكار الجديدة التي تحاول كسر الاطواق المكبلة للمجتمع النجفي وهي تسعى الى الحفاظ على تراثها القديم .

والصافي في ثورته تلك والتي كانت على العصر كله ، كان للاهل نصيب منها حيث احس ان كل ما حوله هو ضده، فكان يرفض ان يوجهه احد وان يخطط له مستقبله باعتباره صغير السن، يقول :

| | |
|---|---|
| اختلافـــي والاهــــل، داء قـــديم | شـــاب رأســـي بـــه، وارؤس اهلـــي |
| جئـــت للكـــون كـــي اوجـــه دنيـــا | اخـــوتي يبتغـــون توجيـــه مثلـــي |
| صِـغَر الـسن ، قـد دعـاهم لنـصحي | لـم يراعـوا، بـان لـي عقـل كهـل |
| لعـــن الـــسن فارقـــا ، ذا بـــلاء | جهلـــوني حتـــى عزونـــي لجهـــل [1] |

فالصافي كان رقيق الشعور، متوقد الذهن، لديه حدة في المزاج، وعصبية ظاهرة، وعناد وتمرد بارزين، حاول اهله ارضاءه ولكنه لم يقتنع لانه يعتقد دائما انه على صواب، ففر هاربا من النجف، يقول :

| | |
|---|---|
| مـــع الاهـــل منـــذ البـــدء ، ربّ تمـــرد | وترويـــضهم كـــان لـــي مـــن دون طائـــل |
| كلانـــا يخـــال الحـــق فيمـــا ســـعى لـــه | ولـــم ار للثـــاني ســـوى ســـعي باطـــل |
| فكنـا معـا فـي شـبه حـرب فمـا انتهـت | بغيـر اغترابـي ضـاربا فـي المجاهـل [2] |

فهو يعتبر كل نصيحة اوارشاد يقدم له ضغطا يمارسه اهله عليه مما سبب له السقم والالم، لذلك فهو يعتقد ان ما يواجهه من ضغوط هي في حقيقتها قيود يتركها الاباء والاجداد باعتبارها ارث له، وان فك تلك القيود انما يعود الى ايام طفولته، يقول :

| | |
|---|---|
| قـــد الفـــت الـــصراع للقيـــد، ارثـــي | مـــن محيطـــي ، ومـــن ابـــي وجـــدودي |
| كـــم عضـــضت القيـــود والطـــوق طفـــلا | فغـــدا فكّهـــنّ جـــزء وجـــودي [3] |

ولا تقف ثورته عند هذا الحد، بل تصل به الى ان كل ما يربطه باهله هو قيد طوقوه به، ومن هذه القيود وهو الاسم الذي يحمله، يقول :

| | |
|---|---|
| لحـــى الله اهـــلا طوقـــوني بقيـــدهم | واول طـــوق للوليـــد هواســـمه [4] |

ولكن هذه الثورة سرعان ما تتبدل ، ويعتبر هذا الاسم هبة قد اعطاها اهله له لكونه قريب من اسم النبي الكريم (ص)، يقول :

| | |
|---|---|
| لـــم يهبنـــي اهلـــي ســـوى اســـم جميـــل | زاد حـــسنا بكونـــه نبويـــا |
| قـــد حبـــوني بـــه ليبقـــى شـــعاري | ورفيقـــي الـــوفي ميتـــا وحيـــا [5] |

---

(1 ) المجموعة الكاملة : ٥٢ .
(2 ) م . ن : ٧٨ .
(3) م . ن : ١٠٨ .
(4 ) هواجس : ١٧٦ .
(5 ) شرر : احمد الصافي :٢١٦ .

ويبدو ان الصافي شعر من جراء تلك الضغوط والتدخل في شؤونه الخاصة بثورة داخلية وتمرد على كل ما كان يحد من طموحه، مما ادى به شأنه في ذلك شأن الشباب غيره الى التمرد على كل الاوضاع والقيود والعادات والتقاليد البالية التي تتحكم بهم، هذا فضلا عن التمرد الذي كانت تعيشه بلدته النجف يوم ذاك، بسبب الاضطرابات والاحداث التي سببها دخول الانكليز الى العراق ، ففكر الصافي بالهرب تخلصا من هذه الاجواء، فاتفق مع صديقه السيد محمد علي كمال الدين للهرب الى البصرة . وفي صباح عيد الفطر المبارك هنأ اهله ودعا لهم بالخير والبركة، و خرج مع رفيقه متخذين من درب الفرات طريقا لهما الى ان وصلا الى بلدة الخضر، وقد تزي بزي العمال خوفا من الاتراك الذين كانوا يطاردون النجفيين لمحاربة الانكليز انذاك، وهذه البلدة كانت منطقة قتال بين الانكليز والاتراك، وبالفعل فقد قبض عليهما الاتراك واتهموهما بالتجسس لصالح الانكليز ولكنهما استطاعا رشوة الجنود فاخلوا سبيلهما . وعندما بلغا البصرة رجع الى ارتداء زيه الديني وكان صديقه قد افترق عنه ، فطفق الصافي يبحث عن عمل ولكنه لم يجد ... وبعد ايام نفذت دراهمه فاضطره الحال الى بيع ساعته، وكاد ان يقع بيد الانكليز هذه المرة ولكنه نجا باعجوبة، ليقرر بعدها السفر الى المحمرة ومنها الى عبادان مشيا علىالاقدام ، فبحث فيها عن عمل يلائمه ولكن دون جدوى مما اضطره الحال الى ان يعمل في البناء فاشتغل نهارا كاملا وهو يحمل الطابوق تارة، ويغربل الجص تارة اخرى، واشعة الشمس تحرق وجهه وجسمه الهزيل، واوامر الاسطة تلهبه وكأنها السياط على جسده ، فما كاد ينتهي ذلك اليوم الا وفر الصافي من دون رجعة بعد ان شعر بالتعب والاعياء الشديدين تاركا حتى اجرته، فبقي لايام يعاني من جراء ذلك ووقع مريضا في الفراش لا يستطيع الحراك وكأنه اصيب بالشلل ، فالصافي لم يزاول في حياته اي عمل جسدي وانما مارس الاعمال الفكرية فقط ، وقد اشار الى ذلك اليوم بقوله :

فلقـــــد كنـــــت عــــاملا لبنـــــاء ذات يـــوم حتـــى وقعـــت اعـــتلالا

انـــا لـــولا الـــسقام كنـــت انـــا اليـــوم نقيبـــا ادبـــر العمـــالا [١]

وبعد ان افاق من المرض قرر السفر الى ابي شهرالمرفأ الفارسي وكان يومذاك قد نشبت حرب بين الانكليز والعشائر الفارسية هناك بتحريض من الالمان وقنصلهم بسموس، مما ادى بالصافي الى العدول عن السفر بالبحر والاستغناء عنه بالسفر برا، فتوجه الى قرية كان بينها وبين ابي شهر بضع ساعات واستقل منها سفينة لتنقله الى مدينة شيراز، ولكنها تحطمت في عرض البحر ولم يكن الصافي قد مارس السباحة قبلا، فاخذت الامواج تتقاذفه ولكن شاء القدر ان يجلب للصافي صندوق شاي مصنوع من الخشب كان موجودا على متن السفينة، فتعلق به واخذ يصارع الامواج الى ان ادركته النجدة وانتشلته والى هذه الحادثة يشير :

يـــا بحـــر منـــذ القـــدم نعـــرف بعـــضنا او لـــست تـــذكر عنـــدما اغرقتنـــي

وضـــممتني لـــك ضـــمة لـــم انـــسها ومـــن الرضـــاب الملـــح قـــد جرعتنـــي

لـــولا اعتلاقـــي اذ فزعـــت بلوحـــة عطفـــت بهـــا الامـــواج كنـــت امتنـــي [٢]

وعندما رؤوا عمته السوداء التي تشير الى انتسابه لاهل البيت (ع) اخذوه الى بيت رئيسهم وجاءوا له بلباس ايراني بعد ان خلع ملابسه ليغسلوها بالماء العذب خوفا من ان يؤثر فيها الماء المالح فيبليها، واللباس الايراني يتكون من طربوش طويل وسروال عريض وقميص قصير، فاخذ الصافي ينظر الى مظهره ويضحك ويتخيل نفسه في النجف الاشرف يرتدي هذه الملابس .

---

(1) المجموعة الكاملة : ٧٤ .
(2) م . ن : ٤٨٢- ٤٨ .

وبعد ايام من وجوده في تلك القرية عادت له قواه التي خارت في عرض البحر ، فسافر الى مدينة شيراز سيرا على الاقدام بعد ان سلك طرقا وعرة اجتاز فيها جبالا ووديانا للظروف السياسية انذاك، وبعد اثني عشر يوما من المسير وصل الى بلدة فيروز آباد فتعرف بالعالم الجليل السيد عبد الحسين اللاري الذي عرف نسب الصافي فاخذ يبكي، فسأله الصافي عن سبب بكائه؟ فاجابه: بان جده لامه العالم الروحي الشيخ محمد حسين الكاظمي هو استاذي وهو الاب الروحي وما ارسلت الى هنا الا لاكون وكيلا دينيا عنه ، فبقي الصافي عزيزا عندهم ... ولكن الامراض فاجأته فاصيب بمرض التيفوئيد فضلا عن الضعف العصبي الذي يعاني منه مسبقا حتى اشرف على الموت، لولا عناية هذا السيد الجليل بالسيد الصافي وجلبه طبيبا خاصا لمعالجته .

ولما افاق من المرض قرر الصافي الرجوع الى النجف بعد ان وجد انه لم يحقق أي طموح مما يبغي هناك، بل على العكس من ذلك فهو لم يجن من رحلته تلك سوى الامراض والمتاعب، فسافر الى مدينة لار بصحبة الاخ الاصغر للعالم الديني حاملا معه كتابا بخط ذلك السيد يطلب فيه الاعتناء بالصافي هناك، ولكن الامراض فاجأته مرة اخرى، فاصيب بمرض الملاريا وبقي هناك لمدة شهر اتجه بعدها الى الميناء الفارسي بندرعباس ومنه استقل سفينة اوصلته الى البصرة، ومنها توجه الى النجف بعد غياب دام تسعة اشهر كان فيها اهله قد يئسوا من رجوعه، وكان الانكليز قد احتلوا بغداد قبل ثلاثة اشهر من رجوعه في يوم ١٩١٧/٣/١١ [١] .

# نشاطه السياسي :

وقف النجفيون الى جانب الاتراك لمحاربة الانكليز بدافع ديني ووطني حيث احس العلماء بان خطر الانكليز اكبر من خطر الاتراك وان بريطانيا لم تدخل العراق الا للاحتلال، ولكن الاتراك لم يحفظوا هذا الجميل، بل قاموا بمطاردة الشباب النجفي واجبارهم على اداء الجندية واساءة معاملة الاهالي، هذا فضلا عن امور اخرى اعتاد الاتراك القيام بها اتجاه النجفيين ادى بالتالي الى طرد الاتراك من النجف، فتسنى لهم حكم انفسهم بانفسهم واستمر هذا الحال لاكثر من سنتين مابين نيسان ١٩١٥الى اب١٩١٧[٢] .

ولما احتل الانكليز بغداد واستتب لهم الامر ارسلت الكابتن مارشال الى النجف ليكون حاكما عليها، ولكن هذا الحاكم كان سيء الخلق والمعاملة لم يترك اسلوبا عنيفا الا واستخدمه لارهاب وتخويف اهالي النجف[٣] ، مما جعلهم يؤلفون جمعية سرية كانت بقيادة العلماء وعلى رأسها السيد محمد علي بحر العلوم والشيخ محمد جواد الجزائري لمناهضة الانكليز[٤] ... وفي ٩اذار ١٩١٨قامت ثلة من ثوار هذه الجمعية بقيادة الحاج نجم البقال وقررت قتل الكابتن مارشال فتم ذلك بالفعل[٥] ، مما ادى بالانكليز الى التوجه نحو النجف فضربت عليه حصارا استمر لمدة شهر ونصف الشهر، قاومت فيه النجف بشدة الا انها انتهت بالفشل لعدم التكافؤ بين الفريقين وبمعاونة الجواسيس، فقبضوا على الثوار وشنقوا منهم ثلاثة عشر وطنيا افلت منهم شخص واحد هو عباس ميرزا الخليلي كما حكم علىالاخرين بالسجن والنفي[٦] .

لم يكن الصافي بعيدا عن تلك الاحداث وان لم يشارك فيها، فقد كان يثور ويغضب لثورة النجف وغضبها، فهو يقول : ((وهي منذ ان فتحت عيني فتحتها على ثورات وحروب متوالية سواء اكانت بين سكان بعض احياءها [كذا] والبعض الاخر او بين الاهالي والحكومة فكان اهم ثوراتها التي ارى حوادثها لا تزال ماثلة لعيني هي الثورة النجفية الكبرى التي اندلع لهيبها علىالحكومة الانكليزية قبل انتهاء الحرب العامة بسنة))[٧] .

وقد كان الصافي من الممهدين بالاعتقال لعلاقته القوية بالشيخ عباس ميرزا الخليلي والذي كان احد المشاركين في هذه الثورة وقد حكم عليه بالاعدام، ولكنه هرب الى ايران ـ كما تقدم ـ بعد ان تزي بزي النساء،

---

(1 ) ينظر : عبقرية الصافي : ابراهيم عبد الستار :١٢- ١٨ ، احمد الصافي حياته ـــ شعره : تركي كاظم جودة : ٢٧- ٣٢ ، احمد الصافي شاعر العصر : سلمان هادي ا لطعمة : ٢٢-٢٣ ، شاعرية الصافي : خضر عباس الصالحي :١٥- ١٦.

(2 ) ينظر : الثورة العراقية الكبرى : عبد الله الفياض : ١١٦ ، ماضي النجف وحاضرها : جعفر الشيخ باقر ال محبوبة :١: ٣٤١ ، ثورة النجف : حسن الاسدي : ٤٣٨ .

(3 ) ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي : د . عبد الحسين مبارك : ٦٧ .

(4 ) ينظر : ماضي النجف وحاضرها : ١ : ٣٤٤ ، ثورة النجف : الاسدي :٢٤٠ ، ثورة النجف : الحسني : ٣٨ .

(5 ) ينظر : ثورة النجف : الاسدي : ٢٤٥ ، ثورة النجف : الحسني :٢٦ .

(6 ) ينظر : ماضي النجف وحاضرها :١ : ٢٤٧ ، ثورة النجف : الاسدي : ٣٣٢ ، ثورة النجف: الحسني : ٣٨ .

(7 ) هزل وجد : احمد الصافي : ٢٠ .

وقد اوصى بترك ما يملك للصافي حيث استدان منه مالا لشراء بضاعة[1]، وهذا دليل على وجود الصافي في النجف عام ١٩١٨ .

ولكن بالرغم من فشل تلك الثورة فانها كانت ((الخطوة الاولى للقضية العراقية والبذرة الوحيدة لنتاج الفكرة العراقية واتجاهها نحو استقلال العراق فان النجف هو المركز الروحي والعاصمة الكبرى لعموم الشيعة وقد اعطت بموقفها هذا درسا شافيا ومنهجا واضحا نفعها في نيل مآربها وتحقيق رغائبها في التخلص من الاستعمار))[2] ، فان ما كانت تعاني منه البلاد في تلك الحقبة من سوء الادارة المحلية، ونهب وسلب خيرات البلاد، وقلة الطعام، والتعذيب والالم والتشريد الذي كان يلاقيه الوطنيون منهم، فضلا عما كان يحدث في العالم من ثورات للتخلص من نير الاستعمار وتحرير اراضيه، فالمشروطية في ايران عام ١٩٠٥، والانتفاضة الدستورية في تركيا عام ١٩٠٨، والثورة الحجازية عام ١٩١٦، والوثبة المصرية عام ١٩١٩، وقيام الحكومة القنصلية في سوريا عام ١٩٢٠[3] قد مهدت للقيام بثورة شاملة للتخلص من الاستعمار الانكليزي .

كان الصافي من الشباب الذين ساهموا بتلك الثورة حيث رأى في اعلان ولسن لشروطه الاربعة عشر في اواخر عام ١٩١٨ والتي جاء فيها ان لكل الشعب حق تقرير مصيره بنفسه من دون تدخل احد في ذلك ، و ان هذا لا يتحقق من دون المطالبة بالاستقلال، وان هذا لا يتم الا من خلال القيام بثورة كالتي حدثت عام ١٩١٨.

فالصافي بالرغم من كونه شابا الا ان الاحداث التي مر بها سابقا كسفره الى ايران، وما عاشه من احداث في ثورة النجف الاولى جعلت منه رجلا صلبا قويا مكافحا صبورا يسعى الى تحقيق الاهداف التي يؤمن بها، فعرض الفكرة على صديقه السيد سعد صالح جريو الذي رحب بها، ثم عرضها الصافي على اخيه الكبيرالسيد محمد رضا الصافي الذي كان معروفا بنضاله المستمر مع العلماء والشيوخ لمحاربة الاستعمار والتخلص منه، ولكنه لم يقتنع بتلك الفكرة وقد شاركه في هذا الرأي الشيخ عبد الكريم الجزائري الذي كان يعتقد انه ليس للعرب الاهلية الكاملة في الحصول علىالاستقلال، فهو يستند في رأيه على ناحية العدة والعدد التي يتمتع بها الجيش الانكليزي ... وبعد مرور شهرين غير السيد محمد رضا رأيه اثر حادثة جرت له في ابي صخير[4] حيث التقى السيد علوان الياسري وتباحثا في امر الثورة توصلا خلالها الى انه يجب القيام بثورة للتخلص من كل الاوضاع الفاسدة التي يعيشها المجتمع العراقي في ظل الاحتلال البريطاني، وفي هذا الوقت كان الشيخ عبد الكريم الجزائري قد غير رأيه ايضا بعد ان التقى بالشيخ محمد تقي الشيرازي فابدى استعداده للتعاون في هذا الامر، لان امر الثورة لم يكن مقتصرا على النجف حسب، بل ان العراق كان كله يغلي للقيام بمثل هذه الثورة، فلقي الصافي وطلب منه ان يجمعه باخيه السيد محمد رضا والشيخ محمد رضا الشبيبي ... فتم الاجتماع وقد ابعد الصافي عنه بسبب صغر سنه وان هناك امورا لا يجب ان يطلع عليها ، وقد توصلوا من خلاله الى المطالبة بالاستقلال وتعيين احد انجال الشريف حسين ملكا على العراق وقد جرى فيما بعد استفتاء جمع العلماء ورؤساء العشائر والانكليز للموافقة على المطالب التي قدمها العراقيون ولكن الانكليز اخذوا يماطلون و يتلاعبون مما ادى بالعراقيين الى عقد اجتماعات سرية كانت تمهد للثورة وكانت تلك الاجتماعات تعقد في مجالس النجف ومنها مجلس آل الصافي حيث ان هذه المجالس كانت توضع فيها الخطط للمطالبة بالاستقلال والتخلص من الاستعمار[5] .

وقبيل اشعال الثورة بثلاثة اشهر اقيم اجتماع كبير في المسجد الهندي في النجف القيت فيه الخطب والقصائد التي تثير الحماس في نفوس ابناء النجف من اجل التخلص من نير الاستعمار البريطاني، وقد قاد الثورة جماعة من المتنورين والثوريين من مختلف الطبقات فالاولى تدعى بطبقة الشيوخ الاحرار، والثانية تدعى بطبقة الاحرار، اما الثالثة فتدعى بطبقة الشباب الاحرار[6] والتي كان من بينهم السيد احمد الصافي، وهذه الطبقة كانت تجند نفسها لتنفيذ اوامر الطبقتين السابقتين لذلك فعندما انعقد الاجتماع في المسجد الهندي طلب حاكم بغداد

---

(1) ينظر : هكذا عرفتهم : ٦: ٢٠٨ .
(2) ماضي النجف وحاضرها : ١: ٣٥٠ .
(3) ينظر : الثورة العراقية الكبرى : الفياض :٢٤٥ ، الثورة العراقية الكبرى : عبد الرزاق الحسني :٧٢ .
(4) ينظر : هكذا عرفتهم : ٦ : ٢٠٥ .
(5) ينظر : ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي :٧٣ - ١٠١ .
(6) ينظر : ثورة النجف : الاسدي : ٢١٠ .

العسكري من حاكم النجف القاء القبض على تلك الطبقة ولكن حاكم النجف لم ير ضرورة من القاء القبض في ذلك الوقت [١] .

اما الصافي فانه لم يشارك في هذه الثورة الا كثائر وطني وجندي شجاع يدافع عن وطنه، ويبذل كل ما يملك من اجله ويضحي في سبيله، وان قضية مشاركته كشاعر هو امر مخلوط[٢]، فهو حتى بعد ان نطق الشعر لم يكن يريده، يقول : (( انا لم اتمن في عمري ان اكون شاعرا وانما كانت امنيتي ان اكون عمليا وانظم شعوري اعمالا فعوضتها اقوالا ... وانا اقول :

حسدت ممدوحه في الخل جوالا      لم احسد المتنبي قال ما قالا )) [٣]

ويبدو ان الشاعر محمد مهدي البصير لم ينتبه في كتابه تاريخ القضية العراقية الى شأن هذه الاسرة ودورها الكبير في ثورة العشرين حيث لاقت من السجن والتشريد حالها في ذلك حال الاسر النجفية الاخرى .

## الرحلة الثانية الى ايران :

اتفق الصافي مع ثلاثة من رفاقه الثوريين بالهرب خوفا من البطش والقتل الذي كان يقوم به الانكليز ضد المشاركين في الثورة ولا سيما بعد ان صاروا يسمعون المدافع بين ذي الكفل والكوفة، فقرروا الهرب الى ايران فجرا من مدرسة الاخوند الدينية في يوم ١٥/١٠/ ١٩٢٠ بعد ان اتفقوا مع مكار يجلب لهم البغال، فغادروها عن طريق الجزيرة بين دجلة والفرات الى الديوانية حتى وصلوا الى اراضي الغراف، فقررالسيد سعد صالح جريو والسيد محمد علي كمال الدين الذهاب الى العمارة ومنها الى الكويت حيث كان السيد عيسى كمال الدين ــ والد السيد محمد علي ــ عالما دينيا هناك . اما الصافي فقد اتفق مع رفيقه علي الدشتي بالسفر الى ايران فذهبا الى مدينة الحي ومنها الى كوت الامارة .. وبعد شهر وصلا الى طهران بعد ان اجتازا صعوبات جمة، وطرقا وعرة في جبال حلوان بسبب الظروف الامنية التي كانت قائمة انذاك .

وفي طهران قرأ الصافي في الصحف ان اخاه الكبير السيد محمد رضا الصافي قد اعتقل من قبل الحكومة البريطانية مع من اعتقل من العلماء ورؤساء العشائر لاشتغاله بالثورة وجعل بيته مقرا للثوار، فسجنوه خمسة اشهر ووضعوا امامه المشنقة تهديدا له، ولما لم يجدوا جدوى من ذلك اخلوا سبيله[٤] . وقد الف السيد محمد رضا ابياتا في السجن ارسلها فيما بعد الى السيد احمد طالبا منه تخميسها ففعل[٥]، كما وقد شطر هذه الابيات من العائلة السيد محمد جواد الصافي [٦] .

وفي ايران اقبل الصافي على تعلم الفارسية لكي يستطيع العيش بينهم والتعامل معهم، ولكي يتسنى له فهم الادب الفارسي الذي طالما رغب في التعرف على اسراره فـ (( الادب الفارسي صنو الادب العربي كلاهما ينبعان من واقع الحياة ويمثلان الفن تمثيلا رائعا فما تضيعه في الفارسية تجده في العربية وما تفقده في العربية تجده في الفارسية))[٧] ، ولقد ساعده في ذلك صديقه الشيخ عباس ميرزا الخليلي الذي هرب من العراق ــ كما مرسابقا ــ الى ايران فهيا له غرفة في مدرسة مرو الدينية ... وبعد مدة وجيزة طلبت وزارة المعارف الايرانية معلمين في مادة اللغة العربية بشرط ان يجري لهم اختبار في مادة النحو وقد حصل الصافي على اعلى تقدير فيه، فعين استاذا للادب العربي في ثلاث مدارس ثانوية، وهي : المدرسة الكمالية، والمدرسة العلمية، والمدرسة السلطانية وكان يدرس ساعتين في اليوم وقد استمر في تلك المهنة لمدة سنتين [٨] ، ولكن الامراض التي اعتاد

---

(1) ينظر : احمد الصافي شاعر العصر :١٠٩، صفحات من مذكرات احمد الصافي ، تحقيق وتعليق : كامل سلمان الجبوري : ١١-١٥ .

(2) ينظر : التجديد و التقليد في شعر احمد الصافي النجفي : سمير كاظم خليل : ٤٦.

(3) مجلة الاذاعة والتلفزيون : ١٩٧٦ : ع١٧٩ : احمد الصافي وحديث نصف قرن من الغربة والعودة : تركي كاظم جودة : ٤٤ .

(4) ينظر : احمد الصافي شاعر العصر : ١١٦- ١٢٢، شاعرية احمد الصافي :١٧- ١٨ ، صفحات من مذكرات احمد الصافي : ١٧- ٢٠ .

(5) ينظر : الامواج : ٣٠- ٢٣١ ، حصاد السجن : احمد الصافي :٩٧- ٩٩ .

(6) ينظر : الوافي : ٦٣- ٦٤ .

(7) جريدة الجمهورية : ١٣ / نيسان ١٩٦٨:ع١٠٧: احمد الصافي المثل الرائع لشعراء الفكرة و الصورة : جعفر الخليلي :٦، نقلا عن التجديد و التقليد في شعر احمد الصافي النجفي : ٢٠.

(8) ينظر مجلة افكار : ١٩٦٧ : ع١٣ : شاعر يقص قصة حياته : عارف البغدادي : ٥٨ .

الصافي عليها فاجأته في طهران فضلا عن الضعف الشديد الذي يعاني منه، مما جعله يترك التدريس فاتجه للكتابة في امهات الصحف الفارسية، امثال : صحيفة كوشش، وستارة ايران، وشفق سرخ، واقدام فضلا عن مجلة ارمغان والتي تعد من احسن مجلات طهران، ومجلة تعليم وتربيت، وكان ينشرها تحت اسم سيد احمد نجفي مما جعل ما يكتبه محطا لانظار الكثيرين من ادباء الفرس وشعرائها، ولهذا فقد انتخب عضوا في النادي الادبي الايراني بعد ان قلده (انجمن ادبي) وهو وسام العضوية، وقد عين عضوا في لجنة النشر والتأليف في عهد محمد تدين الذي اتفق معه على ترجمة كتاب علم النفس لعلي جارم ومصطفى امين العالم لقاء مبلغ من المال، وقد اجاد في تلك الترجمة لما فيها من الدقة والبساطة في اللغة والاسلوب والمعنى(١).

ولقد ساعده انتماءه الى النادي الايراني في التعرف على كثير من الادباء والشعراء فاخذت علاقته تتوطد معهم، امثال : ملك الشعراء محمد تقي بهار، والشاعر ريحان صاحب جريدة الوردة الصفراء، وحيدر علي كمالي ... وغيرهم، حيث اكتشف الصافي انه شاعر ساعده في ذلك ملك الشعراء الذي عد اول من اشار الى شاعرية الصافي وشجعه على كتابة الشعر بعد ان وجد فيه المقدرة على ذلك، فكان يقول له : (( انت شاعر بروحك))(٢) ، مما جعله يراجع نفسه على هذه الكلمة وقد قال في صديقه :

وقـــال مليـــك الـــشعر انّـــي شـــاعر ... وقلـــت ولكـــن لـــم اجـــد حـــين انظـــم

فقـــال: ولكـــن رغـــم ذا روح شـــاعر ... لـــديك ومنـــك القـــول عنهـــا يتـــرجم

فـــسجلت مـــا تملـــي علـــي مـــشاعري ... فهـــز النـــوادي اذ بـــه تتـــرنم (٣)

وبعد جهود مضنية تشبه جهود حفر الابار، اخذ الشعر ينبع من روحه، وكانت حصيلة هذا الينبوع قصيدته المشهورة (الشاي) والتي مطلعها :

لـــئن كـــان غيـــري بالمدامـــة مولعـــا ... فقـــد ولعـــت نفـــسي بـــشاي معطـــر

اذا صـــبّ فـــي كـــاس الزجـــاج حـــسبته ... مـــذاب عقيـــق صـــبّ فـــي كـــأس جـــوهر (٤)

وقد ترجمت هذه القصيدة الى اكثر من لغة، وقد تذكر الصافي صديقه ملك الشعراء بعد ان رأى رسما تذكاريا معه، فقال :

رجعـــت بـــه الـــى طهـــران دارا ... اقمـــت بهـــا ســـنينا ناعمـــات

مليـــك الـــشعر، كنـــت لـــه وزيـــرا ... لـــدن كـــشف المخبـــأ مـــن هبـــاتي

وقـــال لـــديك روح الـــشعر تـــسمو ... علـــى كـــل النفـــوس الـــشاعرات

فقلـــت، ففـــيم لـــست اجيـــد نظمـــا ... فقـــال : الـــنظم غيـــر الموهبـــات

فـــذا كالرمـــل، منتـــشر، وهـــذي ... نـــوادر كـــاللآلي النـــادرات

نظـــرت بـــه نبـــي الـــشعر عنـــي ... تنبـــأ بـــالقوافي الخالـــدات (١)

---

(1 ) ينظر : احمد الصافي في حياته ــ شعره : ٣٩ – ٤٠ ، احمد الصافي شاعر العصر : ٢٣- ٢٩ ، شاعرية الصافي : ٢٠ ، مجلة افكار : ١٩٦٧: ع١٣: شاعر يقص قصة حياته : عارف البغدادي : ٥٨ .
(2 ) مجلة الاقلام : ١٩٧٠ : ع٧ : مع الصافي النجفي : ماجد السامرائي : ٩٠ .
(3 ) المجموعة الكاملة : ٣٤٣ - ٣٤٤ .
(4 ) الامواج : ٧٩ -٨٠ .

ولقد ساعده في اكتشاف موهبته الشعرية بيئة ايران الخلابة وحبه للطبيعة وجمالها، فضلا عن اطلاعه على اداب الفرس، مما وسعت مداركه، وفتحت عينيه، وشحذت قريحته، ومن المآثر التي اطلع عليها هي رباعيات الخيام للشاعر الفارسي عمر الخيام، وقد ترجمت الى العربية شعرا ونثرا، ومن الذين قاموا بترجمتها : البستاني والزهاوي وعلي الشرقي واحمد حامد الصراف واحمد رامي واحمد هاشمي والياس فرحات ....

وقد تأثر الصافي بالرباعيات ولا سيما بعد ان اطلع على ترجمة البستاني، يقول : (( واول ما قرأت من رباعيات الخيام تعريب الاديب والسيد وديع البستاني وقد اثرت في نفسي قرائتها [كذا] بحيث نقلتني من عالمي المحسوس الى عالم ملؤه اللذة والهناء، فوددت لو بقيت فيه ولا انتقل الى هذا العالم المادي المفعم بالالام والاتعاب ... اخذت اسعى للوصول الى ينبوع الرباعيات الاصلي . لان السواقي والانهار مهما نقيت لا بد وان تحمل مع النمير العذب فضلات وزوائد تعكر لونه وتفسد طعمه)) [٢] ، لذلك فقد جعل الصافي في اثناء اقامته في طهران همه الاكبر الغور الى اعماق الادب الفارسي لكي يسهل عليه عملية الوصول الى ما اعتمد عليه الخيام في رباعياته، يقول : ((فكل ذلك حرك رغبتي في محاولة فك الطلاسم واكتشاف ما اختبأ في ذلك الكنز لعلي استطيع ان اتحف قراء العربية ... لا بتلك الخيالات الشعرية ... التي ... تدعو الى اللذات فحسب بل بتلك اللئالي[ كذا] المكنونة التي تمثل آراء الخيام الفلسفية ونكاته الادبية البديعة))[٣] ، فجاءت الرباعيات كما ارادها الصافي متعة فنية لقراء العربية باسلوب اخاذ وترجمة حرفية لتلك الافكار، وما تنطوي عليه من حقائق واوهام، ونقلا للاراء التي دعا اليها ذلك الفيلسوف، وكأن روح الخيام قدانتقلت اليه ليعبر بها عما يريد قوله :

اخيام قد ارسلت روحك هاديا    لروحيَ في اتقان هذي التراجم

فانّيَ تلميذ لروحك في الاسى    امارسه من قبل حل التمائم [٤]

وقد عرض الصافي تلك الترجمة على العلامة محمد القزويني، فقال فيها :(( يمكن ان يقال ان هذه الترجمة اقرب الترجمات الشعرية للخيام بلا استثناء))[٥] ، وقد سانده في هذا الرأي العلامة الملقب بصدر الافاضل والذي كان استاذا للادب العربي، بقوله :(( اكاد اعتقد ان الخيام نظم رباعياته بالعربية والفارسية معا وقد فقد العربي منها فعثرت عليه وانتحلته لنفسك))[٦] ، ووافقهم في هذا الرأي احمد حامد الصراف، في قوله:((وعندي ان اصح الترجمات على الاطلاق هي ترجمة الشاعر العربي الفذ صديقنا احمد الصافي النجفي))[٧] فـ(( لولا القرابة القوية بين الصافي والخيام في التفكير والصفات لما قدر الصافي ان يترجم الخيام فالصافي خيام العرب ومن يطالع شعر الصافي يجد روحه اكثر شبها بروح الخيام فكأن انفاس الخيام ترددت في صدره وكأن عبقريته قد انتقلت اليه))[٨]، وهذا ما اكده الصافي ايضا في ابياته الشعرية المتقدمة الذكر .

ويختلف ابو نصر الحسيني في رأيه عن الاخرين على ان هذه الرباعيات بالرغم مما عليه من التفوق الا ان فيها اخطاء يقول :(( انها اصح الترجمات الى العربية على الاطلاق الى الان لكننا وجدنا فيها اخطاء))[٩] .

## العودة الى العراق :

لم ينس الصافي العراق طيلة مدة اقامته في طهران، بل كان يتابع اخباره باهتمام كبير ليكون على علم بما يحدث فيه من تقدم وتطور، فبعد ان لبت الحكومة البريطانية طلب العراقيين في الحصول علىالاستقلال اخذ

---

(1 ) المجموعة الكاملة : ٦٠٦ .
(2 ) رباعيات الخيام : عمر الخيام ، تعريب : احمد الصافي : ٥ .
(3 ) م . ن: ٦- ٧ .
(4 ) هواجس : ٣٤١ .
(5 ) رباعيات الخيام : ١٦ .
(6 ) م . ن : ١٨ .
(7 ) عمر الخيام : احمد حامد الصراف : ٤٢ .
(8 ) م . ن : ٤٣ .
(9 ) كشف اللثام عن رباعيات الخيام : ابو نصر الطوازي الحسيني : ٩٦ .

الحنين والشوق يدب به للرجوع الى ارض الوطن، بعد ان جاءته نداءات الحكومة والاهل والاصدقاء تدعوه للعودة، فلبى النداء وعاد سنة ١٩٢٧ بعد ان قضى ثمان سنوات في ايران، يقول :

سمعت من العراق قديم لحن رجعت به لجناتي ومائي

فكم لي في العراق عهود حب وعهد صفا ، وعهد من هناء [1]

ولما وصل الى الحدود وجاءه الخفر لكي يفتشوه، فرآهم بملابس تحمل شعار الحرية والاستقلال فاخذت دموعه تسيل بفرح شديد، فسألوه عن سبب بكائه وفرحه؟ فاجابهم شارحا قصة هروبه ولما سمعوا تلك القصة اخذوا يبكون معه. ولما وصل الى بغداد التقى هناك بالشاعر الكبير جميل صدقي الزهاوي، وعرض عليه قصيدته (الليل والنجوم) والتي مطلعها :

ارّقني والحبّ شأنه الارق وما الهوى الا الدموع والحرق

فبتّ اشكو لخيالك الجوى وبات صحبي من شكاتي في قلق

حتى خيالك اغتدى ذا قسوة فما رققت لي ولا الخيال رق [2]

فاعجب بها ايما اعجاب ، وقال في الصافي :(( شاعر كبير خليق بالاكبار فهو كوكب وقاد وقد طلع في سماء الادب بازغا فملأ العيون نورا والقلوب سرورا ... وسيكون لشاعرنا النجفي هذا ، شأن في العراق وغير العراق من البلاد العربية، ويذيع صيته كما يذيع ضوء الصباح المسفر))[3] ، ومن ثم توجه الى النجف فاستقبله اهله بالحفاوة والتكريم، وحاولت وزارة العدل والتي كان يترأسها السيد داود الحيدري انذاك تعيينه قاضيا شرعيا في بلدة الناصرية الا ان الامراض التي كان يعاني منها قد عاودته وجو العراق الشديد الحرارة حال دون تحقيق تلك الرغبة، يقول الصافي في ذلك :

سافرت عن وطني دهرا فارجعني له الوفا والهوى والمدمع الهتن

سافرت عنه ولما ان رجعت له نبا بيَ السقم عن مثواه والمحن [4]

بقي الصافي في العراق ثلاث سنوات يعاني من تلك الامراض الى ان هيأ الله له طبيبا من حلب هو سعد الدين عيسى الذي ادخله الى مستشفاه في كربلاء، واخذ يتعالج عنده فنصحه بالسفر الى بلاد الشام لغرض الاستشفاء والاستجمام لان جو العراق لا يناسبه، فالصافي كان متأثرا بامه ويبدو انه ورث مزاجها، يقول : ((امي لبنانية من اسرة آل معتوق الساكنة في جبل عامل ولذلك فقد ورثت مزاجها على عكس اخوتي الذين ورثوا مزاج ابيهم النجفي ...))[5] ، وقد اشار الى تلك الامراض بقوله :

وعدت الى الاوطان من بعد غربة بها التجربات الكثر، والحلو ، والمر

وقلت ستجدي تجرباتي موطني واسعد في اهلي ويبسم لي الدهر

فعادت لي الامراض تنهش بنيتي وساعدها الحرمان والعيشة الصفر

(1 ) الشلال : ١١٥ .
(2 ) الامواج : ٧١ .
(3 ) م . ن : ٧٠ - ٧١ .
(4 ) التيار : احمد الصافي :١٦٦ .
(5 ) مجلة الف باء : ١٩٧٧ : ع٤٥٥ : احمد الصافي النجفي نصف قرن من الشعر والغربة : مرشد الزبيدي : ٥٠ .

فعـدت طريحـا ، والمنـى حـول مفرشـي مطرحـــة تبكـــي ، واشـــعاري البكـــر

الـــى ان اتـــاني مـــن يـــد الله منقـــذ فقمـت ، وفـي الكفـين مـن صـحتي ، عـشر

فوجهـــت ســـيري للـــشآم ، وكلهـــا بـــلادي ، وتقـسيم الـبلاد هـو الكفـر [١]

## الرحلة الى بلاد الشام :

لم تكن الامراض هي السبب الوحيد في اختيارالشاعر السفر الى بلاد الشام ، بل (( ان هناك اسبابا مزاجية صرفة ))[٢] جعلته يفكر في السفر، لم يصرح ببعضها، كما في قوله :

مـــا فـــي محيطـــي جـــاذب يقتـــادني فـــاذا مـــشيت ، فمـــشيتي عـــن دافـــع

لـــي مـــانع عـــن ذكـــر ارائـــي كمـــا لـــي مـــانع عـــن ذكـــر ذاك المـــانع[٣]

وصرح بالبعض الاخر فالصافي حين رجع من ايران رجع محملا بافكار جديدة لا تتلائم وروح العصر، تقوده في ذلك فلسفة الخيام التي امن بها ايما ايمان والتي تعتمد في حقيقتها على مبدأ الرفض والتشكيك، فضلا عن شعوره الحساس وعقليته الفذة التي كانت ترفض ما هو موجود في بلدته النجف من القيود والعادات والتقاليد التي تؤدي بالانسان الى الجمود، فهو(( شاعر تجردت نفسه عن المطامع وسمت عن محيطها. فهي لا تباهي بما اصطلح عليه الناس من عادات وتقاليد؛ بل هي تطل عليهم وتاخذفي توبيخهم لانهم لا يتجردون تجردها ولا يتمردون تمردها))[٤] ، لذلك فهو يقول :

اتبـــع العـــادات وهـــي زخـــارف ومـــا زلـــت بـــين النـــاس اســـعى لرفعهـــا

ولـــست بعـــادات الانـــام مقيـــدا لانّـــي مـــا شـــاركتهم يـــوم وضـــعها

ولكـــن عـــاداتي بروحـــي تأصـــلت وان كـــان منـــي العقـــل يـــسعى لقلعهـــا [٥]

لذلك فان الصافي عوقب اشد عقاب ، واتهم بالكفر والالحاد من قبل المتزمتين الذين يقفون حجرا امام كل تقدم او تطور قد يحدث في بلدته النجف خاصة والعراق عامة ، يقول :

عوقبـــت لمـــا خالفـــت مجتمعـــي فـــي كـــل شـــيء ، عقـــاب مرتـــد

ووقفـــت ضـــد الجميـــع فـــي ســـنني لا تعجبـــوا مـــن وقـــوفهم ضـــدي [٦]

ولهذا فانه ((انفصل عن النجف انفصالا نهائيا متخذا له عزلة روحية تتلائم وشاعريته الفياضة))[٧] علّه يجد في غيره من يستمع الى افكاره ورؤياه الجديدة، والراحة النفسية التي افتقدها هناك، بالرغم من الشوق والحنين الذي يعاني منه وهو يتذكر ايام الطفولة وذكريات الصبا، يقول :

تركـــت بـــالرغم منـــي بلـــدتي النجفـــا علـــي ارى فـــي ســـواها راحـــة وصـــفا

---

(1 ) المجموعة الكاملة : ١٧٣ .
(2 ) البحث عن معنى : د. عبد الواحد لؤلؤة :٤٦.
(3 ) الامواج : ١١٩.
(4 ) مجلة الاعتدال : ١٩٣٥ : ع٤: الامواج : ايليا ابو ماضي : ٢٦٨ .
(5 ) الاغوار : احمد الصافي :١٨١ .
(6 ) المجموعة الكاملة :٧٦ .
(7 ) مجلة الهاتف : ١٩٣٨ : ع١٤١ : عشرة ايام مع الصافي : حسن الجواهري : ٥ .

حـــسي وغلظـــة هـــذا الخلـــق ســـببتا لـــي الفـــرار ، فـــضاع العمـــر واللهفـــا [١]

فلقد جعله هؤلاء البشر يكره بلدته التي لم يعد يشعر بحاجة للرجوع اليها، متخذا من الشعر وسيلة قد تساعده في الالتقاء باناس يحملون افكاره وتطلعاته الجديدة، ولو ان الصافي بقي هناك لفقد حياته من تأثير ذلك الجو الخانق والامراض التي كان يعاني منها، ولفقد معه ادبه المنتظر، يقول :

وعفـــــت العـــــراق وامراضـــــه واهلـــــي وقـــــومي وبـــــاقي الـــــذكر

نجـــوت ولـــو كنـــت ابقـــى لمـــتّ ومـــــات معـــــي الادب المنتظـــــر

فـــضاعفت عمـــري بتـــرك العـــراق والا لــــضعت وضـــــاع العمـــــر [٢]

وكذلك فالصافي كانت لديه الرغبة الشديدة في رؤية بلد اخواله الذين احبهم واحبوه، من خلال ما كانت ترويه والدته من قصص وروايات عن تلك البلاد البعيدة، فخلقت له الاجواء التي ساعدته على تقبل فكرة السفر والرحيل عن بلاده، يقول :

بنـــــات الرافـــــدين ابـــــي وامـــــي (لعامـــــل) تنتمـــــي وطنـــــا والا

كـــــأني جـــــاعلا لبنـــــان داري اســـــافر والـــــدا ، واقـــــيم خـــــالا [٣]

هذا فضلا عن بحثه عن ناشر يطبع له الرباعيات بعد ان فشل في نيل مبتغاه في العراق .

## حياته بين سوريا ولبنان :

في سنة ١٩٣٠ سافر الصافي الى سوريا التي اعجب بها ايما اعجاب، لما رآه من المنظر الخلاب والجو الجميل والوجوه الحسنة، يقول :

ياســـوريا مـــا انـــت غيـــر خريـــدة قـــد كثـــر العـــشاق فيـــك جمـــال

هـــذا الجمـــال عليـــك جـــرّ مـــصائبا ان الجمـــال علـــى ذويـــه وبـــال [٤]

وقد اختار من سوريا دمشق ليحل بها، ويعدها وطنا له، فلقد جاءها حاملا معه نصف ديوانه الاول (الامواج) الذي الفه في ايران والعراق، وتعب سنين مضت، وحفنة من تراب وطنه الغالي الذي احب البقاء فيه، ولكنه نسي تلك الهموم التي جاء يحملها عندما حل في دمشق بما اضفته عليه من الود والمحبة، يقول :

اتيـــت جلـــق مجتـــازا علـــى عجـــل فـــاعجبتني حتـــى اخترتهـــا وطنـــا

لا يبـــرح الحـــسن يومـــا عـــن مرابعهـــا كأنّمـــا الحـــسن مـــن قـــدم بهـــا افتتنـــا [٥]

وهناك خلع الشاعر العمامة السوداء وارتدى الكوفية البيضاء والعقال الاسود، وهو بهذا الزي يمكن تمييزه عن اهالي الشام الذين عرفوا بطرابيشهم الطويلة وملابسهم العريضة، حتى يظن الناظر اليه انه من اهل البدو،

---

(1) المجموعة الكاملة : ٤٢٧ .
(2) م . ن :٥٨ .
(3) هواجس : ١٥٤ .
(4) الامواج :١٣٥ .
(5) الحان اللهيب : ١٦٤ ، اللفحات : احمد الصافي : ١٠٦ .

بينما ينظر اليه اهل البدو على انه من اهل الحضر، وكأنه اختار هذا الزي متعمدا حتى يتقرب اليه العاقل ويبتعد عنه الجاهل، يقول :

قـد حجبـت جـوهري العلـوي البـستي | كالرمـل يحجـب عنـا غـالي الـذهب
فـصار يـسعى الـى لقيـاي ، ذو فطـن | وصـار يهـرب مـن مـرآي كـل غبـي [1]

وفي دمشق عاش الصافي باحثا عن مأوى له بعيدا عن كل الضوضاء والضجيج الذي يحدث في المدن عادة، وما لبث يتنقل من مكان لاخر تاركا حتى اجرته التي دفعها لصاحب الدار فهو كـ(الخضر) في تجواله وترحاله، يقول :

اطـوف ولا ارى لـي مـن مقـرّ | يـصابح ليلتـي فيهـا النهـار
ولكـن كلمـا يممـت ارضـا | يـصير لهـا مقـام واعتبـار
كـأني الخـضر ، تطوافـا وسـيرا | لـه فـي كـل ناحيـة مـزار [2]

واخيرا، بعد ان ضاق به السبيل في العثور على المنزل الذي يبتغيه، اشار عليه اناس بالذهاب الى مديرية الاوقاف الدينية عله يجد ضالته هناك وكان مدير الاوقاف الدينية انذاك الشيخ عبد القادر الخطيب وهو من محبي الادب، فقدم له الصافي رباعياته، فرحب به ولبى طلبه، واسكنه في مدرسة دينية تدعى مدرسة الخياطيين الواقعة في سوق الحرير كان اغلب سكانها من اللاجئين الفلسطينيين، وهذه الغرفة اذا ما رأيتها تعجبت كيف يسكن فيها الصافي، فهي خالية الا من الله، يقول :

بيتـي مـن الـفقر بيـت الله تحسبـه | لكنـه فـارغ الا مـن الله [3]

فهي غرفة مليئة بالثقوب والشقوق التي تجعلها مهددة بالسقوط في اي وقت ، ولكنه مرتاح فيها وسعيد لقربها من المقبرة ، فلا يسمع صوتها ولا تسمع صوته ، فسكانها يغطون في سبات طويل ، يقول:

وبيـت سـكنت بـه مـوحش | ارى الجـن مـن قربـه تفـزع
فمـن طـرف جـار بيتـي الخـراب | ومـن طـرف جـاره البلقـع
وبـالقرب منـي جبانّـة | مـدى الـدهر سـكانها هجّـع
امنـت بهـم ثرثـرات اللـسان | فلـست اقـول ولا اسـمع [4]

وما حاجته الى هذه الغرفة الا في الليل لكي ياوي اليها، وهو لا يستقبل فيها احدا الا نادرا الا انه سعيد بها ، يقول : (( انا صاحب مزاج وربما كل شاعر وكل فنان هو كذلك ايضا))[5] ، اما في النهار فانه يقضيه متنقلا بين مقاهي سوريا، وقد كان ملازما للمقهى العربي الذي بقي يعتز به حتى بعد ان تم تهديمه واضيف الى شركة باتا، فقال في حقه ((انه اول مقهى فتحت عليه عيني في دمشق وتعرفت الى دمشق وادبائها وصحافييها وشعرائها في جو جميل بما فيه من دخان الاراكيل وقرقعة النرد وصياح الخدمة وقوافل الشحاذين اصدقائي الكرام وكنت اسكن منذ الصباح الباكر حتى ساعة متأخرة من الليل وبفضل ذلك اصبح لي هذا المقهى وطنا ثانيا يجب علي بكاؤه ورثاؤه ... ومن هنا تعرف ايها القارئ ماذا كنت اناله من السلوى عند جلوسي في ذلك المقهى من مشاهدة

---

(1) اللفحات : ٢٧٥ ـ ٢٧٦ .
(2) المجموعة الكاملة : ٦٦٦ .
(3) هواجس : ٢٤٩ .
(4) اللفحات : ١٥٩ - ١٦٠ .
(5) احمد الصافي النجفي رحلة العمر : عبد الله الشيتي :١٧ .

من مشاهدة حركة المجتمع امامي فاني بعد ان اصبحت لا استطيع التجول للتفرج على المجتمع فلا اقل من ان اجلس في محل ارى المجتمع يتجول امامي))[١]، كما ان لهذا المقهى التأثير الكبير في تكوين شاعرية الصافي لذلك فقد ظل يؤبنه طيلة حياته ويشبهه بالبيت الذي اخرج منه رغما عنه، لذلك فهو يقول:((وها انا ارسل الى روح المقهى العربي الذي كان مهبط وحي والهامي ومستشفى اسقامي والامي وبيمارستان افكاري واوهامي ومنبع الامي واحلامي وزهرة ليلاتي وايامي زفرة حارة تكاد تحرق بنارها جميع المقاهي الحية))[٢]، وبالتالي فقد اضطره الحال الى البحث عن مقهى اخر يقضي فيه الشاعر ايامه الاتية، بالرغم من العيوب التي كان يراها في المقاهي المتبقية .

فاخذ ينتقل بين مقهى الكمال الذي اصبح (( عش الادباء ووكر الصحفيين ))[٣] ، ومقهى غازي، ومقهى البرازيل، ومقهى النصر، ومقهى علي باشا، ومقهى الهافانا، ومقهى كوكب الشرق، ومقهى الروضة فهذه المقاهي وغيرها هي بيوت للصافي في نهاره ، يقول :

اتخـــــذت مقـــــاميَ المقهــــى نهــــارا    كمـــــأوى العـــــاجزين ذوي العيـــــاء

لانّـــــي لــــم اطــــق ســــيرا ونقــــلا    ولــــم اطــــق الجلــــوس بــــلا اتكــــاء

.   .   .

اقابــــل كـــــل يـــــوم الــــف شــــخص    اعــــــاملهم كـــــــاقرب اصـــــــدقائي

غــــــدوت رئـــــيس ديــــوان الاقــــي    جموعـــــا دون اجــــــر او جـــــزاء [٤]

وللصافي في مقاهيه جلسة خاصة فهو يبحث عن الهدوء فيها اولا وعن الجو الجميل الذي يلائمه ثانيا يناجي نفسه، ويعيش مع عالمه الزاخر، عالم الفكر الجوال، والنفس الفياضة بالشعور والاحاسيس .

وفي جلسته تلك طرقا خاصة تختلف عن جلسات الاخرين، فهو لا يكتف بكرسي واحد، بل يحتاج من ٣-٤ كراسي، فواحد يجلس عليه، والاخر يضع عليه ما يحمله من اوراق ومجلات وجرائد، والثالث يتكأ عليه ويمد رجليه، اما الرابع فيخص به كوفيته ولا سيما في فصل الصيف حيث يكون الجو حارا، وقد قال في كوفيته تلك :

للحــــر والقــــر، لــــي كوفيــــة نفعــــت    وهــــي الــــشعار بــــه للعــــرب انتــــسب

كــــذاك عنــــدي جمــــال الــــروح تحفظــــه    حينــــا بهــــا عــــن قبــــاح الــــروح احتجــــب [٥]

فضلا عن عباءته التي يحملها اينما حل او رحل ، يقول :

عبــــــاءتي تقلقهــــــا ريـــــــح الـــــــصبا    كأنهــــا ارثــــــي مــــــن اهــــــل العبــــــا

امشـــــي بـــــــها مراعيــــــا شعـــــــورها    اخـــــاف ان امســــها تغـــــدو هبـــــا[٦]

اما لبنان (بلد اخواله) فانه احبه مثلما احب سوريا، فهو يرى في اي بلد عربي هو موطن له، يقول :

انّـــي امـــرؤ عربـــي، والـــعلى نسبـــي    فـــي اي ارض ارى عـــربا ارى وطنـــا [٧]

---

(1 ) هزل وجد :٥٢ ــ ٥٣ .
(2 ) م . ن :٥٥ .
(3 ) م . ن : ٥٤ .
(4 ) اللفحات :١٣٢-١٣٤ .
(5 ) المجموعة الكاملة :٥٤٩ .
(6 ) هواجس : ٥٨ .
(7 ) الحان اللهيب : ١٦٥، اللفحات :١٠٧ .

وقد اعجب الشاعر بمناظر لبنان الخلابة وجوها الهادئ الجميل، فقرر ان يبقى فيه لينتهل من جماله العذب الذي يتجدد بتجدد الليالي والايام، يقول :

بلبنـــان الطبيعـــة فـــي ازدهـــار وللنـــــسمات ســــكر كالعقـــــار

كأنّـــك يـــا منـــاظر بحـــر حـــسن كـــأني زورق فـــي الحـــسن جـــار [١]

فهو يحب التنقل كثيرا من بلد الى بلد يطوي الارض مرتحلا باحثا عن الخبايا والاسرار التي تخفيها تلك الطبيعة الساحرة، يقول :((دائما اتنقل مثل البدو والرحل . في داخل كل منا بدوي رحالة . احب التنقل بحثا عن العشب والشكل الحسن والماء والخضرة ))[٢]، وكان في رحلاته الكثيرة بين سوريا ولبنان يتنقل من دون جواز للسفر فقد عرف لدى رجال الحدود بـ ( الشاعر الصافي النجفي ) .

سكن الشاعر بيروت عند انتقاله الى لبنان ومنها اتجه الى بعلبك ومن ثم قصد جزين حتى انتهى به المطاف الى صيدا، وقد اتخذ في لبنان ـ كما هو الحال في سوريا ـ مقاه عدة، ومنها : مقهى الحاج داود ومقهى البحرين وهما يطلان على مرفأ البحر فكان يقضي جل وقته بهما، يقول :

علـــى مرفـــأ البحـــر يممـــت مقهـــى ارى فيـــه مـــن كـــل جـــنس قبـــيلا

اذا كـــاد ســـفر بـــه يـــستقر يـــصيح المنـــادي الرحيـــل الـــرحيلا

كـــأنّ بـــه ســـينماء الحيـــاة يـــسابق فيهـــا الرحيـــل النـــزولا [٣]

فاذا ما تعذر جلوسه هناك اتخذ من مقهى فاروق، ومقهى ابي عفيف ومقهى فلسطين مقرا له، وقد كان يزعجه في تلك المقاهي وفي غيرها زوارها الذين لا عمل لهم الا اللعب بالنرد، يقول :

ومقهـــى موجـــع بـــالنرد راســـي يطيـــر مـــدى الحيـــاة لـــه نعاســـي

تعـــالى القـــرع مـــن كـــل النـــواحي كـــأني منـــه فـــي ســـوق النحـــاس

وقـــوم جامـــدين علـــى كـــراس تظـــن بـــانّهم بعـــض الكراســـي [٤]

فضلا عن روادها الاخرين الذين تولعوا بالتدخين ، فاحالوا تلك المقاهي الى مواقد قد اعدت للطبخ من جراء ذلك الدخان المتطاير، فيقول :

فلـــم ار مثـــل جلاســـي بـــلاء لهـــم فـــي الـــذوق شـــأن غيـــر شـــأني

فهـــم يحبـــونني مـــنهم دخانـــا اذا احبـــــوهم درر المعـــــاني

جزائـــي اذ اســـرّهمو ، دخـــان كفيـــل باختنـــاقيَ فـــي ثـــوان [٥]

اما اماكن سكناه فلقد تراوحت ما بين العيش في غرفة من بيت مهجور الى اخر في فندق قديم ، ومنها الى بيت جديد او فندق اخر ... فتنقلاته المستمرة ما هي الا محطات يقضي بها الصافي اياما ليرتحل بعدها الى اخرى، يقول :

---

(1 ) شرر :١٠١ .
(2 ) احمد الصافي النجفي رحلة العمر :٢٣ .
(3 ) هواجس :٤٥ .
(4 ) التيار :١٦٨ .
(5 ) الشلال :٢٤٧ .

ماديـــــــاري الا محطـــــــات ســـــير ومكـــــوثي بهـــا مكـــوث القطـــــار

كـــل عمـــري محطـــة، انـــا منهـــا ســـــائر نحـــو عــــالم متــــوار [١]

## المرأة في حياة الصافي :

لم يستطع الشاعر ان يربط مصيره بمصير اية امرأة وهو يعيش في حالة من الزهد وعدم الاستقرار المتواصل، فضلا عن الامراض الكثيرة التي يعاني منها، وهي : ضعف البنية العام، والدوسنطاريا، والتيفوئيد، والتهاب القصبات المزمن، وارتفاع سكر الدم، فـ ((هو اقرب الى مستشفى متحرك منه الى شاعر رقيق مجدد في تفكيره، محلق في خيال))[٢] ، فهو يقول : ((المرأة في حياتي ليس لها دور مهم او رئيسي تقريبا ... المرأة لا تشكل عندي قضية مصيرية . هي اهل ان تسهم في قضايا المصير))[٣]، ولكنه فكر بها يوم كان شابا في العراق حيث اراد ان يتزوج من قريبة زوجة اخيه الكبير السيد محمد رضا الصافي، فوافق الاخ ووعد بتسهيل مهمات الزواج، ولكنه بعد شهور تراجع عن رأيه وقرر ان يزوجه من ابنة عمه، فرفض تلك الفكرة بعد ان عاش تلك المدة يفكر في بناء اسرة وفي ذلك الرباط المقدس، لذلك فقد فرهاربا من البيت، يقول :

لقـد حـاول الاهـل اقترانـي فـي الـصبا فلـــم ترضـــه نفـــسي القريبـــة للفـــن

فغــرّدت فــي الافــاق فــي الكــون كلــه وابــدع شــعري الــف لــون مــن اللحــن

. . .

فلـــو نظـــروا مـــا ابدعتـــه عزوبتـــي فهـل كـان فـي التـزويج مـن عـوض يغنـي

فـــلا شـــك كـــانوا يغفـــرون تمـــردي ولـم ينـسبوا يومـا عقوقـا لـذا الابـن [٤]

وربما عادت فكرة رفض الصافي لمبدأ الزواج الى قبح شكله الذي يقول فيه : ((لاني عديم المال ضعيف الجسم دميم الوجه وقد قلت هاجيا وجهي :

وجهـــــي دمـــــيم وقلبـــــي عــــــدو كـــــل دمـــــيم

الفــــــي جفـــــاي وانّـــــي اراه غيـــــــر ملـــــــوم

لوكـــــان وجهـــــي بكفـــــي القيتــــه فـــــي الجحـــــيم)) [٥]

لهذا فانه اطلق دعواه الى الله بان يشوه كل الوجوه الجميلة حتى لا يلقى الرفض والقسوة ممن يحب، يقول :

يا رب شـــوه لـــي وجـــوه الغيـــد كيـــلا اعـــذب منـــهم بـصـدود[٦]

---

(1) شرر :٦٠ .
(2) العراق الجديد : عمر ابو النصر :٢٣٣ .
(3) احمد الصافي النجفي رحلة العمر :١٨ .
(4) المجموعة الكاملة : ٣٠٠ .
(5) هزل وجد :٧٣ .
(6) التيار :١١٧.

ويبدو ان الصافي يهدأ من ثورته في رفض الزواج بعد الحاح من قبل الاصدقاء، فيعود الى التفكير به مرة اخرى، ولكنه يضع شروطا خاصة في المرأة التي يطلبها، وقد نشرتها جريدة الجزيرة علـه يجد تلك المرأة، والشروط هي :

ان لاتطلب مالا ولا جمالا ولا كمالا، ولا تطلب صحة ولا بشاشة الوجه ولا الضحك ، ولا تطلب منه ان ينظم الشعر في جمالها، وان تكون مالكة لبيت لانه لا يملكه، وان لا تطلب منه ان يمشي معها طويلا لانه لا يستطيع، وان تكون ذات جمال متوسط وان يكون لباسها بسيط، وشعرها مسترسل طويل، وان تكون ذات ثقافة متوسطة حتى يستطيع ان يجاريها في الحديث، وان لا تكون شاعرة، وان تكون خفيفة الظل والروح حاضرة النكتة، لتستطيع ان تسليه عن الالام والامراض التي يشكو منها[١]. واما ما يعدها به فهو(( قلب نقي وروح صافية وحب خالص لها دون باقي بنات جنسها))[٢]، ولكنه لم يحظ بحب امرأة تحمل تلك الصفات، فقال :((وها انا قد اشرفت على الاربعين من عمري وحتى الان لم احظ بحب امرأة ولم اقابل بنظرات الحب من امرأة دميمة او جميلة جاهلة او متعلمة شاعرة او جامدة الا وقابلتني بالاعراض والازدراء حتى يئست من نجاحي بالحصول على عطف امرأة))[٣] ، وفضلا عما تقدم يمكن ان يعود رفضه للارتباط بامرأة للخوف من فقدان الحرية او الفوضى التي يعيشها، يقول هلال ناجي :(( اعتقد ان عشق الصافي للحرية الفردية، جعله لا يطيق الزواج بامرأة ولا انجاب الاطفال فقد رأى بتجربته ان المرأة تتحكم في بعض امور زوجها فتقيد حريته، والصافي حر لا يطيق هذا التقييد))[٤] ، فهو مكتف بالشعر عروسا له تلبي جميع ما يرغب به ويطمح اليه من دون اي ازعاج او تعنت، فهيهات ان يبدلها باية امرأة اخرى، يقول :

عروسة الشعر لا تطيق عروسة ... فان ترها فرت سريعا من الدار

وفكرت ما بين العروسين برهة ... وفضلت مختارا، عروسة اشعاري [٥]

# مصادر رزقه في دمشق وبيروت :

يمكن ان يتبادر الى الذهن، من اين يعيش الصافي ليدفع اجرة الغرفة التي يسكن فيها، واجرة طعامه وشرابه البسيط يوميا؟ وهو يجيب عن هذا السؤال المحير، بقوله :

وسائل مم عيشي ؟ قلت : من كتبي ... فقال : انك حقا عائش برغد

فليس مثلك شخص عاش من كتب ... فقلت : لكن عيشي لم يعشه احد [٦]

فهو يعيش على ما تدره عليه قصائده التي ينشرها في المجلات والصحف العراقية والعربية، اوما كان يحصل عليه مما يطبعه من الرباعيات والدواوين الشعرية، وهي قليلة جدا لا تكفي لمعيشته البسيطة، وقد عبر الياس ابو شبكة عن فقر الشاعر والحالة التي يعيش فيها، وانه مقتنع بها، فقال :(( الصافي فقير يشقيه فقره حينا ويسعده احيانا... وما عرفت قبل الان شاعرا فقيرا استطاع ان يطوف بفقره في مثل هذا المهرجان من كنوز النفس ... ما عرفت قبل الان شاعرا فقيرا استطاع ان يقنعني بان فقرا يشع في مثل هذه الهالة انما هواذلال وتحقير لكل غني من الناس ))[٧] ، فهو يرفض اي هدية تقدم اليه من صديق او منظمة او حكومة او غيرها .

وقد اخذت الصحف العراقية تكتب عن حالة الصافي المعيشية واخذت تطالب بالنظر الى حاله المزري، فرد عليهم، قائلا : (( يجرحوني وهم يحسبون انهم يداوون جروحي فبين مدة ومدة ارى الصحف العراقية تتناولني موضوعا لاهتمامها فتشكو للعالم وللعراق وللحكومة بؤسي وان هؤلاء ليسيئون الي بمقدار ما يحاولون

---

(1 ) ينظر : هزل وجد :٦٧- ٦٨ .
(2 ) م . ن : ٦٩ .
(3 ) م. ن : ٧٣ .
(4 ) احمد الصافي شاعر العصر :١٣ .
(5 ) المجموعة الكاملة :٢٣٣ .
(6 ) اشعة ملونة : احمد الصافي :٤٩ .
(7 ) اشعة ملونة :٩ - ١٠ .

الاحسان ... اني لا اكترث للمال فقد تعلمت ان لكل حالة لبوسها))[١]، فالصافي كانسان (( مصاب بدائين الفقر والاباء وكلاهما لا يحققان))[٢] ما يراد له، فكأن اشلاء جسمه الضعيف قد تماسكت بذلك العز والاباء، يقول :

اشـــلا ء جـــسمي بالابـــاء تماســكت ينهـــار جـــسمي ان فقـــدت ابـــائي [٣]

فهو مكتف بما رزقه الله به من الملكة الشعرية التي صارت عنوانا يعرف به، يقول :

انـــا حـــسبي ثـــروة مـــن ادب قـــد كفتنـــي عـــن طـــلاب الـــذهب

فليـــدم جيبـــي فقيـــرا، انّمـــا فقـــر جيبـــي ثـــروة لـــلادب [٤]

لم تكترث الحكومة العراقية في العهد الجمهوري بقيادة عبد الكريم قاسم لما كان يقوله الشاعر وظلت تتابع اخباره وتقدم له المساعدة، فقررت تعيينه بوظيفة ( وهمية ) وهي معاون ملحق ثقافي[٥]، ولكنه رفضها ظنا منه ان هذه الوظيفة تقييد حريته، ولكن الحكومة العراقية لم تعبأ لهذا الرفض، بل قررت الاستمرار في مساعدته بطريقة او باخرى . وفي عام ١٩٦٨ خصصت الحكومة العراقية بقيادة احمد حسن البكر راتبا تقاعديا للصافي كان مقداره ( مائة دينار ) ويرجع الفضل في ذلك الى سفير العراق في لبنان د . ناصر الحاني الذي كان معجبا به غاية الاعجاب، فقال : (( فلقد وجدتني اعيش بعالم انماز بصفات لم نرها من قبل في الذين دعونا الى الاستماع اليهم والعيش معهم من معاصريه، انه فريد حقا))[٦] ، وبعد الحاح شديد قبل الصافي ذلك الراتب فهو قد احس وكأنه بتقاعده هذا الذي جاء في ايام كهولته هو وظيفته، فقال :

لقـــد وظفـــوني حـــين اصـــبحت عـــاجزا كـــأني اعطـــي راتبـــا للتقاعـــد

تقاعـــدي الممقـــوت دور وظيفتـــي وتوظيـــف مثلـــي نظمـــه للفرائـــد [٧]

فهو راض بالقليل الذي يلبي رغباته المحدودة في حياته البسيطة من دون الحاجة الى ذلك الراتب الذي يشكل عنده علامة للموت وايذانا بقربه .

## علاقته بالبيئة الادبية في سوريا ولبنان :

لقد استطاع الصافي ان يكوّن له علاقات طيبة مع ادباء الشام والاقطار العربية الاخرى، فهو كما يقول عبد اللطيف شرارة : (( ان هذه هي حياته وهذا مجمل ما يمكن ان ينتج عنها فما عليه اذن الا ان ينفق ايامه في نظم الشعر، ومعاشرة الادباء ومخالطة الصحفيين والشعراء والمفكرين وتوجيه الناشئين))[٨] .

وكان في مقدمة الادباء الذين تعرف بهم الشاعر هو يوسف العين صاحب مجلة الف باء الدمشقية، وقد دامت علاقته به حتى وفاة العين، فضلا عن العلاقات الاخرى التي اقامها مع ادباء وشعراء اخرين، من امثال: الشاعر السوري عمر ابو ريشة، وبدوي الجبل، وخليل مردم، و فؤاد الشايب، وعبد القادر الحفاء، واحمد الجندي، ومعروف الاناؤوط، وزهير المارديني ... وغيره.

اما في لبنان فكما هو الحال في سوريا فقد تعرف الصافي بادباء وشعراء ربطتهم معه روابط المحبة و الاخاء، ومنهم : رئيف الخوري (الذي ابنه باكثر من مقطوعة )، والياس ابي شبكة، وميخائيل نعيمة، وايليا ابي ماضي ( الذي كان معجبا به منذ كان في العراق )، والشاعر القروي، والاخطل الصغير، ونزار الزين صاحب

---

(1 ) هكذا عرفتهم :٦ : ٢٣٧ ــ ٢٣٨ .
(2 ) مجلة الفرات : ١٩٤٧ :ع٩ : مع الصافي : باقر سماكة :٤ .
(3 ) اللفحات :٣١٤ .
(4 ) اشعة ملونة :٤٦ .
(5 ) ينظر : مجلة المكتبة : ١٩٦١ :ع١ : عزة النفس عند الصافي : عبد الرزاق الهلالي : ١
(6 ) دراسات في النقد والشعر : د . ناصر الحاني : ٣٠ .
(7 ) اشعة ملونة :١٨٥ .
(8 ) الصافي : عبد اللطيف شرارة :٢٠ .

مجلة العرفان، وعمر الفاخوري، ونسيب الاختيار، وامين نخلة، والياس فرحات، وامين الريحاني، وشفيق معلوف، وعبد اللطيف شرارة، ونجيب جمال الدين ... وغيرهم .

اما من الاقطار العربية الاخرى فمن مصر ربطته بالعقاد اواصر المحبة والاخاء، ومن الاردن روكس العزيزي وغيرهم، هذا فضلا عن العلاقات التي ربطته بادباء العراق وطنه الغالي، ويأتي في مقدمة هؤلاء الاديب جعفر الخليلي .

وقد تناول د . محسن جمال الدين علاقات الصافي مع ادباء العراق والعرب، بقوله : (( ولا اعتقد ان اديبا او مثقفا زار سورية ولبنان الا وسأل عن الصافي وجلس اليه حيث استمتع بحديثه ومجلسه وقرأ الشاعر عليه من شعره ونكاته (( هزله و جده )) ))(1).

## علاقته بناشري دواوينه :

ان من اسباب مجيء الصافي الى لبنان هو حاجته الماسة الى طبع دواوينه التي اقلقته واثارت همومه، فقال:

همـــوم لطبـــع الـــشعر تقلـــق فكرتـــي    فتجعـــــل اشـــــعاري تقطّـــــع بـــــالاه

علـــي فنـــون الـــشعر اتقـــن صـــنعها    وطبعـــك يـــاديوان شـــعري علـــى الله (2)

فالطبع يعد في نظره من اشد الحروب فتكا التي تنال الاديب حيث يتلاعب تجار النشر بمشاعر واحاسيس الشعراء ويخضعون اشعارهم لمقاييس الربح والخسارة، فهؤلاء لا يعرفون الشعر ولا يهتمون به ولا بترتيب كلماته بقدر اهتمامهم بالمال حيث الاخطاء والاغلاط التي قد تصل الى الاوزان والقوافي مما حدا بالصافي الى ان يتعهد بعدم الرجوع الى دور النشر مرة اخرى لطبع دواوينه، يقول :

لاغـــلاط المطـــابع فـــي قريـــضي    جـــروح وســـط قلبـــي لا تـــزول

فكـــم اجهـــدت فكـــري فـــي قـــصيد    اذا مـــا قيـــل تعـــشقه العقـــول

فـــشوّهت المطـــابع منـــه وجهـــا    وعـــدت كأنّمـــا شـــعري فـــضول (3)

فهو يتمنى ان يعود الى عصر الخط تخلصا مما يعانيه في الطبع من متاعب جمة تتركه يعاني لايام طويلة، يقول:

لقـــد كـــان عـــصر الخـــط للكـــل جامعـــا    فـــر مـــن عـــصر الطبـــع ذيالـــك العـــصر (4)

لهذا فلقد اضطربت علاقته بناشري دواوينه الذين لا دأب لهم سوى البحث عن المال الذي تدره اشعاره دون الالتفات الى قيمة تلك الاشعار وما تتركه من اثر عميق في النفس، فهي تمثل روح الشاعر القدسية، لتنتقل معاناته مع الطبع الى تلك الروح ايضا، حيث يزداد شعره كلما كان مفلسا فلا يجد مالا ليطبع به ذلك الشعر، ويقل اذا ما توفر لديه المال الكافي، فقال :

تزيـــد بنـــات الـــشعر ان عظـــم الغـــلا    فـــاعجز عـــن ان امـــنح ( الطبـــع ) اشـــعاري

---

(1 ) جريدة الجمهورية البغدادية : ١٩٧٧ : ع٣٠٠٥ : الصافي النجفي .. السفير البارع والمدافع عن قوميته ووطنه : د . محسن جمال الدين : ٦ نقلا عن شعر احمد الصافي النجفي : حاتم عبد حبوب :٣٦.

(2 ) اشعة ملونة :١٧٣ .

(3 ) التيار :١٨١ .

(4 ) الامواج : ٢٨٢ .

وتكثـــر اشــــعاري اذا كنــــت معــــسرا    كمـــا كثــــرت اولاد صـــــاحب اعـــــسار

بليــــت بفكـــــر للبنـــــين مــــــــولّد    فلـــو انّنـــي اسطيــع عقمت افكـــاري [1]

لذلك فانه يمكن ان يصل الى مرحلة يلعن فيها الشعر والشاعر والنشر والناشر لما يحس به من المتاعب والالام التي تتركه يعاني ويتألم من جراء ما يحدث، يقول :

ســــاركل هـــــذا الوجـــــود الــــدني    واكفـــــــر بالبــــــــشر الكـــــــافر

واحـــرق شــــعري الـــذي لــــم يــــذع    واهـــــــزأ بالنـــــــشر والناشــــــــر [2]

# الصافي والدين :

ربما يتساءل احدهم في رحلة الصافي الطويلة تلك هل انه مؤمن بالله ام لا ؟ وان كان مؤمنا فهل هو ملتزم بشرائع الاسلام ؟

ويرد الشاعر على ذلك التساؤل بقوله : ((امنت في صبايا مقلدا ثم انقلبت في شبابي شاكا على حافة الجحود ثم امنت بعقلي وقلبي في كهولتي ثم زدت ايمانا كلما دنوت من خريف عمري الى شتائه وها انا الان ادلف الى شيخوختي ملؤها الايمان فمن بعد تيه في دروب الشك امنت، والصراط المستقيم اهتديت، وبالحمد والشكر اتوجه الى رب العالمين في كل حين))[3]، وقد اشار الى ذلك ايضا في شعره الذي يعد مستندا الى تلك المراحل التي مر بها :

اتــسأل عــن دينــي وكفــري ، فــسل شــعري    فــشعري يقــول الــشعر اكثــر مــن نثــري

يعـــــاقبني ان قلـــــت مــــا لا احـــــسّه    فـشعري اليـه الامـر والنهـي فـي امـري [4]

ولهذا فالشاعر مر بثلاث مراحل ابتدأها بالايمان وانتقل بعدها الى الشك ليعود مرة اخرى الى الايمان، ولكنه في كل مرحلة لم يحد عن جادة الحق ابدا، بل كان داعية له يساعد من خلاله الاخرين، يقول :

لقــد طفــت فـــي كـــل الحيـــاة مغـــامرا    بكـــل نواحيهـــا وعـــدت الـــى اصـــلي

بكفــري وايمـــاني عـــن الحـــق لـــم احـــد    وللخيـر سـعيي كـان فـي العلـم والجهـل [5]

اما المراحل التي مر بها ، فهي :

١- **مرحلة الصبا** : وهي تمثل ايمانه الذي اعتمد فيه على مبدأ التقليد الذي يتبع فيه الابناء الاباء والاجداد، فالدين في هذه المرحلة يعتبر احد الموروثات وقد اتبع الصافي ذلك التقليد في دينه .

٢- **مرحلة الشباب** : وهي تمثل مرحلة الشك الذي حصل عند الصافي فنبذ كل شيء في مجتمعه والتي منها الدين الذي وجده يؤدي الى التعصب والجمود، ولا سيما بعد ان رجع من ايران ــ كما مر سابقا ــ محملا بافكار ورؤى جديدة واطلاعه على الادب الفارسي ورباعيات الخيام القائمة على مبدأ الشك والالحاد، وقد قال في هذا المبدأ الذي اعتمد عليه في معرفة عقائده والتمسك به :

(1) هواجس :١٨٠ .
(2) اللفحات : ٤٧ .
(3) مجلة العربي :١٩٧٨ :ع٢٣٧ : احمد الصافي النجفي .. هكذا عرفته : د . فيصل دبدوب :٦٢ .
(4) المجموعة الكاملة : ٤٦٣ .
(5) الشلال : ٥٢ .

قـــد اعتقـــدت نفـــسي باشـــياء جمّـــة          قـــديما ولكـــن بعـــد زيّفهـــا الحـــك

الـــى ان اتاهـــا جـــيش شـــك فهـــدها          فامـــست قـــصور القطـــع بالـــشك تنـــدك

. . .

وهـــا انـــا بالـــشك استـــرحت وان اكـــن          قطعـــت بـــشيء ثابـــت فهـــو الـــشك [1]

وقد ارجع هذا التشكيك الى تطور عقله الذي جاء نتيجة لتأثره بالعلوم الحديثة ، فقال :

ســـلام علـــى جهـــل ســـعدت بوهمـــه          وتعـــسا لعلـــم بالحقـــائق اشـــقاني

فـــلا انـــا فـــي ذا العـــالم اليـــوم هـــانئ          ولا العقـــل يـــسمو بـــي الـــى عـــالم ثـــان [2]

كما علل ايضا سبب التجائه هذا الى تأثره بفلسفة دارون القائمة على اصل الانواع في الرجوع الى تكوين اصل البشرية، فقال :

الا كـــم نعـــيم فـــي التنـــسك مـــر لـــي          وكـــم مـــن هنـــاء فـــي التقـــى لـــست انـــساه

فقـــد كنـــت فـــي جـــو الجنـــان مرفرفـــا          يبلّغنـــــي الايمـــــان مـــــا اتمنـــــاه

بنيـــت قـــصورا فـــي الجنـــان كثيـــرة          وهـــــدمها (درويـــــن ) يلعنـــــه الله [3]

٣- **مرحلة الكهولة** : وهي تمثل ايمانه بالله سبحانه والوحدانية له من خلال ايمانه الذي جاء عن تجربة ويقين وتأمل وتفكير والنظر في علاقات الكائنات مع الله وعلاقاتها بعضها مع البعض الاخر، يقول :

امنـــت بعـــد الكفـــر بعـــد تأمـــل          وتمـــرد هـــذا هـــو الايمـــان

فـــي الكـــون معجـــز تـــان حيـــر تـــا معـــا          ذا العقـــل خلـــق الكـــون والقـــران [4]

فالذي ساعده في الوصول الى جادة الصواب هو القران الكريم والذي يعد " معجزة " من معجزات الله الخالدة، وهو منبع الوجود ومجمع الاديان يحوي التعاليم والسنن والقوانين والفصاحة والادب، فهو وحي من الله ونوره المنزل على نبيه (ص)، يقول :

مـــن لـــم يـــذق ادب القـــران معجـــزة          اضـــحى يواجـــه فـــي الايمـــان نقـــصانا

فالـــــدين لـــــيس بتقليـــــد نلقنـــــه          بـــل اقتنـــاع يقـــيم العقـــل برهانـــا [5]

ومن ثم التجأ الى عقله فرده الى تلك الجادة ، يقول :

امـــــا انـــــا فالعقـــــــل اوصـــــ (م)          لنـــــــــي لديـــــــــن محمـــــد [6]

وقد امن قلبه بذلك ايضا يقول :

---

(1) الاغوار : ٤٩ – ٥٠ .
(2) الامواج : ٢٥٨ .
(3) م . ن : ٢٥٩ .
(4) الشلال :٣١٥ .
(5) المجموعة الكاملة :٦٥ .
(6) م . ن :٤٠ .

راح يقـــوى علــى المــدى ايمانـــي فبربـــي قــد امتلــــى وجـــــداني
قيــل لـــي هـــل عـرفتـــه بــــدليل او بحــــــسّ شهدتـــه او عيــــان
قلــت كــــلا ، ايمـــان قلبـــي اقــوى مــن دعــاوى الحــواس و البرهـــان[1]

وقد ارجع ايمانه ايضا الى اطلاعه على ديوان المثنوي لجلال الدين الرومي، فقال : (( كان موقفي الفكري بسبب اتصالي بالافكار الجديدة التي قضت على ايماني الموروث، وقد اطلعت انذاك على ديوان ( المثنوي ) لجلال الدين الرومي . وقد اجبرت نفسي على قراءة ما يقوله عن الله، فوجدت انه استطاع ان يسحبني اليه، وجعلني ارى الله في كل شيء ... واخذ ايماني يزداد على الزمن))[2] . وقد انعكس ايمانه بالله على الرباعيات التي قام بترجمتها، فانه كان يطمح ان تكون تلك الترجمة (متعه فنية للقراء) فقد اراد((الاستفادة من التجربة التي تتضمنها بمراحلها الثلاث ما قبل الاصلاح وفي اثناء الاصلاح وما بعده))[3]، ولكن هذه الاستفادة لا تتم((الا لمن كان بمستوى الاستيعاب والوعي الذي يؤهله ويميز بين ما هو سلبي لاجتنابه وما هو ايجابي لاقتدائه))[4] .

وقد كان الصافي يظن ان تلك الرباعيات ستفيد المجتمع بما تحمله من فلسفة وحكم وبكل ما تحويه من ابعاد ومراحل، ولكن تلك الغاية لم تجد من يصغي اليها وصارت بايدي افراد لا يمتون لاهل الفن والادب باي صلة، فبعد ان كانت تلقى في مهرجانات الشعر والادب صارت تلقى في الحانات، يقول الصافي :

ظننــــت ترجمـــــة الخيـــــام مــــأثرة اذا بهــــا لــــضعاف الــــرأي اجـــرام
ان كـــان هـــذا مـــآل الـــشعر فـــي نفـــر لا كــــان شـــعر ولا خمـــر وخيـــام [5]

فقد استغفر الصافي لترجمته تلك الرباعيات بعد ان رأى فيها مبدأ للتشكيك والالحاد، فقال : ((انني الان اجد الرباعيات تدعو الى الالحاد والخمر والتشكيك، وانا اشعر بالواجب والثورة ورسالتي في شعري هي ضد رسالة الخيام))[6]، وقد طبع الصافي الرباعيات خمس طبعات خلال ثلاث سنوات وطبعت طبعة سادسة عن طريق السرقة، فبيعت باسعار مرتفعة، وقد عرضت دار نشر بيروتية عشرة الاف ليرة لبنانية على ان يمنحها الصافي حقوق الطبع ولكنه رفض رغم حاجته الشديدة للمال[7] .

اما من ناحية التزامه بشرائع الاسلام الحنيف فهو مؤمن بها وان كان لا يؤديها للضعف والمرض الذي كان يشكو منه، كما يقول : (( انا مؤمن بالله واصلي دائما بقلبي لان جسمي مريض ولو كنت اصلي بجسمي لما صليت الا (قصرا) لاني لم انو الاقامة طيلة هذه الاعوام في الغربة ولا يوما واحدا وكلها فرضت علي بسبب ضعف صحت ))[8]، وهو يعلل ان لم يستطع الصلاة بجسمه فانه صلى لله بالف صلاة من انواع مختلفة، يقول:

انـــا لـــم اصــــل مــــن ضـــعف جـــسمي فالتجــــائي اليــــك الـــــف صــــلاة
لــــو يــــصلون مــــن شــــعور وقلــــب دخلـــوا فـــي الجنـــان قبـــل الممـــات [9]

ولكنه بعد ان حصل على ايمانه العميق وعقيدته الراسخة اخذ يصلي بجسمه ايضا، فقال :

بــــالروح كنــــت اصــــلي دونمـــا ملـــل اســـبّح الله ، فـــي ســـري واعلانـــي
واليـــوم روحـــي وجـــسمي بالـــصلاة لـــه قامـــا لمـــا زاد مـــن فـــضل واحـــسان [1]

(1) شرر : ١١١.
(2) مجلة الف باء : ١٩٧٦ :ع٣٩٠ : احمد الصافي النجفي يقول : الشاعر ملك او قاطع طريق : مرشد الزبيدي : ٤٥.
(3) اتجاهات شعر الصافي النجفي في تغيير المجتمع : هاشم المحنك (كتاب مخطوط ) .
(4) م . ن .
(5) الحان اللهيب : ١٠٢-١٠٣ .
(6) البحث عن معنى : ٤٦ ــ ٤٧ .
(7) ينظر : م . ن .
(8) مجلة الاذاعة والتلفزيون : ١٩٧٦ :ع١٧٩ : احمد الصافي النجفي وحديث عن الغربة والعودة : تركي كاظم جودة :٤٣ .
(9) المجموعة الكاملة : ٤٨٧ .

## سجنه واسبابه :

لما قامت ثورة رشيد عالي الكيلاني عام ١٩٤١ بادر الصافي الى المساهمة فيها عن طريق المظاهرات والمسيرات التي عمت شوارع لبنان، ولا سيما المظاهرات التي قام بها طلاب الجامعة الامريكية و كان الشاعر يتقدم تلك المظاهرات بالرغم من الامراض التي يعاني منها، هذا فضلا عن تعاونه مع بعض العناصر القومية في لبنان لارسال متطوعين الى العراق للمشاركة في تلك الثورة [٢] ... فالصافي يحب الثورات وان كانت على الحق اذاعد باطلا، يقول :

ارحــب بـــالثورات حتـــى علـــى الحـــق فمـــا الحـــق الا ثـــورة للعلـــى تبقـــى

ارى الحـــق بطـــلا حـــين يـــصبح هادئـــا ارى البطـل حقـا اذ يثـور علـى الحـق [٣]

ولما دخل الانكليز الى لبنان هربت العناصر القومية الى خارج الاراضي اللبنانية، ولا سيما بعد ان اخذ الانكليز يعتقلون ويعذبون كل من له صلة بتلك الثورة، فقبضوا على الصافي الذي لم يستطع الهرب بسبب الامراض التي يعاني منها، وقد كان مطلوبا للانكليز ايام ثورة ١٩٢٠ التي كان له شأن فيها باعتباره احد الشباب الاحرار الذين قادوا تلك الثورة، و كأنهم بهذا ارادوا ان يستردوا الدين القديم، يقول :

ســجنت و قبلــي فــي العلــى ســجنوا اخــي وامـــل فـــي العليـــاء ان يـــسجنوا الابنـــا

اذا لـــم نـــورث تـــاج مجـــد وســـؤدد لابنائنـــا طـــرا نـــورّثهم ســـجنا [٤]

فهو لم يتمن ان يكون شاعرا في حياته، بل على العكس من ذلك فقد كان يطمح الى ان يقود الناس الى الحرية والتقدم عن طريق الحروب والثورات، يقول : (( اني في حقيقة امري لم اخلق لاكون شاعرا، وانما كنت اطمح ان اكون سياسيا مناضلا اعمل ولا اتكلم، وافعل ولا اقول، واقود الجماهير الى معارك التحرير))[٥].

اما الشبهة التي وجهت اليه فهي اتهامه بالانتماء الى النازية مع ان الشاعر بعيد كل البعد عنه ، يقول رئيف الخوري :(( فان ما خبرته من الصافي خلقا واحساسا وتفكيرا وشعورا يخولني ان اشهد ان معدنه النفسي ابعد شيء عن معدن النازية))[٦]، وكما اشار الى ذلك د . عبد الرزاق محي الدين في قوله : ((انه قومي ... ولكن قوميته قومية معدن لا تحتاج لان يكونها تصيير وتعدين))[٧] ، وهذه التهمة كانت توجه الى كل وطني شريف.

وقد سجن الصافي في سجن فوق ادارة الامن العام الفرنسية في حاووز الساعاتية تمهيدا لنقله الى معتقل المية ومية، وقد كان حصيلة هذا الحبس ديوانا اسماه ( حصاد السجن ) وقد اهداه ((الى كل سجين ومرشح للسجن في سبيل الحرية والواجب))[٨] ، وقد قال مرحبا بذلك السجن :

اهـــلا بـــسجني لـــشهر او لاعـــوام فانّمـــا يـــوم ســـجني تـــاج ايـــامي

قـــضيت طـــرا ، حقـــوق الـــنفس كاملـــة واليـوم فـي الـسجن اقـضي حـق اقـوامي

ان يـــسجنوني فجرمـــي يـــا لـــه شـــرفا انّـــي احـــارب قومـــا اهـــل اجرامـــي [١]

---

(1 ) المجموعة الكاملة : ٥٦٣ .
(2 ) ينظر : الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ١٩١٤-١٩٤١ : د . رؤوف الواعظ :٢٩٣-٣٠٤ .
(3 ) اشعة ملونة : ٧٠ .
(4 ) حصاد السجن :٩٥ .
(5 ) شاعرية الصافي : ٣١٠ .
(6 ) حصاد السجن :٦٤ .
(7 ) مجلة البلاغ : ١٩٧٨ :ع٤ : الشاعر احمد الصافي النجفي : د . عبد الرزاق محيي الدين :٥٩ ، مجلة مجمع اللغة العربية :١٩٧٩ ع٣٠ : الشاعر احمد الصافي النجفي : د . عبد الرزاق محيي الدين : ١٧٨ .
(8 ) حصاد السجن :٧ .

وقد اشار الصافي الى الجرم الذي اقترفه فنال بسببه السجن فطاب له ذلك ورضي به، يقول :

حسبت ولم اعلم بذنبي فاصبحت ... لي الارض في ضيق وضاق بي الافق

ولما علمت الذنب خدمة موطني ... حلا السجن في عيني وطاب لي الشنق[٢]

ولقد وضعوه ورفاقه الوطنيين في غرفة خالية وكأنهم الاثاث التي يزينونها بهم، من دون مراعاة لكونهم بشر لهم ذات الحقوق التي يحملها الاخرون وان كانوا في مواقع الضعف، يقول :

رمونا كالبضائع في سجون ... وعافونا ولم يبدو اكتراثا

رمونا في السجون بلا اثاث ... فاصبحنا لسجنهم اثاثا [٣]

وقد اصيب الشاعر بالزحار الاميبي (( وصاحب هذا الداء بحاجة ماسة الى دورة المياه بين فترة واخرى قصيرة الامد لذا لا عجب ان كاد يغمى عليه في زنزانته من شدة العناء والقيء وقيود السجن وغلظة السجان))[٤].

ولما عرف مدير السجن شخصيته واطلع على مرضه اخرجه من ذلك السجن المظلم الى غرفة مضيئة، وتنازل له عن فراشه، واستدعى له طبيبا لعلاجه، ولكن حالته ازدادت سوء فنقل الى مستشفى سان جورج وقد وضع على بابه حارس يبدل كل ست ساعات باخر، فشبهه الصافي بكلب الحراسة الذي يقف بلا حراك في لحظة الانتظار والترقب، يقول :

نقلت من السجون الى مصح ... كدار الخلد ذي مرأى بهيج

ولكن اوقفوا في الباب كلبا ... يضايق في الدخول وفي الخروج [٥]

وبعد مضي شهر ونصف الشهر افرج عن الشاعر بعد ضغط من قبل الحكومة العراقية وبمساعي من صالح جبر الذي كان وزيرا للداخلية ووكيلا للخارجية، فخرج وفي نفسه الرغبة في البقاء في ذلك السجن الذي صار مكانا مألوفا قد اعتاد عليه، يقول :

كنت اخشى في السجن ان تأت بشرى ... بفكاكي ، اصب لها بالجنون

اطلقوني من بعد ما اعتدت سجني ... فكأني مجددا سجنوني [٦]

## اصابته بالرصاصة الطائشة في الحرب الاهلية اللبنانية :

شهد الصافي خلال وجوده في لبنان الثورات والحروب الاهلية التي حدثت بين الشعب والحكومة من جهة وبين الشعب والشعب من جهة اخرى، فاخذ يبكي على لبنان الذي احبه كثيرا، يقول :((لبنان لا يحتمل كل هذا ! ليتركوه لنا مكانا جميلا نتنفس فيه بحرية بعد ان اغلقوا نوافذهم التي تدخل منها الحرية ... ضاقت بهم الدنيا

---

(1) حصاد السجن :٨١ .
(2) م . ن : ١١٦ .
(3) م . ن : ١٠١ .
(4) مجلة العربي :١٩٧٨ :ع٢٣٧ : احمد الصافي .. هكذا عرفته : د . فيصل دبدوب :٦١ .
(5) حصار السجن : ١٣٥ .
(6) م . ن : ٥٦ .

ووسعت في لبنان الصغير ... حرام، لا يجوز ان تصل الامور الى حد احراق البلد... انا اعرف لبنان وخصوصياته الاجتماعية والسياسية))[١] .

ففي عام ١٩٥٨ يجد الصافي نفسه وحيدا في فندق بصيدا بعد ان هجر اهله واصحابه، وقد الف الشاعر اصوات وقع الرصاص والقنابل وصار يتخيلها في منامه، وهو متلاؤم معها فلا خوف ولا قتل، يقول :

يـــايوم صـــيدا، والرصـــاص لوقعـــه وازيــــزه فــــي مـــــسمعي انغــــام

واتـــى الظـــلام فنمـــت، يغمـــر نـــومتي وقـــع الرصـــاص كأنــــه احـــلام [٢]

وبقي على هذا الحال لمدة خمسة اشهر حتى اتاه الشعر زائرا، فقال : ((كنت مبتهجا بالشعر الذي انقطع عني طوال سبع سنوات))[٣] ، فاعطاه القوة والشجاعة وهو يعيش بين كتل النار واللهب والاسلحة، يقول :

بـــسنا القنابـــل قـــد كتبـــت قـــصائدي فاضـــــفت نيرانـــــا الـــــى نيـــــران

لهبـــان مـــن شـــعر وحـــرب اججـــا فعجبـــــت ايّهمـــــا وقـــــود الثـــــاني

ليـــت الـــصواعق والرعـــود جميعهـــا بيــــــدي فانظمهـــــا علـــــى الاوزان [٤]

ثم تمر الاعوام تلو الاعوام والصافي يعيش في لبنان متنقلا بين مدنه تارة، ومصائفه تارة اخرى، الى ان سكن قرية الغبيرة الموصوفة بجودة مناخها، ومنها الى بيروت التي اتخذها مقرا له، فاستأجر شقة صغيرة كانت بجوار عائلة مسيحية، وقد عنيت بالشاعر عناية فائقة فحاول الصافي ان يرد ذلك الجميل بالهدايا التي كان يجلبها في الاعياد والمناسبات، فضلا عن استئجاره لغرفة في فندق المعرض الكبير، فكان يتنقل بين تلك الغرفة والشقة.

وفي اثناء اقامة الصافي في بيروت تقوم حرب اهلية طاحنة تصل ذروتها عام ١٩٧٥ ــ ١٩٧٦، فقال واصفا اياها :

حـــال كئيـــب قـــد قيـــدت املـــي كـــــأنّ حـــــالي ســــجن امــــالي

والوقـــت مثـــل المكـــان ضـــاق ، فمـــا نخـــرج حتـــى نعـــود فـــي الحـــال

والمـــوت طـــول الطريـــق منتظـــر والـــنفس قـــد هـــان ســـعرها الغـــالي [٥]

وقد صدق الشاعر بقوله، فان الموت قد جاءه ولكنه اخطأ الهدف، فترك ما يدل على وجوده، حيث رأى الجيران خمس رصاصات على جدار الشقة التي يقطنها، ولكنه لا يعيرها الانتباه، يقول :

بـــين الرصـــاص نفـــذت ضـــمن معـــارك وبـــرغم انـــف المـــوت هـــا انـــا ســـالم

ولهـــا ثقـــوب فـــي جـــداري خمـــسة قـــد اخطـــأت جـــسمي وهـــن علائـــم

ولـــدي (خمـــس مجـــامع) مخطوطـــة فيهـــا مـــن الـــشعر الغريـــب عـــوالم

(1 ) احمد الصافي النجفي : زهير المارديني : ٤٠ .
(2 ) الشلال : ٢٦٥ .
(3 ) احمد الصافي النجفي عالم حر : د. جلال الخياط : ١٤ .
(4 ) الحان اللهيب :٧٩ .
(5 ) الشلال :٢٣٧- ٢٣٨ .

للعـــــالم الادبـــــي فيهـــــا ثـــــروة ... مـــاذا ســـيفقد ، لـــو اصـــبت العـــالم [١]

فهو يخاف على تلك الاشعار التي لم تحظ كباقي اخواتها بالنشر، ولا سيما بعد ان يأتي الى شقته فيجد ان احدهم قد فتشها، فيخفيها تحت احجار ويضع فوقها بعض الاشياء الثمينة ليغري بها اولئك اللصوص .

والصافي الذي لا يعرف الاستقرار ابدا يضطره الحال الى البقاء في بيته، فلا يخرج منه الا بحثا عن الخبز الذي يسد به الرمق، وهو في مشيته يدب كدبيب النمل الذي لا يشعر بوجوده احد، ولا سيما بعد ان اخذ الضعف والمرض منه الشيء الكثير، فضلا عن ضعف بصره الذي كان بسبب خطأ في وصفة طبيب .

ويحاول في احدى المرات احد القناصين اغتياله فتخترق رصاصة ساقه واخرى رئتيه، ويظل الشاعر ملقى ينزف قرابة ساعتين فلا يفكر الا باشعاره، ويحاول النهوض ليعود الى شقته فلا يستطيع، وتأتيه سيارة اسعاف كانت تمر بالصدفة فتنقله الى مستشفى المقاصد ويتعرف مديرها على شخصيته فيوليه الرعاية التامة، ويبلغ السفارة العراقية في لبنان وتنقل الاذاعات العربية والصحف خبر اصابته .

يستيقظ الصافي في المستشفى وهو يحاول الرجوع الى الشقة لانقاذ اشعاره، وكأن رسالته الشعرية لا تتم الا بنشر تلك الاشعار، وهو يتساءل في نفسه لمن يترك تلك الاشعار ومن يعرف قيمتها ؟ ويأتيه صوت من تلك الاشعار تطالبه بالعودة :

فاسمـــع صـــوت (مخطـــوطات شعـــري ) ... تناديـنـــــــي : اتتـــــركنا يتــــــامى ؟[٢]

فقد ترك الصافي عشرة دواوين مطبوعة، وهي : الامواج، اشعة ملونة الاغوار التيار، الحان اللهيب، هواجس، حصاد السجن، شرر، اللفحات، الشلال، فضلا عن ايمان الصافي وهو مختارات شعرية من دواوينه السابقة، ودواوينه الخمسة التي كانت تنتظر الطبع لولا احداث لبنان، وهي : شباب السبعين، بلا اسم، كما جاء ، تمرد النشيد، المطعم .

وقد جاءت دواوينه التي (( نظمها في ظروف مختلفة وفي نواح متعددة من نواحي الحياة، وفي مكنونات النفس البشرية ورسوم الاخلاق وشواذ الكون وغرائب البشر ... فهي شعور الشاعر اتجاه كل ما يحس وما يرى ناهيك باحساس الشاعر المرهف ونظره الفاحص المستوعب))[٣] وقد مثل في دواوينه تلك روح العراق فكان كالسفير والممثل له في كل المحافل الدولية على صعيد الشعر، يقول :

مثلـــت روح العـــراق الفـــذّ فـــي ادبـــي ... انـــا الـــسفير لـــه فـــي كـــل اســـفاري

هـــذي دواويـــن اشـــعاري تكلمكـــم ... ان غـصنّ حلقـي مـن فـيض باشـعاري [٤]

وقد احس الصافي بان الموت اخذ يطرق بابه، فاجابه بان ينتظر ريثما ينتهي من اكمال تلك الرسالة السامية، فانه يرحب به ويلقاه بصدر رحب وبفرح شديد، يقول :

وهيهـــات مـــوتي قبـــل انهـــاء واجبـــي ... وتكميـــل دوري ، فـــي رســـالاته الكثـــر

وهيهـات مـوتي قبـل ان ينتهـي شـعري ... وطبعـي، مـا الهمـت مـن شـعري البكـر

هنـــاك ، متـــى جـــاءني المـــوت ، يلقنـــي ... ارحـــب فـــي اســـتقباله ، فـــاتح الـــصدر [٥]

وتأتيه جارته ام حسن الى المستشفى فتبكي حاله، فيطلب منها ان تنقذ تلك المخطوطات الشعرية، فتلبي طلبه وتعده ان تأتيه بالاشعار، وتفلح في ذلك، وتسلمها الى السفارة العراقية بعد ان قطعت السبل بينها وبين الصافي.

---

(1) المجموعة الكاملة : ٧٢٠ .
(2) م . ن :٩٢.
(3) مجلة الرسالة :١٩٣٩: ع٣٠٥: اشعة ملونة للشاعر احمد الصافي النجفي :محمد عبد اللطيف : ٩٤٠.
(4) المجموعة الكاملة : ٧١٧ .
(5) المجموعة الكاملة : ١٩٩.

## العــودة :

اهتمت الحكومة العراقية بالشاعر بعد ان سمعت انباء عن اصابته، فقررت نقله الى بغداد لكي يتم علاجه هناك، ليعود الصافي الى العراق بعد ان اتعبته السنين الماضية، وامراضه والامه، وبدلا من ان يدخله ماشيا على قدميه عاد محمولا على فراش المرض يبحث عن ذكريات ماضيه، واهله الذين رحلوا، واصدقائه الذين تركوه، يقول :

قـــضيت عمـــري بالترحـــال، مبتعـــدا عـــن دار اهلـــي واصـــحابي وجيرانـــي

ان عـدت مـن غربـة طالـت سـابحث عـن انقـــاض دار وعـــن انقـــاض ســـكان [١]

ويأتي الى بغداد فيسمع بها ولا يراها، لانه فقد بصره، لكنه احس بها في قلبه الذي يفيض بالود والحب، فقال :

يـــــاعودة للـــــدار مـــــا اقـــــساها اســـــمع بغـــــداد ولا اراهـــــا [٢]

فلقد عاد وهو يعتصر الحزن والالم لعدم رؤيته بغداد، فالعلاقة بينهما وثيقة، فما يشكل الصافي الا قطعة من قلب بغداد اقتطعت فظلت تحن اليها، وها هي تعود برجوعه، يقول :

بغـــداد حـــار المـــادحون بوصـــفها زيـــن الـــبلاد كثيـــرة الاوصـــاف

كانـــت تحـــن لقطعـــة مـــن قلبهـــا عـــادت اليهـــا يـــوم عـــاد الـــصافي [٣]

وقد ادخل فور وصوله الى مدينة الطب لاكمال علاجه، فتحسنت صحته واستطاع الحديث والحركة بحرية تامة، فقرر ابن اخيه الاكبر د . علي الصافي نقله الى بيت استأجره في حي المنصور احتوى على جميع متطلبات حياته، وقد كان الصافي يحب ابن اخيه علي حيث رأى فيه صورته التي يستطيع ان يحقق من خلالها ما عجز عن تحقيقه هو، فالصافي هو (الاب الروحي ) له، يقول :

ايـــا ابـــن اخـــي يـــا (علـــي) الرتـــب ويـــــاخير فخـــــر لعـــــم واب

لانـــت نـــسيبي روحـــا وخلقـــا وتلـــك لعمـــري اعلـــى النـــسب [٤]

والصافي في رحلته الطويلة وسفره الى البلاد المختلفة لم يتغير خلقه ولم يتأثر بتلك البلاد، كما ان الالام والبؤس والشقاء الذي يعاني منه لم يؤثر فيه ابدا، فضلا عن السن التي تقدمت بـه كثيرا، فهو يجيب عمن يسأله عن خلقه، بقوله :

ســـاجيب : ســـني والـــسقام تـــآمرا لكـــن بخلقـــي ، ذرة مـــا اثـــرا

منـــذ الطفولـــة كـــان خلقـــي مـــا تـــرى ( متعرقـــا) (متفرســـا ) (متـــسورا) [٥]

ويرجع في عدم تغيير خلقه الى التزامه بمنهج الحق الذي اتخذه في مسيرته تلك اساسا يسير عليه اينما ذهب فقال:

---

(1 ) م . ن :٦٧٣ .
(2 ) م . ن : ٧١٧ .
(3 ) م . ن.
(4 ) م . ن : ٢٩٢ .
(5 )المجموعة الكاملة : ٤٧٤ .

حملــت لـــواء الحـــق فـــي كـــل مـــنهج فحربـــي واهــل البطــل جلــت عــن الحــصر

احـــارب اعـــدائي علـــى الـــف جبهـــة طوائـــف او احـــزاب او كـــل مغتـــر [1]

وقد عاش الشاعر في تلك الدار لمدة سنة زاره خلالها رجالات السياسة وعشاق الادب الذين كانوا يلحقون به اينما حل او رحل، ومع ان منظر هذا البيت جميل ومظهره خلاب الا ان الصافي لم يكن مرتاحا فيه، يقول : ((انا لا اشعر بالراحة في هذا البيت ... فلماذا لا يخصص لي مسكن خاص تشرف عليه الدولة ولتكن التكاليف من رواتبي المتراكمة التي لم استلمها منذ سنتين ))[2] ، فهو هنا يشعر بالضيق والاختناق وكأنه يعيش في سجن يقيده باغلال الهموم والاحزان في موقف واضح يدل على ما يعاني منه الشاعر وهو يعيش في هذا البيت.
ويعود التفكير به الى اشعاره المخطوطة التي لم تحظ بالنشر فهي ارثه الوحيد في هذه الحياة الفانية ، فهل من احد مؤتمن يتصدى لتلك المهمة ؟

كـــل يمـــوت كمـــا امـــوت وفرقنـــا ان لـــيس عنـــد الكـــل مـــسؤوليتي

عنـــدي عـــوالم فـــي دواويـــن ، ولـــم تطبـــع و بعـــدي هـــذه ذريتـــي

. . .

مـــن لـــي بمـــن اجـــد الوثـــوق بطبعهـــا فيـــه لكـــي القـــي لـــه بوصـــيتي [3]

ولما سمعت وزارة الاعلام العراقية هذا النداء لبته وكلفت د .جلال الخياط بالاشراف عليها وطباعتها، فتم ذلك.

## الوفـــاة :

في يوم ١٠-٦-١٩٧٧ نقل الصافي مرة اخرى الى مدينة الطب لتدهور حالته الصحية اثر اصابته بانفجار في الدماغ وتصلب الشرايين وتخثر في الدم، وبقي هناك وهو يدعو الموت بان يعجل في المجيء ليتخلص من الالام والاوجاع، يقول :

ضـاق صـدري يـا مـوت رحمـاك عجـل لا تمتنـــي مـــن شـــدة الانتظـــار

انـــت احلـــى مـــن الحيـــاة ولكـــن شـــوهتك الحيـــاة للنظـــار [4]

فمتى يوارى في القبر الذي تمنى الوصول اليه ليستريح من كل المتاعب والامراض التي يشعر بها، يقول :

ايـــا قبـــرا لـــه جـــسمي يـــؤول تعبـت مـن المـسير ، متـى الوصـول ؟

نـــسير ولا محـــطٌ لنـــا ليلقـــى عليـــه الجـــسم والعـــبء الثقيـــل [5]

وفي يوم الاثنين ٢٧-٦-١٩٧٧ وعندما اشارت عقارب الساعة الى الثانية عشرة والربع لفظ الصافي انفاسه الاخيرة، وفي صباح يوم الثلاثاء المصادف ١٨-٦-١٩٧٧ شيع جثمانه الطاهر ابتداء من جامع براثا الواقع في

---

(1 ) الشلال : ٢١٨ .
(2 ) مجلة الف باء : ١٩٧٧ : ع٤٥٥ : احمد الصافي ونصف قرن من الشعر والغربة : مرشد الزبيدي : ٥١ .
(3 ) المجموعة الكاملة : ٧٢٤ .
(4 ) الاغوار : ٦٢-٦٣ .
(5 ) اشعة ملونة : ١٠٦ .

بغداد جانب الكرخ بركب زاد على المائة سيارة، نقل بعدها الى مدينة كربلاء حيث طاف المشيعون به مرقدي الامام الحسين واخيه العباس (ع)، ثم اتجه الركب الى مدينة النجف وقد اقيم تشييع مهيب حضره السادة العلماء والشيوخ الوجهاء من كافة انحاء العراق، وقد شيع جثمانه الطاهر الى مرقد امير المؤمنين (ع)، لينقل بعدها الى مثواه الاخير في مقبرة الاسرة وقد صلى عليه المرجع الديني الاعلى السيد ابو القاسم الخوئي (قد) .

لقد احب الصافي العراق حبا جما، فكان يقول : ((احب العراق واعيش فيه اينما حللت وعزائي الوحيد انني اموت فيه))[1] .

ولقد تمنى الشاعر لو انه يكفن باوراق دواوينه، ويرتل باشعاره، وهي امنية غريبة انما تدل على مدى عشق الصافي لاشعاره، يقول :

هـــذي حيـــاتي اوصـــي ان رحلـــت غـــدا    ان تنقلوهـــــا معـــــي للعـــــالم الثـــــاني

فلقنـــــــوني باشـــــــعاري مرتلـــــــة    وكفنـــــــوني فـــــي اوراق ديـــــواني [2]

كما انه  تمنى ان يقذف في الصحراء بعد موته، لانه يعد القبر سجنا لروحه التي تعشق الحرية وترفض القيود والاغلال، يقول :

اقـــذفوني فـــي الفـــلا مـــن بعـــد مـــوتي    حبـــذا عيـــشي ومـــوتي فـــي الفـــلاة

لا تزجـــــــوني بقبـــــــر انّنـــــــي    ابغـــض الـــسجن ولـــو بعـــد ممـــاتي

واذا اصـــــبح جـــــسمي مـــــأكلا    لنـــــسور او ضـــــباع ضـــــاريات

يـــا لهـــا بعـــد ممـــاتي رحلـــة    فـــذة مـــتّ عليهـــا فـــي حيـــاتي[3]

وقد صدق الشاعر فان ذلك القبر لم يستطع ان يضمه وما زال الى الان يذكر على شفاه المنشدين لشعره، يقول :

تمـــــر قوافـــــل الاحيـــــاء تتـــــرى    ونبقـــــى فـــــي النفـــــوس مخلـــــدينا

ســـيعيى القبـــر عـــن ضـــمي ، لانّـــي    اعـــيش علـــى شـــفاه المنـــشدينا [4]

ويجيء الياس ابو شبكة ليحقق تلك النبوءة في ان احمد الصافي باق على مر العصور، يقول :((احمد الصافي النجفي ... هذا الاسم ... سيعيش طويلا ويخيل لي اني ارى خيال الاسطورة على حروفه . ما ابعد احمد الصافي عن الفن وما اقربه الى الطبيعة )) [5] .

---

(1 ) الوافي : ١٠٣ .
(2 ) المجموعة الكاملة : ٣١٠ .
(3 ) الامواج : ١٧٨.
(4 ) المجموعة الكاملة :١١٦.
(5 ) اشعة ملونة : ٧- ٨ .

# الفصل الثانـي

## موضوعات الاغتراب في شعر أحمد الصافي

# توطئة :

لابد للانسان الذي يعيش في عصر تسود فيه حالة من (التمزق النفسي) نتيجة لاسباب كثيرة منها ما يعود الى شخصيته الحساسة، ومنها ما هو مرتبط بالمجتمع والبيئة التي يعيش فيها، ان تنمو ذاته ويقوى الشعور بها ((لانها لكي تكون المعيار الحقيقي للوجود لابد ان تكون منطقية مع نفسها فاذا هي صارت منطقية مع نفسها فانها تجافي عندئذ بالضرورة منطق الوجود الخارجي))[١] .

وهذا ما عانى منه الاديب ـ بشكل عام ـ حيث حالة التناقض التي تحصل بين طموحه الذاتي وبين الواقع الرافض لذلك الطموح، فيأتي تعبيره الرافض والمليء بالشكوى والتبرم والالم، لانه يعيش في عالم يصادر تكوينه الشخصي ويحاول السيطرة عليه، فيمنعه من الوصول الى حالة من الاستقرار (التوازن الداخلي) او هو بالمعنى الاصح (( رحلة العذاب بين الجوهر الداخلي وتحققه الخارجي ))[٢] الذي يبتغي الاديب الوصول اليه من خلال التوافق الذي يحصل مع الخارج وما تتطلبه نفسيته كاديب خوفا من ان يصل في حالته تلك الى كونه ((ضائعا حتى لتعجز عن ان تجد نفسك))[٣]، فالنفس هي سر الوجود وهي الاساس في تكوين الحياة، فهي الحرة التي لاتطمئن الى قيد ولا تسكن اليه، حرة كالطائر في السماء، والموجة في البحر، والنشيد الهائم في افاق الفضاء حرة فسيحة لا نهائية[٤] .

وهذا ما حصل للشاعر الصافي حيث وجد صعوبة في التعامل مع العالم من حوله، فحاول الهرب من واقعه علّه يستطيع ان يصل الى حالة من ذلك (التوازن) الذي يفقده، فتشكل لديه الاغتراب في موضوعات محددة متخذا فيها حالات كثيرة وانواعا متعددة .

---

(1) الشعر العربي المعاصر : د.عز الدين اسماعيل : ٣٥٧ .
(2) مجلة المستقبل العربي : ١٩٧٨ : ع٢ : اغتراب المثقف العربي : د.فيصل دراج : ١١٩ .
(3) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : اليزابيث درو ، ترجمة : د. محمد ابراهيم الشوش : ٣٠٦ .
(4) ينظر : محاضرات في الشعر المصري بعد شوقي : د. محمد مندور : ٦١ .

# المبحث الاول

## البشر

يتشكل البناء الاساسي في تكوين الانسان الداخلي من اعتماد قوتين، قوة (الانا) التي تحاول اثبات وجودها الحقيقي في هذا العالم، وقوة (الاخر) التي تحاول طمس ذلك الوجود وما بين تلك القوتين يعيش الانسان في حالة صراع مستمر ينتهي في الغالب بسيطرة الاخر على الانا.

يأتي الصافي رافضا لمثل ذلك الانتصار محاولة منه في فرض وجوده على الاخرين، وتحقيق ما تصبو اليه ذاته المنفردة في اكتشاف كل جديد، تدفعه في ذلك رغبة ملحة في الابتعاد عن الناس، يقول :(( فطرت منذ الصغر على الانحراف عن الجادة العامة التي لا ارى فيها جديدا، لاسير في طرق لم تسلك، واثقا من اني ساكتشف اشياء لم يألفها السائرون في الطرق العامة، ولا فرق عندي ان اكتشف اشواكا او ازهارا او طارا او اخطار، او ظباء او ضباعا، فعندي لكل جديد لذة ))[١] .

فتلك التأملات الواسعة والنظرات العميقة للكون والحياة جعلته يختلف عن اقرانه الصغار الذين لادأب لهم سوى اللعب والبحث عن مصادر التسلية الاخرى بينما الصافي يعيش في عالمه الخاص دارسا فيه العابهم وحياتهم البسيطة[٢] ، وربما عاد هذا الشعور الى اهله ومجتمعه حيث النشأة الاولى لذلك الطفل الصغير الذي رفض منذ البدء تلك الحياة القائمة على مبدأ الجمود والتخلف، المتمسكة بقيم وعادات وتقاليد معينة والتي ارادوا من خلالها تكبيله وتقييده بها، يقول :

امجتمعي قد رضعت العقوق        فلست تصافي سوى خاذل
ولي كل عتب مرير عليك        اذا صح عتب على جاهل
فواعجبي كيف انمى اليك        وهل ينسب الحق للباطل[٣]

فانه ((على الرغم من تأثره بمجتمعه وتأثيره فيه ، فانه لا يستطيع ان يذوب في تياره او ان يتجانس تجانسا كاملا مع اتجاهاته ومواضعاته))[٤]، وهذا حال كل اديب رزق حسا رقيقا وشعورا مرهفا وذكاءا وقادا، فهؤلاء في نظر الشاعر كالاموات او اقرب الى ذلك، الا ان الاختلاف السائد بينهما هو في النبض والحركة المستمرة، وهو يتمنى لو كانوا امواتا حقيقة[٥] فان المجتمع الذي يفرض على الاديب مطالب تنافي طبيعته الخاصة فانه يحبطه ويقيده، ويجعل منه كائنا غريبا عن ((موقفه الانساني))[٦] ومن جرّاء ذلك فلقد عد الصافي غريبا بين اهله واقاربه خاصة ومجتمعه عامة، يقول :

انا احيا في العالمين غريبا        لاارى لي في الاقرباء قريبا
كيف ابغي بين الانام قريبا        بين اهلي انا اعد غريبا [٧]

فالصافي الذي يعيش في ذلك المجتمع المغلق كان عليه ((ان ينزع ذاته من رحم البيئة لكي يصبح شخصا فردا وكيانا مستقلا والوعي بالذات يتضمن مثل هذا الانتزاع))[٨] .

لهذا كله فقد اثر الرحيل الى البلدان المختلفة رغبة منه في التخلص منهم والبعد عنهم رافضا في ذلك العودة الى المجتمع النجفي المقيد فهو اشبه ما يكون بالحجارة التي لا تحس ولا تفهم ولا تعي ما حولها، وان من الحجارة لما هو خير، يقول :

الهي لماذا قد خلقت غريبا        اخاطب احجارا دعين قلوبا [٩]

وهو برحيله هذا لا يشعر باي ندم او رغبة في العودة اليهم لانه لا يشعر بانه منهم ، فهو الغريب:

ويح قوم جوارهم لا يطيب        كل شيء – الا لقاهم – حبيب
لا ترى غربة مدى البعد عنهم        ومدى العمر انت فيهم غريب [١٠]

---

(1) شرر : ٧ - ٨ .
(2) ينظر : المجموعة الكاملة : ٤١١ – ٤١٢ .
(3) هواجس : ٢٢٧.
(4) سيكلوجية الابداع في الفن والادب : ٩٩ .
(5) ينظر : المجموعة الكاملة : ٢٤٠ .
(6) ينظر : الانسان بين المظهر والجوهر : ١١ .
(7) المجموعة الكاملة : ٧٠٧ .
(8) الاغتراب : ٤١.
(9) اشعة ملونة : ١٣١ .
(10) هواجس : ٢٩١ – ٢٩٢ .

ولقد خاطبه اخوه السيد محمد امين الصافي بمقطوعة شعرية طالبا منه العودة واصفا فيه اغترابه الذي عم كل شيء حتى الود والمحبة التي تجمع كل البشر، يقول :

يـــا غريبـــا وكـــل شـــيء غريـــب ... فيـــك حتـــى محبـــة الاغتـــراب

وغريـــب ان لا تحـــن للاحبـــاب ... وانـــت الحبيـــب للاحبـــاب [1]

ولم يقتصر ذلك الشعور على مجتمعه حسب، بل انه شمل جميع البشر الذين مر بهم الشاعر في خلال تنقلاته المستمرة، يقول :((انا لا اقرب الناس الا من بعيد لبعيد))[2]، وقد يقترب منهم عندما يكون حزينا فيحتاج الى من يزيل الحزن والالم ويفرج الهم والكرب، يقول :

اعـــاف النـــاس اعراضـــا ، وادنـــوا ... لهـــم امـــا ضـــجرت مـــن الغمـــوم

فلـــست ارى الـــورى اهـــلا لـــودي ... فهـــم اهـــل لتفـــريج الهمـــوم [3]

وربما عادت تلك النظرة الى ما يجده سائدا بين البشر من حياة قائمة على مبدأ (الغاب) حيث الجشع والاستغلال والنفاق شائع بينهم، وكأن الرحمة قد رفعت تاركة وحوشا ينهش بعضهم بعضا[4]، فهو مؤمن بـ((ان كل ما هو داخل الانسان يتطلع الى ابادة الانسان))[5] فالصفة (الانسانية) التي يحملونها قليلة اذا ما قيست بالصفات الاخرى ومرد ذلك الى قلة الذوق وعدم الاحساس بالمسؤولية، فتمنى الصافي لو استطاع تغيير هذا المبدأ ليتمكن من رفع البشر الى مصاف عليا يحكمها الاخاء والعدل والمساواة دون الرجوع الى باقي الانظمة والقوانين الاخرى، ويكون الذوق[6] هو المحرك الرئيس في هذه العملية، فهو يدعو الى بناء مجتمع ((يعيد للانسان ((انسانيته))... و يتيح للانسان التعامل مع الطبيعة بالخلق لا بالتدمير، ويكتسب فيه كل فرد شعورا بذاته على انها ذات قيمة وفعالية في النفس والمجتمع))[7]، وكأنه في هذا يتفق مع ابي العلاء الذي يعد صنوا للصافي والذي وجد في البشر اقوام ارجاس وادناس تجمعهم المصالح الشخصية والاستفادة الانية ، يقول :

ايوجـــد فـــي الـــورى نفـــر طهـــارى ... ام الاقـــــوام كلهـــــم رجـــــوس [8]

كل هذا جعله يفر من البشر، فالغرباء احباؤه، والمقربون اعداؤه، وهم دائما يخضعون عنده لتجارب شتى تنتهي جلها بالندم والفشل والخيبة، وهذا ما يؤدي الى البعد عنهم ، يقول :

احببـــت كـــل بعيـــد لـــست اعرفـــه ... وعفـــت كـــل قريـــب كـــان مـــن كانـــا

فعاشـــر النـــاس عـــن بعـــد يجمّلهـــم ... وحـــاذر القـــرب يبـــدي القـــبح الوانـــا

انـــأى عـــن النـــاس كـــي ابقـــى احـــبهم ... وكـــي اظـــل بـــوهم الخمـــر نـــشوانا [9]

ولكنه بالرغم من الفشل الذي يواجهه يصر على بناء علاقات انسانية صحيحة عله يجد شبيها يشاركه في ارائه وتطلعاته ومطامحه التي يحملها، وهو ان وجد احدهم فمثله هائم يبحث في معنى الحياة وكنهها وسبر اغوارها في سبيل الوصول الى بناء عالم مثالي او مدينة فاضلة، يقول :

حتّـــام ابقـــى لا اقـــرّ ببلـــدة ... كيـــف المقـــرّ ولا صـــديق يلائـــم

لـــم الـــق لـــي شـــبها لكـــي اوي لـــه ... ان كـــان لـــي شـــبه فمثلـــي هـــائم [10]

ولكنه ييأس من اللقاء به ، فيختار روحه رفيقة له في درب اصلاحه الطويل، يسيره في ذلك الحق بعد ان اتخذه الصافي صاحبا يرشده الى الصلاح والصواب (فلا صديق سوى حق يلازمني)[11]، وقد اشار الى تلك الروح بقوله :

لـــي بنفـــسي غنـــى عـــن الكائنـــات ... فهـــي نفـــسي بمـــا حـــوت مـــن هنـــات

---

(1) الوافي : ٦٧ .
(2) احمد الصافي النجفي رحلة العمر : ١٨ .
(3) اللفحات : ٢٦٤ .
(4) ينظر : هواجس : ٢٤١ .
(5) اتجاهات الشعر العربي المعاصر : د.احسان عباس : ١٦١ .
(6) ينظر : اشعة ملونة : ٨٣ .
(7) الانسان بين المظهر والجوهر : ١١ .
(8) اللزوميات : ابو العلاء المعري : ٢ : ٢٩ .
(9) شرر: ١١٥ .
(10) الشلال : ٣١٩ .
(11) المجموعة الكاملة : ١٦٥ .

انـــا بـــين الـــورى غريـــب ومـــالي غيـــر نفـسي مـن صـاحب فـي الحيــاة [١]

ويرسم الشاعر صورة رائعة عن كثرة الاصدقاء من حوله ولكنها لا تعد مقياسا صحيحا على كونهم قريبين منه، وهو منطق قائم على عدم الانسجام والتجانس معهم، والعجز عن الحصول على انسان يحمل مشاعر المحبة والصدق والصراحة، يقول :

كثـــرت لـــديّ الاصـــدقاء فلـــم اطـــق ارضـــاءهم حتـــى تـــشوش بـــالي
لـــو انّنـــي غربلـــت اصـــحابي معـــا لـــم يبـــق لـــي مـــنهم ســـوى الغربـــال [٢]

وهي صورة فنية في غاية البراعة والجمال ربط فيها الشاعر بين علاقاته الانسانية والغربال الذي لا يترك شيئا بين ثقوبه الكثيرة، فهو يحمل شعار (اني انا الغريب الاوحد) الذي لا يرى في الاخرين سوى كائنات غريبة لا تربطه بها اي صلة تذكر، يقول :

عـــنكم غريـــب انـــا وكـــل مـــنكم غريـــب معـــي عجيـــب[٣]

ويجيء الجار امتدادا لرحلة العذاب تلك، والتي لم ينل منها سوى الضيق والازعاج والقلق، يقول :

رزقـــت رهيـــف حـــس، لـــست ادري اكـــان ســـعادة لـــي ام شـــقاء
فمـــا نفعـــي اذا احســـست، فـــردا وســـاق الـــي، جيرتـــي، العنـــاء
يثيـــرون الـــضجيج لفقـــد حـــس علـــى انّـــي احـــس بـــه الـــبلاء [٤]

فهو لم يحظ بجار يريحه ويسعده فيختار الهرب بحثا عن المكان الهادىء بعيدا عن اصوات البشر ليسكن في الصحراء او بين اصدقائه الاموات[٥]. وربما انصفه الدهر في بعض الاحيان فاسكنه بجنب جار بليد لا يفقه من الحياة شيئا، فهو وغرفة الشاعر سواء في السكون والهدوء، بل هو اشبه ما يكون الى الحيوان الذي لايضر ولا ينفع منه الى الانسان الذي لا هم له سوى ازعاج الاخرين[٦].

ولقد تشكلت لديه صورة المرأة المسنة لجاره الغليظ، فعبر عنها بصورة كاريكتيرية مضحكة بحيث يخافها الجميع الا الصافي الذي عاش معها في بيت واحد، فقال :

يـــا عجـــوزا قبيحـــة شـــوهاء تـــزعج الارض ان بـــدت ، والـــسماء
تهـــرب النـــاس والملائـــك منهـــا والـــشياطين لا تطيـــق البقـــاء
قـــد اطلّـــت علـــيّ صـــبحا ، لقتلـــي فاحالـــت لـــي الـــصباح مـــساء
كيـــف يومـــا تمـــوت ، والمـــوت منهـــا هـــارب ، خـــائف يـــروم التجـــاء [٧]

وهو يستمد من رمز العجوز موقفه من المرأة التي لايجد فيها سوى اذى مستمر في كافة مراحل حياتها ، يقول :

انّمـــا المـــرأة خطـــب دائـــم وخـــلاص المـــرء منهـــا كالمحـــال
تـــزعج العـــشاق فـــي دور الـــصبا واذا شـــاخت ، فغـــنج ، ودلال
تحـــسب المـــرأة خـــصما كاذبـــا فهـــي مازالـــت علـــى عـــرش الجمـــال [٨]

و يرى الشاعر ان الرجل اذا ما اراد الحد من تفكيره فعليه ان يعاشر المرأة ، وهو رأي فيه اجحاف كثير، فالصافي ينسى مواقفها وما قدمته للانسانية من عطاء مستمر، فلولاها لما خلق الرجل . ويصل الشاعر في موقفه هذا من المرأة الى اقصاه عندما ينكر تلك التسمية وذلك الوجود للنصف الاخر من الحياة، وهو بهذا يتمنى لو خلت الارض منها، يقول :

بريئـــة الوجـــه ، ولـــست مـــن اذى مبـــرأة
جميلـــة لا عيـــب فيـــك غيـــر انّـــك امـــرأة [٩]

(1) اشعة ملونة : ١٠٢ .
(2) الامواج : ٢٦٧ .
(3) شرر : ١٣٥ .
(4) الشلال : ١٣٣ .
(5) ينظر : شرر: ٥٩ .
(6) ينظر : المجموعة الكاملة : ١٥٧ .
(7) م . ن : ١٣٤ ، ينظر : اللفحات : ٣٢٨ .
(8) م . ن : ٤٦٠ .
(9) م . ن : ٦٥٩ .

ولاينسى الصافي في هجومه المستمر على بني جنسه اللئام منهم الذين طالما الموه واتعبوه كثيرا، ففضل الابتعاد عن جميع البشر خوفا من لقياهم متخذا في ذلك العزلة مهربا له، فهم كالحواجز التي تحاول الحد من طموحه في تحقيق ما تصبو اليه نفسه، يقول :

ومعـــشر همهـــم تـــشويش غيـــرهم     لـــم يتقنـــوا قـــط الا القيـــل والقـــيلا
يعرقلـــون ، ولمـــا يحـــسنوا عمـــلا     فمـــا اســـميهم ، الا عـــــراقيلا [١]

ولكنه في هروبه هذا لا يرفض شن الحرب عليهم حتى وان دعوه الى الصلح فهؤلاء في نظره لا يستحقون الا القتل وان كان باللسان الذي نطق شعرا، وهو اقوى تأثيرا وابقى في النفوس[٢] .

فتلك النظرة الشاملة للعداء والخصام لا تختصر على فئة معينة، بل ان جميع ما في الكون، بل الكون كله هو عدو للصافي الذي يحاول النيل منه، يقول :

انـــا لـــو لـــم اكـــن بنفـــسي عـــالم     لـــم يقـــف كلـــه بـــوجهي العـــالم[٣]

وربما وجد الشاعر في اللئام مبتغاه الذي يحاول من خلاله النيل من كل ما اصابه من الحزن والشقاء والسقم، فلقد قضى عمره في صراع مستمر مع الحياة والتي اراد من خلالها فرض ذاته على الكون والوجود كله.

ويزداد شعوره بالتمزق والانفصال عن الاخرين، فكما رفضهم في السابق رفض كل ما يربطه بهم، ومنه العيد الذي يعد احدى المناسبات التي يهتم بها الناس، فهو يرى سعادته في تركه وحيدا يعيش في عالمه الخاص مع هواجسه التي يمليها عليه الشعر وشياطينه، يقول :

انّـــي لاســـعد واحـــد فـــي العيـــد     اذ عـــشت بـــين النـــاس ، عـــيش وحيـــد
عيـــدي بلذّتـــه، يخـــالف عيـــدهم     فوجـــودهم، فـــي الكـــون غيـــر وجـــودي [٤]

بل يجد ان اجمل ما فيه واحلاه ان يأتيه الغريب ليقدم له التهاني والتحيات، وهو اعتراف منه بضعف علاقاته الاجتماعية وعجزه عن التلاؤم مع الاخرين، فضلا عن الخذلان والنكوص الذي يشعر به، ولكنه يجد في هذا الغريب صورته المفقودة، فيتمنى ان تبقى تلك الصورة غامضة بالنسبة اليه، يقول :

مـــلاؤا عيـــدهم بكـــل جديـــد     ومـــشوا ، والـــسعيد جنـــب الـــسعيد
واتـــاني ، انـــا الغريـــب ، غريـــب     بالتهـــاني رقيقـــة كالنـــشيد
انّ احلـــى شـــيء لـــديّ ، غريـــب     لغريـــب مهنّـــئ بالعيـــد [٥]

ومما ساعد في كره الصافي للبشر ما وجده سائدا بينهم من الضعة والحطة والسعي وراء العلم الذي يعد مصدرا للدمار والخراب بدلا من كونه منارا للتوجيه والاشعاع والهدي، يقول :

مـــاذا اصـــحح مـــن اخطـــاء عالمنـــا     لـــو ســـاعفت قـــدرتي لـــو ســـاعد القـــدر
فلـــن اغيـــر مـــا ســـنّ الالـــه بـــه     لكـــن اغيـــر مـــا قـــد ســـنه البـــشر
يزجـــي لنـــا العلـــم اخطـــارا تهـــددنا     كـــأنّ عالمنـــا بـــالعلم ينتحـــر [٦]

فالعلم اضحى وسيلة للقتل والابادة البشرية، لاسيما بعد اكتشاف الاسلحة الفتاكة والقنابل الذرية والحروب المستمرة بسبب تفوق دولة على حساب الاخرى ، يقول :

انّ ذا عـــصر ذرة قـــد اعـــددت     لانفكـــاك فـــلا تعيـــشوا الخيـــالا
قـــد حفـــرتم قبـــوركم بيـــديكم     ورقـــصتم فـــوق القبـــور اختيـــالا
قـــد جننـــتم بـــالعلم ، مـــن دون وعـــي     فاعـــدو لحفظكـــم اغـــلالا [٧]

ويرجع هذا الى ما آل اليه البشر من التفسخ الاخلاقي والانحلال عن القيم الاجتماعية السامية وترك الرسالات السماوية متخذين من المادة الاساس في حياتهم، فطالبهم الصافي بالرجوع الى حقيقتهم الاصيلة متخذا من الاخلاق الاساس لهم، يقول :

---

(1) المجموعة الكاملة : ٤٣١ .
(2) ينظر : الاغوار : ٤٥ ــ ٤٦ .
(3) هواجس : ٣٢٤ .
(4) الشلال : ١٢٢ .
(5) المجموعة الكاملة : ٢٦٦ .
(6) م. ن : ٧١١ .
(7) م. ن : ١٩٦ .

ضـــاعت معـــارفكم اذا لـــم تـــصلحوا    اخلاقكـــــم ، وستكـــــسبون دمـــــارا
ايــصير يومـــا ادميـــا مـــن قـــضى    عمــرا يجــد ، لكــي يــصير حمــارا [1]

وهي نتيجة فعلية لمن يعيش في عالم تحول كل ما فيه الى مجرد الات تخضع لتكنلوجيا العصر حيث تحول فيها الانسان الى الة اجتماعية بحتة بعد ان كان كتلة ملتهبة من المشاعر والاحاسيس التي يتحرك بها تبعا لعواطفه الجياشة، يقول :

انّ عـــصر الالات هـــذا عـــدانا    فغـــدونا نعـــيش كـــالالات [2]

فان حب الانسان للاشياء ادى به الى ان تمتلكه لا ان يمتلكها، او هو بمعنى اخر ان الانسان يصنع تلك الاشياء للاستفادة منها ولكي يملكها ولكن العكس هو الذي يحدث فان تلك الاشياء صارت تستملك الانسان وكان تاريخ البشرية يتحول الى (( تشيؤ وتاريخ قهر لهذا التشيؤ ))[3] .

ولقد اراد الصافي ان ينقل وجهة نظره تلك الى الاخرين من خلال اشعاره بعد ان وجد في تلك المظاهر الحضارية الحديثة بانواعها المختلفة من الاجهزة المتطورة ووسائل الاتصال المختلفة مصادر للبلادة والجهل والتعطيل عن الرؤية الصحيحة التي يرجع فيها الانسان الى ذاته في التحسس بما حوله كالكهرباء[4] والراديات[5] والصحف[6] والسيارة[7] والطائرة[8] .... وغيرها، فهؤلاء الهوام ــ كما يسميهم الشاعر ــ لا تؤثر عليه، فهو مستمر في خطواته الصحيحة تاركا ما يصنعه اولئك الاوغاد من عراقيل يمكن ان تعيقه عن اداء رسالته الاصلاحية السامية، يقول :

عـــداؤكم نبـــاح فـــي نبـــاح    وعطفكـــم كـــلام فـــي كـــلام
فمـــا تخـــشون اذ تخـــشى الهـــوام    لانكـــم اقـــل مـــن الهـــوام [9]

ولاريب من ذلك فقد اتعبوه كثيرا، فهم لايحسنون عملا الا الكلام الكثير الذي يأتيه كالسم الناقع، وكأنها العقارب والافاعي، يقول :

لقـد صـار شـغلي اليـوم قتـل عقـارب    كـأن علـى نعلـي لهـا القتـل واجـب
قـــواي بتقتيـــل العقـــارب تنتهـــي    ومـــا تنتهـــي بالقتـــل تلـــك العقـــارب [10]

ولم يكن الامر مقتصرا عليه حسب، بل ان لؤمهم وحقدهم شمل عددا اخر من بني جنسه، ولاسيما الفقراء والمساكين، ومنهم : الفلاح[11] ، واليتيم[12] ، والمسلول[13] ، وصباغ الاحذية[14] ، والسائل القروي[15] ، والطفلة السائلة[16] ، والطفل المهاون[17] ، والطفلان السائلان[18] ، والشحاذين[19]...

فهي اشعار عبرت عن معاناة قاسية وواقع مؤلم تعيشه هذه الطبقة من الناس ، فرصدها الشاعر، وتحسسها بكل صدق وامانة .

---

(1) المجموعة الكاملة : ٦٢٣ - ٦٢٤ .
(2) هواجس : ٢٢٥ .
(3) الانسان والاغتراب : ٣٢ .
(4) ينظر : اللفحات : ٢٦٢ ، شرر: ٢٢ المجموعة الكاملة: ٣٩٣ ــ ٣٩٤ .
(5) ينظر : شرر: ٤٨ ، ٨٢ ، الشلال : ٣٠٣ ، ٣١٠ ، المجموعة الكاملة : ٦٤٤ ، ٦٧١ .
(6) ينظر : شرر: ٥١ ، المجموعة الكاملة : ٦٣٩ .
(7) ينظر : الامواج : ٢٤٦ ، التيار : ١٩١ ، اللفحات : ٢٤٣ ، المجموعة الكاملة : ٢٢٦ ، ٧١٤ .
(8) ينظر : اشعة ملونة : ٦١ ، هواجس : ٣٨ .
(9) هواجس : ١٢٧ - ١٢٨ .
(10) هواجس : ١٤٨ .
(11) ينظر : الامواج : ٨ .
(12) ينظر : م . ن : ٤٧ .
(13) ينظر : التيار : ٢٠ ــ ٢٤ .
(14) ينظر : م . ن : ٢٦ - ٢٧ .
(15) ينظر : م . ن : ١٣٧ .
(16) ينظر : الامواج : ١١٣ .
(17) ينظر : اللفحات : ١١٨ .
(18) ينظر : التيار : ١٤٣ .
(19) ينظر : م . ن : ١٩٩ .

لقد وقف الصافي حائرا في اصل الانسان الذي لا هم لـه سوى ظلم اخيه الانسان، ليستطيع ان يكلمه بلغته التي تآلف عليها، وعدها اسلوبا ومنهجا في حياته، يقول :

لقـــد حـــار انـــسان تنكـــب اصـــله        وان شـــطّ فـــي غلوائـــه وتبـــاهى
فقـد وقـف الانـسان فـي الوسـط حـائرا        فلـــيس بحيـــوان ، ولـــيس الهـــا [1]

حتى تصل قمة الاغتراب لديه عندما يرى في بني الانسان مجموعة من الاوساخ والقاذورات التي القيت في طريقه وهو يجد بالابتعاد عنها ، يقول :

مــا لامســت انمـلي سهــوا نـدى بشــر        الا قفـــزت كأنـي لامـــس قـــذرا [2]

ليكتشف في نهاية الامر انه لا ينتمي اليهم فعالمه الحقيقي اما في اعالي السماء او تحت الارضيين، وهذا تعبيرعن حالة الضياع التي يعيشها الصافي بين بني جنسه الذين وصفهم بالاوساخ، فهو يعيش في عالم بعيد عنهم مستغرقا في تفسير الوجود المطلق محاولة منه في القضاء على ما يشعر به من استلاب وخذلان وتوتر [3].

وربما عاد ذلك الى روحه التي حاولت الهرب من الواقع الذي تعيشه بعد ان شعرت بالانكسار الداخلي والاضطهاد والخوف، فوقف الشاعر عاجزا عن تلبية متطلباتها الصعبة وكأن تلك النفس غريبة عنه، يقول :

انّ ذاتـــي تحـــار فـــي فهـــم ذاتـــي        هـــي عنـــي وعنكمـــو فـــي خفـــاء
انـــا روح عـــن التـــشخص نـــاء        انـــا فـــي الارض ، بـــل انـــا فـــي الـــسماء
انـــا نـــور اطـــوف فـــي كـــل افـــق        مـــات شخـــصي فلـــم اخـــف مـــن فنـــاء [4]

بالفعل، فنفسه فريدة من نوعها، فهي تتكون من خليط عجيب تجمعت فيه الاضداد المختلفة التي لا يمكن ان تلتقي الا فيه، يقول :

روحـــي مـــن مـــاء ومـــن نـــار ومـــن        جميـــع اضـــداد الوجـــود الابـــدي
فكـــل ضـــد معهـــا ملتـــئم        وهـــي متـــى التقـــت بـــه تتحـــد
خـــصائص الوجـــود فيهـــا ، فمتـــى        تـــصل لـــضد تكتمـــل وتـــزدد [5]

فالصافي ــ كما سبق ــ احب تلك الروح وعشق الوحدة من اجلها، لانه وجد فيها سر الوجود وجوهره، يقول: (( خلقت احب الزوايا بحثا عن الخبايا، فان لم اجد في الزوايا خبايا، جلست منزويا افتش عن خبايا نفسي، والنفس اوسع من الكون واكثر منه زوايا وخبايا ))[6] ولقد اجاد في تعبيره هذا، فالنفس الانسانية واحدة ولكنها متعددة في الوقت ذاته، تأتيك بالجديد في كل حين، ان الروح الانسانية مقدسة وهي الطريق الامثل لتفسير معنى الحياة وسبر اغوارها، والكشف عن الاسرار الموجودة فيها، بل هي اصل هذه الحياة ومن اجلها خلق كل شيء، يقول :

وفـــي الـــنفس تـــدرك ســـر الوجـــود        ومعنـــى بقلـــب الحيـــاة اســـتتر [7]

ولقد حاول الشاعر الولوج الى دواخلها لتبين خلجاتها وفهم كنهها وادراك نواياها وسبر اغوارها، فهو يتوغل فيها جامعا الحزن والسرور في ان واحد . ويعود اهتمامه بالنفس الانسانية والبحث فيها الى اطلاعاته الواسعة والعميقة وامراضه الكثيرة ، وحالة الزهد التي يعيشها والفراغ الدائم الذي يشعر به، فضلا عن الوحدة التي اختارها لتلك الروح ، كما يمكن ان يعد (( ذلك بانه رد فعل للكبت الذي كان يلاقيه الشاعر في بيئته السياسية وفي مجتمعه ... ونتيجة لشعوره بخيبة الامل في تحقيق احلامه وامالـه ... فلم يجد اتجاه ذلك مخرجا للاسى المنطوي، ولا متنفسا للالم المكبوت والعاطفة السجينة غير نفسه يناجيها ويغوص زوايا من اعماقها))[8].
وهذا ما عرف به شاعر العربية المتنبي الذي شاعت لديه هذه الظاهرة حيث (( بروز الانا ))[1] الواضح في كافة

(1) اللفحات : ٢٦١ .
(2) اشعة ملونة : ٢٠٢ .
(3) ينظر : الغربة في الشعر العراقي ١٩٠٠ـ ١٩٦٨: د . فليح كريم : ١٢٥.
(4) المجموعة الكاملة : ٥٨٤ .
(5) الاغوار : ١٠٠ .
(6) شرر: ٤ .
(7) الاغوار : ٤٠ .
(8) حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث : عربية توفيق لازم : ٢١٤ .

))[1] الواضح في كافة قصائده في هدف القضاء على الاغتراب الذي يشعر به وهو يعيش بين ابناء جلدته، يقول :

ودهـــر ناســـه نـــاس صـــغار　　　وان كانـــت لهـــم جثـــث ضـــخام
ومـــا انـــا مـــنهم بـــالعيش فـــيهم　　　ولكـــن معـــدن الـــذهب الرغـــام [2]

ولقد اظهر الصافي تقاربا بينه وبين ابي الطيب في كافة النواحي والاتجاهات، حتى يصل به الامر الى ان يعده توأما لروحه الاسيرة، والتي عاشت بالرغم منها في هذا العصر، يقول :

نفيـــــــــسة المتنبـــــــــي　　　فـــــــــي منطقـــــــــي تـــــــــتكلم
انّـــــا شـــــبيهان روحـــــا　　　كـــــل لثانيـــــه تـــــوأم [3]

بل ان روحه تقمصت ارواح شعراء اخرين فضلا عن المتنبي وابي العلاء، ففيه تجد روح ابن الرومي، وابي نواس ، وابن الفارض، وابي الشمقشق ، وجحظة البرمكي ... وغيرهم الكثير[4] .

ولقد ساعده في ذلك حالة الانفصال التي يعيشها الصافي بين ابناء جنسه، وعدم قدرته على التلاؤم معهم ((فهي منبعثة من مزاجه وتكوينه الشخصي، صحيح انها جاءت نتيجة لظروف حياته البائسة، و لكنها تطورت لتصبح كيانا لا يريد الشاعر تغييره))[5]، فانه يختار العيش وحيدا في زاوية يصنعها لنفسه، يحركها خياله الخصب وتنميها روحه المنفردة في التخلص مما يعاني منه، يقول :

لقيـــت نفـــسي لمـــا زرت زاويتـــي　　　وكنـــت فـــي الكـــون قـــد ضـــيعتها زمنـــا
اذا اجتمعـــت بغيـــري فـــي الـــورى فانـــا　　　غيـــري ولكـــن انـــا فـــي الانفـــراد انـــا [6]

فهو يحتاج الوحدة (( كمسافة تضيء جذور العالم ــ لانها ــ تتبلور كاستجابة لتحديات العالم المشلول، وبذلك ينتفي الطلاق بين الشاعر وعالمه))[7] .

كما ويرى فيها رجوع الانسان الى اصله الحقيقي دون ان تشوهه القوى المسيطرة عليه من ذلك العالم، كما وتظهر حقيقة الاخرين القبيحة امامه الذين حاولوا التستر والتخفي بكافة الوسائل والاساليب، يقول :

كـــم شـــوه الـــنفس الجميلـــة مجمـــع　　　واضـــاف للعقـــل الـــصحيح جنونـــا
فـــي وحـــدة الانـــسان ترجـــع نفـــسه　　　فتريـــــه ان النـــــاس ممـــــسوخونا [8]

ولكن انسحابه من هذا الواقع لا يأتي بشكل سلبي، بل هو احتجاج عملي لفساد ذلك الواقع، ورفضا لكل مظاهر الغش والخداع والكذب السائدة في عصره[9]، فحب تلك العزلة يجري في عروقه((عندما اكون لوحدي اشعر انني ممتلىء بالناس والحياة والحركة .. وعندما اكون مع الناس كثيرا ما اشعر بالفراغ ... وباني وحيد . وحيد))[10]، فهو يعيش في عالمه الخاص واضعا فيه كل شيء خاص به كـالعوينات[11] التي يرتديها ويتخذها شريكة لحياته والمسبحة[12] التي تزيل الهم عنه والقلم[13] وتخت النوم[14] والوابورة[15] والسراج[16] ... وغيرها، فهو لا يخاف اذ يبقى وحيدا يعيش بين جدران مغلقة لا تفتح ابدا، يقول :

لـــــي بـــــانفرادي خيـــــر ايـنـــــاس　　　فـــــافٍ مـــــن صـــــحبي و جـــــلا ســـــي

---

(1) الحنين و الغربة في الشعر العربي الحديث : د. ماهر حسن فهمي : ٢٥ .
(2) ديوان المتنبي : ١٠١ .
(3) المجموعة الكاملة : ٣٦١ .
(4) ينظر : عبقرية الصافي : ٤٠ .
(5) التجديد و التقليد في شعر احمد الصافي النجفي :١٤١.
(6) اللفحات : ١٦١ .
(7) دراسات نقدية في الادب الحديث : ٦٣ .
(8) هواجس : ٣٧٣ .
(9) ينظر : قيم جديدة في الادب العربي : ٢٢٤ .
(10) احمد الصافي النجفي رحلة العمر : ١٩ .
(11) ينظر : اشعة ملونة : ١٢٧ ، الحان اللهيب : ٤٦ ــ ٤٨ .
(12) ينظر : هواجس : ٢٩ ــ ٣٠ ، المجموعة الكاملة : ٢٢٦ .
(13) ينظر : اشعة ملونة : ٩٨ ، هواجس : ١١٤ .
(14) ينظر : التيار : ٤٧ .
(15) ينظر : شرر : ٩٤ .
(16) ينظر : الامواج : ١٤ .

قــد كنــت اســتوحش مــن وحــدتي ووحــشتي اليــوم مــن النــاس [1]

فان هذا ما يوصله الى عالمه الحقيقي الذي جاء منه، ليتخلص من مرارة الوحشة والعذاب والالم، وهو يعيش في هذا الوجود الزائف ((فما تلك العزلة الا محاولة الذات التغلغل في قلب الحقيقة دون ان يمسها ابتذال الواقع، واستبطان المحسوس للوصول منه الى الوحدة الكلية التي ترتد اليها مظاهر الوجود واعراضه))[2]، يقول:

فهــل انــا قــادم مــن غيــر عــالمكم فلــست اشــبهكم فيمــا عــدا الــشكل
لــذاك اهــوى انفــرادا حيــث يوصــلني بعــالمي وارى فــي قــربكم فــصلي
احــس لــي غربــة ان كنــت بيــنكم كمــا يحــس غريــب الــدار والاهــل [3]

وقد شابه ابا العلاء في هذا التخفي، الذي لم يحصل عليه، وان نادى به طويلا، يقول :

فمــن لــي بــارض رحبــة لا يحلهــا ســواي تــضاهي دارة المتقــارب
فمــا الفتــى الا انفــراد ووحــدة اذا هــو لــم يــرزق بلــوغ المــآرب [4]

ويمكن ان تعد العبقرية التي يشعر بها الاديب دافعا لمثل ذلك الشعور واتخاذ العزلة ملجأ يتخلص بها من جميع البشر، وهذا ما هدف اليه الصافي الذي وجد في صاحبها غريبا يعاني من الحياة، يقول :

يهنئنــي بالعبقريــة صــاحبي ولــو كــان عزانــي لكــان مــصيبا
فمــا العبقــري الفــذ لــو يفهمونــه ســوى عــائش طــول الحيــاة غريبــا [5]

ليصل في النهاية الى ان يرى نفسه غريبا يشعر بالرفض والتمزق والالم ليعبر به عن شخصيته المفقودة في هذه الحياة ((فهو موجود وغير موجود))[6]، وهو بهذا يطلب الموت الذي يكون نتيجة حتمية لما يمر به علّه يستطيع تغيير عالمه المادي الغارق في اوصال الغريزة، كما انه يشعرك بتفاهة ذلك العالم، وهي قمة اليأس التي تسيطر على الانسان من جراء ما يمر به من تجارب فاشلة في الحياة، يقول:

الا جرعــة مــن لذيــذ الممــات تغيــر فــي الفــم طعــم الحيــاة؟[7]

فبعد ان ضاق به الحال اعلن صرخته المدوية طالبا حياته التي تمثلت بالموت الذي ينقله من عالمه الميت الى العالم الاخر النابض بالحياة، فهو ( يستحضر ...الموت الغريب، ويحيا في حضرته ويدجن، ويجعله اليفا، ويفرغه مما فيه، من رهبة الوعيد والسقوط، انه يلقاه ارادة لا استسلاما، ويعيش نهايته بدل ان يظل متنقلا بتهديدها الدائم ))[8]، يقول :

ايّهــا المــوت عجــل الخطــو وارحــل بــي لتلــك المــواطن الــسالفات
انــا فــي هــذه الحيــاة غريــب لا صــحابي فيهــا ولا صــاحباتي
غربتــي فــي الحيــاة مــوت ، ولكــن فــي بلــوغي المــوت داري ، حيــاتي[9]

وعليه فان الموت (( ليس العدم ولا يساويه، الموت نهاية مرحلة زمنية معينة ولكنه قد يكون بداية امتداد خارج الزمن والخلود))[10] وان كان الصافي يخافه شأنه في ذلك شأن جميع البشر، ولكنه يختلف عنهم في كونه يتمنى رؤيته ليتخلص من رهبة الانتظار، يقول :

اخــاف دنــوّ المــوت منــي فاشــتهي لقــا المــوت حتــى اســتريح مــن المــوت
يخلّــصني مــوتي مــن المــوت فــاعجبوا لفــوت يــريح الــنفس مــن خيفــة الفــوت [11]

---

(1) هواجس : ٢١٩ .
(2) الرمز والرمزية في الشعر المعاصر : د.محمد فتوح احمد : ٣٣٣ .
(3) المجموعة الكاملة : ٢٠٥ .
(4) اللزوميات : ١ : ١٤٣ .
(5) المجموعة الكاملة : ٤٨٣ .
(6) مجلة الضاد : ١٩٦٩ : ع١ : مع الشاعر العبقري المجدد احمد الصافي النجفي : جعفر الخليلي : ١٢١ .
(7) هواجس : ٢٨ .
(8) مقدمة للشعر العربي : ٤٨.
(9) الاغوار : ١٣٦ .
(10) الحنين و الغربة في الشعر العربي : ٢٤٦ .
(11) اشعة ملونة : ٢١ .

فـ (( الموت هو نهاية الاشياء، وذلك في تقنية ينصهر معها الموضوع في صور تاخذعلى عاتقها بلورته وتوصيله الى القارىء و لكن على نحو يخلق في هذا القارىء تجربة خصبة جديدة تثري شعوره بالحياة وترهف احساسه بالموت))[١] .

وهو في موته هذا يتمنى ان يلقى في النار، لانها اصله، ولكن تلك النار تختلف عن نيران الشياطين لكونها اقوى منها وابقى، يقول :

نـــار الجحـــيم معـــدني فـــسوف لا ... تحرقنـــي ان الـــق فيهـــا فـــي غـــد
قـــد كـــوّن الـــشيطان مـــن نـــار فمـــا ... يخـــشى مـــن النـــار متـــى يهـــدد
لكنمـــا نـــاري فـــوق نـــاره ... وفـــوق جنـــة المـــلاك المهتـــدي
لـــي اتقـــاد خالـــد ، فجمرتـــي ... لـــو وضـــعت فـــي ابحـــر لـــم تخمـــد [٢]

فالصافي غريب في كل شيء ومن غرابته حبه لجهنم واختياره لها، وقد وجد ان ذلك راجع الى سببين: ((الاول هذا البرد الشديد والثاني هو ان جهنم موطني وحب الوطن من الايمان ))[٣] .

وخلاصة القول : ((ان جوهر مفهوم الاغتراب هو ان الاخرين يصبحون غرباء بالنسبة للانسان))[٤] نتيجة لسمو الذاتي الذي يشعر به الصافي والنزعة التأملية في تفسير اصل الجماعة الانسانية وحقائق الجنس البشري وحب التفوق الفردي وطلب التمييز الذي يوفره وجود عوالم اخرى يخلقها الشاعر نفسه .

---

(1) استعادة الماضي دراسات في شعر النهضة : د.جابر عصفور : ٣٥٠ .
(2) الاغوار : ٩٩ – ١٠٠ .
(3) هزل وجد : ١٠٢ .
(4) الاغتراب : ٤١.

# المبحث الثاني

## الحيوانات

ارتبطت الحيوانات بالانسان منذ قديم الازل بعد ان سخرها الله خدمة للبشرية جمعاء في قضاء اعمالها واحتياجاتها الحياتية المختلفة، فتوطدت العلاقة بينهما وصار الحيوان انيسا للانسان يتبعه اينما حل او رحل[1]، ولكن طبيعة الانسان القاسية والتي تتعدى ظلم الانسان لاخيه الانسان الى ظلم الكائنات الحية الاخرى اذاقته انواعا من التعذيب والقسوة .

فوقف الصافي اتجاه هذا العمل موقفا عدائيا حاول من خلاله المطالبة بحقوق الحيوان بعد ان وجده فاقدا للحيلة مسلوبا للارادة، يقول :

ابكي على الحيوان اكثر من بني الـ (م) انسان مهما يقتلا او يظلما
اذ لا ارى الحيوان ماللك حيلة عنه يرد بها البلاء المبرما
ولقد ارى الحيوان حينا ظالما لكن ارى الانسان منه اظلما [2]

وهو بهذا يتعدى ((الشعور الحسي)) باهمية الانسان ووجوب احترامه وضمان حريته الى التفكير بالحيوانات ككائنات حية تسدي لنا في كثير من الاحيان خدمات جلى ينبغي للضمير الانساني الاعتراف بها ويدعو الوفاء ان نقابلها بالعطف وهي لاتملك ان تطالب بحق او تتظلم من جور))[3]، فالانسان لا يمكن ان يكون انسانيا ما لم يشمل بعطفه وحنانه جميع الكائنات الحية دون تفضيل جنس على حساب جنس اخر، يقول :

لاتحسب الانسان الا من حوى عطفا على الانسان والحيوان
ما فضل انسان انساني له عطف يخص بجنسه الانساني [4]

ولعله ينطلق في هذا من المبدأ القائل بان (الانسان هو حيوان ناطق) فلا فرق بينهما الا بالغرور الذي جعله يشعر بالتفوق الزائف متخذا من الظلم والاضطهاد والتعسف القوة التي يسيطر بها على العالم من حوله فعاملهم كما تعامل الوحوش، يقول :

من الحيوان لم اشك استياء ولم ار في الضواري لي خصوما
هو الانسان حيوان ، ولما ترقى صار حيوانا لئيما [5]

كل هذا جعله ياخذ الحيطة والحذر من تلك الوحوش البشرية بدلا من الحيوانات التي تعيش تبعا لغرائزها الطبيعية والبعيدة عن كل شر، فتمنى لو استطاع ان يعيش معها في حياة يسودها الوئام والالفة والمحبة، يقول :

لا تحذر الحيوان في عدوانه واحذر لسان الشر من انسانه
رفس البغال برجلها لك ، هين في جنب بغل رافس بلسانه [6]

ولقد نادى الى التقرب من تلك الحيوانات والتعامل معها بلطف ومحبة شديدين، بل وتقليدها لما رأى فيها الصدق والوفاء اكثر من بني البشر . وقد ابتدأها بالطيور التي هام بها الصافي ايما هيام، ودعا الى الاقتداء بها واتباع اسلوبها في الحياة، وهي دلالة واضحة على مدى الوحشة والخوف والاستلاب الذي يعاني منه، فتمنى لو كان له جسم كجسمها وريش كريشها ليسبح في سماءات الخيال تاركا الارض ومن عليها، ولكن هيهات، فهي امنية مستحيلة مع قدر كان له بالمرصاد، بعد ان اجبره على البقاء في الارض، وكأن رمز الطير صار المعادل الموضوعي لحالته الوجدانية اتجاه البشر والاشياء الاخرى، يقول :

انا طائر لا يرتضي الارض مسكنا كأني بين الجو ابحث عن عرشي
ولكن دهري قص جنحي وارجلي فما حال طير لا يطير ولا يمشي [7]

وهو ان نادي (انا واحد منكم)[8] واعلنها صرخة مدوية الا انه يختلف عنها، فغايته ابعد من ان تكون مقتصرة على طعام او شراب او التنقل المحدود بين الاماكن، فرؤياه البعيدة تجبره على اكتشاف الكون وخباياه والاستغراق في تفسير الوجود المطلق، يقول :

طيران ، ذا منه الجناح قصيرة اقصى مناه الاكل ثم الماء

---

(1) ينظر : الطبيعة في الشعر الجاهلي : د. نوري حمودي القيسي : ٩٩.
(2) التيار : ٨ – ٩ .
(3) احمد الصافي حياته - شعره : ٥٧ .
(4) المجموعة الكاملة : ٥٦٨ .
(5) اشعة ملونة : ١٢١ .
(6) اللفحات : ٢٥٨ ، ينظر م . ن : ٢١١ ، الامواج : ٤١ ، ٦٣ ، التيار : ١٦١ ، المجموعة الكاملة : ٢٦٩ .
(7) اشعة ملونة : ١٤١ ، ينظر : المجموعة الكاملة : ١٢١ .
(8) شرر : ١٠٧ .

وجنـــاح ذاك طويلـــة تهـــوى الفـــضا | فغــــــذاؤه حريــــــة وســــــماء [1]

فهو حقا طير، ولكنه لا يشبه الطيور الاخرى، فان له (( منقار البومة، وصدر الورقاء، وجناح الهدهد، وذنب الطاووس، وله في الشدو هديل الحمام ، وضمير البلبل ، وعندلة العندليب ...انه لطير عجيب غريب ، يحسن الطيران والغناء ، ولا يحسن سواهما))[2] .

وقد عبر الصافي عن نفسه الغريبة وما جمعته من اجزاء الطيور المختلفة، بل وتفوقها على جميع الطيور متخذة في الوقت نفسه البعد والانطواء عن بني جلدته، يقول :

طبعـــي عـــن البـــشر الغريـــب بمعـــزل | تحليـــق نـــسر لـــي ، وســـجع البلبـــل
والــــروح روح حمامـــــة بــــوداعتي | واذا وثبـــت ، فلـــي وثـــوب الاجـــدل
حتـــى الطيـــور فقـــدت لـــي مـــثلا بهـــا | واخـــذت منهـــا كلهـــا ، بالامثـــل [3]

فهذه الطيور لم تكن في قصائده الا رموزا في مظاهرها المتعددة التي تحاكي حياة الشاعر واحاسيسه، بل هي جزء من ذلك (الجمال) الكلي الذي يتصف به (عالم المثال) عنده[4] ، ويأتي العصفور اولى تلك الطيور التي اهتم بها واولها العناية الفائقة ((انني اهوى الطيور جميعا واجد في العصفور خاصة شيئا كثيرا مما يحببه الى نفسي ويقربه مني))[5] وكأن بينهما صلات خفية لا يفهمها احد، ولعل ما ذكره الصافي راجع الى صغر حجم تلك الحيوانات وضعفها فضلا عن اصواتها الرقيقة التي تحبب النفوس اليها وتوددها ، يقول :

كلانــــا ايهــــا العــــصفور حــــر | ولكـــن عـــشت مـــن دهـــرك بـــسجن
لـــو انـــك عـــائش فـــي النـــاس مثلـــي | لكنـــت صـــمت دهـــرك ، صـــمت حزنـــي

. . .

وتحيـــى بـــين جنـــسك ، غيـــر انّـــي | اعـــيش بغيـــر جنـــسي عـــيش غـــبن
وجنـــسك لـــيس فيـــه غيـــر جـــنس | وكـــم فـــي الانـــس مـــن وحـــش وجـــن [6]

فطالما تحدث عن ايوائه للعصافير حتى غدت كافراد لا سرته الضائعة فتمنى الا تغادره ابدا، فهو يتألم لالمها ويفرح لفرحها ، بل انه يشابهها في تفكيرها البسيط المتمثل بحب السفر والابتعاد عن كل لئيم حاقد يمكن ان يسبب لها القهر والاذى، يقول :

اهـــلا بعـــصفور صـــغير لاجـــيء | قـــذفت الـــي بـــه يـــد الاقـــدار

. . .

ارققـــت لـــي فاتيـــت تـــؤنس وحـــدتي | يـــا الطـــف الخـــلان والـــزوار
عجبـــا كلانـــا طـــار قبـــل اوانـــه | ونـــأى الطمـــوح بنـــا عـــن الاوكـــار
فبـــدأت بالاســـفار مثلـــي يافعـــا | وانـــا بلغـــت نهايـــة الاســـفار
فوقـــانيَ الله الوحـــوش اناســـيا | ووقـــاك ربـــك كـــل طيـــر ضـــار [7]

ثم ينتقل الى جنس اخر من الطيور وهو البلبل الذي رأى في صورته الاخ الذي لم تلده له امه ، فود لقياه بعد ان قص جناحاه ليمضي بقية حياته يعيش على مضض بين البشر، يقول :

يـــا بلبـــل الـــصبح اقتـــرب | انـــا ســـامع وحـــدي غناكـــا
لـــو كنـــت تعـــرف صـــبوتي | لاتيتنـــي فلثمـــت فاكـــا
انّـــي اخـــوك وان حرمـــت | مـــن الجنـــاح ، فـــزر اخاكـــا
روحـــي كروحـــك طـــاهر | وهـــواي نـــوع مـــن هواكـــا [8]

---

(1) اللفحات : ٢٠٥ – ٢٠٦ .
(2) قلب العراق : ٢٧٥ .
(3) الشلال : ٩١ ، ينظر : م . ن : ٣٤ ، اشعة ملونة : ١٤ ، ١٦ ، ٤٥ ، ٦٦ ، الاغوار : ٢١٩ ، شرر : ٤٢ ، ٤٨ ، ١١١ ، هواجس : ٢٢٢، ٣٢٤ ، ٣٥٩ ، حصاد السجن : ١٠٨، المجموعة الكاملة : ١٢١ ، ١٤٥ ، ١٥٢ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٨٢ ، ٢٨٢ ، ٣٢٨ ، ٦٢٨ .
(4) ينظر : تطور الشعر العربي الحديث في العراق : د. علي عباس علوان :٤٣٨ .
(5) دراسات في النقد والشعر : ٣٣ .
(6) الشلال : ١٦ – ١٧ .
(7) اللفحات : ٧٦ – ٧٧ ، ينظر : هواجس : ٧٧ ، الشلال : ٦٠ ، المجموعة الكاملة : ٢١٩ ، ٣٢٤ ، ٣٣٦ ، ٦٧٣ .
(8) شرر : ٥٧ .

ويستمر في نقمته على دهره الذي اجبره على العيش مع الاشواك، فتمنى لو استطاع فك اسره والافلات من سجنه المقيت واللحاق ببني جنسه البلابل، فهي تأتيه باعذب الغناء واحلاه، وكأنه البلسم الذي يخلصه من الامه واحزانه ويكون دليلا يقوده الى طريق النورالابدي، فالصافي يصحو على صوت ذلك الطائر المغرد فتندمج روحيهما معا في نشوة عجيبة، فلكل منها حديث غريب عن بني جنسه، فلا احد يفهمه او يتذوقه، فالاول هو بلبل بني الورى والثاني هو انسان الطيور، يقول :

صـــــباحا يحينــــــي البلبـــــــل وفـــــي لحنـــــه خمـــــرة تثمــــل
كلانــــــا غريــــــب بالحانــــــه كلانــــــا باقوالــــــــه مـــــذهل
فانّـــك ((انـــسان)) جـــنس الطيـــور وانّـــي بجـــنس الـــورى ((بلبـــل))[1]

وتحاول الحمامة ان تهون عليه تلك الالام والاوجاع التي يشكو منها طالبة منه نسيان ذلك الهم والنظر الى ما هو ابعد من ذلك، يقول :

اصـــخت الـــى ســـجع الحمـــام صـــبيحة وقـــد اكلـــت قلبـــي الهمـــوم النـــواهش
وفكـــرت ، مـــا معنـــى غنـــاه اذا بـــه يخـــاطبني ان عـــش كمـــا انـــا عـــائش [2]

ويجيئه الحسون رفيقا ، فيسعده بعد ان وجده لا يخالف له امرا، فود لو كان جميع الاصدقاء مثله، يقول :

نعمــــت بحــــسّون ســــعدت بــــوّده وطلقــــت اصــــحابي لــــه ومعــــارفي
فلــم اســتمع منــه ســوى مــا يــسرّني ولـــم ار منـــه ايّ امـــر مخـــالف
ســوى عــضّه كفّــي اذا رمــت مــسّه دعابـــا ، ولكـــن عـــضّه عـــض خـــائف
ينـــوّع فـــي الحلـــق الـــصغير اغانيـــا كـــأنّ بـــه الـــف شـــاد وعـــازف [3]

ولم يقتصر عطفه الابوي وحنانه الانساني على جنس الطيور حسب، بل شمل حيوانات اخرى، ومنها القط الذي صار له ابنا يرافقه في كل مكان طالبا منه العون دون الاخرين، فتارة يجلس بالقرب منه، واخرى يلاعبه وهو في اطمئنان تام، يقول :

وكـــم عانيـــت مـــن خجـــل لقـــطّ بحـــضني قـــد اقـــام كأنـــه ابنـــي
يـــراه النـــاس حينـــا لاصـــقا بـــي وحينـــا لاحـــسا كفـــي وذقنـــي
. . .
يطـــارده الانـــام بـــدون ذنـــب فيلجـــأ هاربـــا مـــنهم لحـــضني
كـــأن لـــم يلـــق غيـــريَ مـــن مجيـــر لـــه فـــي حـــالتي خـــوف وحـــزن [4]

فهو قط يختلف عن القطط الاخرى، بل هو شاعرها، كما يقول الصافي[5] فانجذب اليه لما لقي منه التشابه الواضح، حاملا لطبعه الاصيل الذي اوحى اليه بالتعبير الحسي والتصوير الموحي، بل ان لهذا النوع الاليف من الحيوانات حكاية مع الشاعر حيث (اللذة الخالدة)[6] التي وجدها في انقاذ قطة صغيرة كسرت ساقها فالقيت خارج البلدة في مقبرة قديمة تأن وتتألم وتشكي حالها من جراء فعل الانسان فيها، فحملها على كتفه وكأنها ابنته مستذكرا لؤم البشر، وحقدهم عليه وعليها، وهي قصيدة تجلت فيها الصفة الانسانية بمستواها الرفيع .

وكما احب الصافي القط فقد احب الكلب واسمه وتكلم كثيرا عنه لما حمله من مشاعر الوفاء والصدق والطاعة لبني الانسان، الذين قابلوه بالضرب والطرد والقتل، بل انه يحب ان يحمل اسم ذلك الحيوان، فيرى انه اذا ما قيل لاحدهم (انت كلب) فهذا لشأن عظيم فيه، وهي حالة دلت على عطفه وشفقته على الكلب ونكران لصفة الانسان التي ينتسب لها، يقول :

احـــب الكلـــب واســـم الكلـــب بـــل مـــن دعـــاه النـــاس عنـــد الـــسب ، كلبـــا

(1) المجموعة الكاملة : ٥٧ ، ينظر : ٢٤٩ ، ٧١٩ ، ٧٢٢ ، اشعة ملونة : ١٢٤ ، ٢٠٨ ، شرر : ٢٦ ، ٤٤ ، ٧٤ ، ٨٧ ، ١٠٧ ، ٢١٠ ، حصاد السجن : ١٥٣ .
(2) هواجس : ٢٥١ – ٢٥٢ ، اللفحات : ٢١٠ .
(3) الشلال : ٣٥٤ ، ينظر : الامواج : ٤١ ، ٦٣ ، اللفحات : ٢١١ ، التيار : ١٦١ ، المجموعة الكاملة : ١٦٣ ، ٢٤٠ ، ٢٧٦ ، ٤٨٤ ، ٥٨٦.
(4) الامواج : ١٧١ – ١٧٢ .
(5) ينظر : م . ن : ١٧٢ – ١٧٣ .
(6) ينظر : التيار :٥٩ - ٦١ ، اشعة ملونة : ٥٤ .

وقـــالوا : فـــيم نـــار الغـــيظ تـــذكو اذا الانـــسان باســـم الكلـــب ســـبّا؟
فقلـــت : لانهـــم اعطـــوه شـــأنا علـــى مـــا يـــستحق ســـما واربـــى [1]

ثم يأتي بثورته الكبرى في قصيدة يشرح فيها قصة كلب عاش في كنف اسرة ثرية ثم ما لبثت ان رمته مستبدلة اياه بجرو اصغر واجمل منه فاخذ يطلب الطعام من الغرباء المتمثل بشخص الصافي الذي شمله بحبه وحنانه الفياض، فيقرر الذهاب الى تلك العائلة وسؤالهم عن سبب طرده، فيجيبونه بوجود ذلك الجرو الجميل، فيطرق رأسه خجلا حزينا مستنكرا ذلك الفعل رافضا الانتساب الى ذلك الجنس، يقول :

رحـــت ابـــدي العتـــاب مـــرا لـــرب البيـــت فـــي تركـــه قـــديم الـــصحاب
قـــال هـــذا جـــرو جميـــل ، وذاك الكلـــب شـــيخ ، فاعجـــب لهـــذا الجـــواب
انـــــا ادرى بلـــــؤم ابنـــــاء جنـــسي فـــارى لـــؤمهم بـــلا اســـتغراب
. . .
اطـــرق الـــرأس اذ ارى ذلـــك الكلـــب والـــوي منـــه علـــى اعقـــابي
خجـــلا مـــن شـــنيع افعـــال جنـــسي فكـــأني عوقبـــت عـــن اصـــحابي
صـــرت آبـــى مـــن نـــسبتي لانـــاس فـــضحونا حتـــى امـــام الكـــلاب [2]

فالشاعر ينطلق في هذا من عمقه الانساني الذي تختلج فيه جميع الكائنات اختلاجة واحدة، ويغيب فيه عنصر البشر[3]. فهو لايستغرب نباح الكلب بقدر ما يكره صوت الانسان ويشمئز منه، بل ويتمنى ان يختفي ذلك الصوت من الوجود، يقول :

مررنـــا بـــدرب مـــوحش فتعرّضـــت كـــلاب باصـــوات لهـــن ضـــخام
فقلـــت بحمـــد الله قـــد صـــكّ ســـمعنا نبـــاح كـــلاب لا نبـــاح انـــام [4]

وقد اعترض الشاعر على المبدأ القائل بان القرد هو المرحلة الاولى لخلق الانسان وتطوره العقلي، بل واعتبر ذلك الرقي والتطور انحطاطا وتفسخا واضحا انتقل فيه القرد الى مرحلة ادنى مما كان عليه، يقول :

لـــم يرتـــق القـــرد اذ قـــالوا غـــدا بـــشرا لكنـــه انحـــط مـــن عـــال فـــصار دنـــي
فـــالقرد يعمـــل مـــا توحيـــه فطرتـــه والمـــرء يعمـــل ضـــد العقـــل الـــسنن [5]

ولعل هذا ماجعله يلتفت الى الحيوانات التي كانت تسكن معه في غرفة واحدة، ليقيم معها علاقات الود والصفاء بعد ان افتقدها مع ابناء جنسه، ومنها الافعى التي اسكرته بفحيحها المستمر واسكرها بقصائده العذبة، كما لو اتفقا على الصلح فلا هو يقربها ولاهي تدنو منه، يقول :

جـــاورت افعـــى فـــي الـــسقف ســـاكنة تطـــرب لـــي بـــالفحيح ، اســـماعي
وان تلـــوت القـــريض تنـــصت لـــي كأنهـــا اطربـــت لاســـجاعي [6]

وقد جاور الصافي تلك الافعى لمدة عامين دون ان تمسه بسوء يذكر، بل على العكس من ذلك فقد نال منها الالفة والصفاء والحوار المستمر حتى غدت ملهمته في كثير من قصائده الشعرية، فتمنى لو كان جميع البشر كتلك الافعى التي لاضرر فيها [7] .

وتشاركه الفأرة في غرفته الصغيرة تلك، فيشملها برعايته وعطفه، ويجعل من قوته اليومي قسما لها، ولكنها لم تحفظ ذلك الجميل، بل اخذت بازعاجه بالقرض المستمر ليلا فحرمته نعمة الرقاد . ولقد حاول القبض عليها بواسطة مصيدة اعدها لهذا الغرض، فنجح في ذلك، ولكنها اخذت تأن وتشتكي بصوت حزين طالبة العفو والسماح، فرق الشاعر لحالها واخذ يعاتب نفسه على ما قام به من عمل لا يرضاه قلبه الرقيق ولا يقبله ضميره الحي، يقول :

وربـــة فـــأرة بـــالقرض لـــيلا متـــى مـــا رمـــت نومـــا اقلقتنـــي

---

(1) اشعة ملونة : ٦٢ .
(2) التيار : ١٥٤ – ١٥٥ .
(3) ينظر : مقدمة للشعرالعربي : ١٠٦ .
(4) اشعة ملونة : ١٧٤ ، ينظر : التيار : ٧٢ ، ١٩٤ ، الشلال : ٢١٣ ، المجموعة الكاملة: ٢٠٦ ، ٢٣٨ ، ٣٣٣ ، ٤١٨ .
(5) الامواج : ٤٥ ، ينظر : شرر : ١١١ ، اشعة ملونة : ٧٣ ، ١٠٠ .
(6) شرر : ٨٤ .
(7) ينظر : م . ن : ٨٤ – ٨٥ .

اذا شـــــعرت بيقظتـــــي اســـــتكنّت　　　وان شـــــعرت بنـــــومي ايقظتنـــــي

. . .

ولمــــا لـــم اطـــق صـــبرا عليهـــا　　　ولـــو كنـــت اصـــطبرت لجننتنـــي
اتيـــت لهـــا بمـــصيدة وفيهـــا　　　وضـــعت الخبـــز مغموســـا بـــسمن

الى ان يقول :

فـــزاد انينهـــا لمـــا رأتنـــي　　　وبـــالطرف الكـــسير اســـتعطفتني
دعتنـــي فـــي لـــسان الحـــال ، انّـــي　　　اتـــوب اليـــك فـــاتركني وشـــأني
لـــذا اطلقتهـــا وعفـــوت عنهـــا　　　ومـــا اتبعـــت احـــساني بمـــن [١]

والقصيدة طويلة لا تجد فيها الا البساطة في التعبير والاصالة في التصوير مع خلق لكل الصور الموحية التي تعبرعن حالاتـه النفسية من جراء ما يلاقيه من القلق والازعاج بسبب ذلك المخلوق الصغير، ولكن هذا لايعني شيئا امام ما يلاقيه من بني جنسه من الغبن والقهر والاذى .

ويسكن معه عنكبوت متخذا جانب الصمت والهدوء، منشغلا عنه باعماله الخاصة، وكأنه في هذا فيلسوف مفكر يحاول اكتشاف الاشياء الغامضة التي لا وجود لها في هذا العالم، يقول :

واعتـــزل العنكبـــوت امـــري　　　وفـــي بقـــاه معـــي رضـــيت
فهـــو معـــي مثـــل فيلـــسوف　　　معتـــزل دأبـــه الـــسكوت
مـــشتغل بالنـــسيج عنـــي　　　يبنـــي شـــباكا بهـــا حميـــت [٢]

ومثله الصافي الذي وجد نفسه يعيش وحيدا في هذا الكون حيث يعاني الوحشة والاستلاب من كل ما يحيط به، يقول :

انـــا فـــي هيكـــل الوجـــود كـــأني　　　عنكبـــوت اعـــيش فـــي مثـــل بيتـــه [٣]

ويتذكر الشاعر رفيقيه البق والبرغوث اللذين طالما ازعجاه في ليله الطويل بالقرص المتواصل، وهو يعود الى معركة قديمة جرت بين بني الانسان وهذه الحشرات الصغيرة حيث قتلوها واسفكوا دماءها، فجاءت الان لتنتقم من الصافي باعتباره الحفيد لاولئك الاسلاف، يقول :

لا اشـــتكي فـــي الليـــل مـــن وحـــشة　　　البـــق والبرغـــوث فـــي قربـــي
هـــذان صـــحبي لايرقـــان لـــي　　　قبّحـــتم ياصـــحب مـــن صـــحب
كـــم قلـــت للبرغـــوث مـــستفهما　　　تقرصـــني ويحـــك مـــا ذنبـــي
فقـــال اســـلافك اجـــروا دمـــا　　　مـــن ســـلفي فـــي ســـالف الحقـــب [٤]

ويكتشف الصافي نوعا من الحشرات محبا للادب وهو العث الذي يلتهم الكتب بما حوت من اشعار وحكم وامثال، وكأنه حافظ لها، يقول :

العـــثّ بالكتـــب مولـــع ابـــدا　　　يأكـــل منهـــا مـــا شـــاء منتخبـــا
يلهـــم احلـــى اشـــعارها ، طربـــا　　　لايـــشتكي تخمـــة ولاتعبـــا

. . .

هـــل يـــاترى العـــثّ يعـــشق الادبـــا　　　لـــذاك يهـــوى الاشـــعار والكتبـــا
اهـــو الاديـــب الامـــي يعجـــزان　　　يتلـــو، لـــذا راح يأكـــل الادبـــا [٥]

وتـأتي النملـة خاتمـة تلك الحشرات التـي اعجب بهـا ايمـا اعجـاب، فصارت مثـالا يحتذى بـه فـي الاخوة والتعاون والعمل، فهي لاتكل ولاتمل ابدا، فتمنى ان تكون تلك الحشرة الصغيرة زعيمة او معلمة تعطي دروسا في الحكمة والنظام والادب ومرشدة الى طريق الرشاد والصواب، يقول :

ارى فـــي خـــواني نملـــة تطلـــب الغـــذا　　　فاتركهـــا كالـــضيف ، تأكـــل مـــا تهـــوى

---

(1) الامواج : ١٦٨ – ١٧٠ ، ينظر : م . ن : ١٧ .
(2) م . ن : ١٧ – ١٨ .
(3) اشعة ملونة : ١٢٣ .
(4) اللفحات : ١٢٧ – ١٢٨ ، ينظر : م . ن : ١٢٤ ، اشعة ملونة : ١٦ ، ١١٩ ، هواجس : ٦٨ ، ١٣ ، شرر : ٢٠٢ ، التيار : ١٩٢ .
(5) الشلال : ٢١٠ .

| | |
|---|---|
| الطردها ضيفا ، خفيف مؤونة | صغيرة حجم لاتكلفني مأوى |
| وليس لها قصد بجسمي ولادمي | غنية نفس ، من سوى الكد لا تحيى |
| معلمتي ، والاجر حبة سكر | وفضل طعام ليس لي فيه من جدوى [(١)] |

ويتحدث الشاعر عن نملة غريبة ماتت بالقرب منه وهو لايعرف ماذا يفعل لها بعد ان تركها اهلها تنازع في النفس الاخير، فاخذ يبكي عليها، وهو تعبير عن عواطفه الجياشة ومشاعره الرقيقة وقد رثى اصحابه حاله بعد ان ظنوه في حالة جنونية، فرد عليهم قائلا :

| | |
|---|---|
| ولكنها ماتت لديّ غريبة | فوا لهفي قد اصبحت جثة ترمى |
| رثى لي صحابي اذ رثيت لنملة | وليس لها ذنب سوى انّها صغرى |
| يقولون : صغرى ، احزنتك حقيرة ؟ | ولا فرق ، صغرى كانت الروح او كبرى |
| واحنو على الصغرى اشدّ من الكبرى | فعطفي عليها كلما صغرت ، اسمى [(٢)] |

فان كانت تلك النملة صغيرة حقيرة ــ كما يدعون ــ لما حقها الله بسورة في كتابه العزيز سماها بسورة ((النمل)) .

ويتمنى الشاعر لو كان كالفراشة بطيرانها الرقيق والوانها الجميلة البراقة التي تعيش لمدة من الزمن ثم ما تلبث ان تموت وهي في ريعان الشباب تاركة ذكرى طيبة في قلوب محبيها ، يقول :

| | |
|---|---|
| فما اهنا الفراشة في فضاها | ترفرف كل حين ثم تفضي [(٣)] |

ولاينضب ينبوع الدفء والحنان الابوي ابدا ليشمل به حيوانات اخرى، فهذه الضفدعة التي طالما اطربته بنقيقها الجميل والذي يفوق بادائه اغاني جميع البشر، فتأتيه بالالحان العذبة التي يطرب لها الشاعر فيشعر بنشوة غريبة تسره وتبهجه، يقول :

| | |
|---|---|
| مغنيتي في الليل ضفدعة جذلى | تعبّ الطلا ماء فتغدو به ثملى |
| من الماء في فيها اصطفت وترا لها | فتعزف لحنا بالمياه قد ابتلا |
| تغني في الماء وهي في الماء تنتشي | فمن مثلها بالخمر غنى لنا قبلا [(٤)] |

ويجعل من السمكة سلوته التي يقصدها دائما حاملا معه طعامها المفضل ، وشتان بينه وبين الاخرين الذين تعودوا اساليب الغش والخداع ليطعموها الموت الزوؤام ، يقول :

| | |
|---|---|
| انا اطعمتها لتحيا ، وقومي | اطعموها لتجرع الموت مرا |
| ثم لم يكفهم نفاق وغدر | فرأوا رحمتي جنونا مضرا |
| ان يك الرفق بالضعيف جنونا | فانا اعظم المجانين طرا [(٥)] |

ولقد عرض هذه المأساة من خلال صورة فنية متكاملة نابعة من طبيعته الاصيلة فنالت من الاثارة والقوة والانفعال الشيء الكثير، فهي تجسيد لحالة الصراع بين نفس الشاعر الطيبة ونفوس الاخرين الشريرة .

ولايحرم الصافي ذبح الحيوان واكله، ولكنه يكره الاساليب المتبعة في ذلك، وان كان يتبع فلسفة خاصة به في تناوله للحومها، يقول : (( انا لا احرم اكل اللحم المذبوح ولكني احرم ذبح الحيوان وازهاق روحه، ولذلك فمهما طالت بي الايام التي لا اكل فيها لحما فلن اسمح لنفسي ان اذبح الحيوان او ان يذبح الحيوان لاجلي ارضاء لرغبتي في اكل اللحم، اما اذا كان اللحم مذبوحا على حساب غيري فلن يكون له في نظري الا حكم الجماد والنبات اذ لا اسبب في اكلي له ظلما ولا ألما، اي ان فلسفتي تتعلق بعدم ايلام الحيوان وعدم ظلمه وليست لها اي علاقة بفلسفة النباتيين والبراهمة والمحرمين لاكل اللحم))[(٦)]، وهو منطق محير يجمع فيه الصافي بين شفقته ورحمته على الحيوان وتناوله للحمه وان كان ( مذبوحا على حساب الغير)) ــ كما يقول ــ ولكن الايام تجبره

---

(1) الشلال : ١٨ ــ ١٩ .
(2) م.ن : ٢٢ ، ينظر : هواجس : ٣٦٥ ــ ٣٦٦ .
(3) شرر : ٢٠٦ ، ينظر : المجموعة الكاملة : ١١٥ .
(4) م . ن : ٢١٠ .
(5) الاغوار : ٢١٣ - ٢١٤ ، ينظر : م . ن : ٢٠٢ - ٢٠٤ ، المجموعة الكاملة : ١٥٩ .
(6) عبقرية الصافي : ٥٤ .

على فعل ما لا يحب فيذبح ديكا بعد ان الم به الجوع واذاه، فيرثيه بمقطوعة شعرية واخرى نثرية واصفا فيها ندمه على ما اقترفت يداه من جرم عظيم، يقول :

لهفـــي عليـــك مودعـــا متلهفـــا ترنـــو بطـــرف فـــي الـــوداع كـــسير
هـــذي حبوبـــك لـــم تكمـــل لقطهـــا والمـــاء ضـــمن انائـــك المهجـــور
فلـــسوف ارثـــي منـــك خـــلا وادعـــا ابكيـــه عنـــد عـــشية وبكـــور [1]

اما ما جاء في النثر فقوله : (( ولا اعلم اي روح قاسية تقمصت في تلك الساعة واين ذهبت شاعريتي واحساسي الرقيق ، وقصائدي في الرفق بالحيوان؟ فاي روح قاسية، واي قلب متحجر حلا بي في تلك اللحظة فقبضت عليك وامسكت بالسكين دون ان ترتجف يدي وذبحتك من الوريد الى الوريد والقيت راسك جانبا؟ الم اخجل قط من اظهار القوة على ضعيف مثلك وانا الذي لم اتقاو على ضعيف قط ؟))[2] فطالما ازعجه ذلك الديك بصياحه المتواصل احتجاجا على اسره وبقائه مقيدا لدى الانسان فصار الصياح المتنفس الذي يعبر به عن الكبت والضيق، حقا، فالديك بطبعه حيوان لايقبل العبودية، فود الخلاص من سجنه والرحيل الى ارض الحرية الخالية من جنس البشر والتي تجمعه باقرانه من الحيوانات المختلفة، يقول :

ولـــست الومـــه فالـــديك حـــر تقيـــد والـــصياح لـــه احتجـــاج
ولـــيس مـــراده اكـــلا ولكـــن الـــى حريـــة فيـــه احتجـــاج
ينـــادي كيـــف اهجـــع فـــي سـياج علـــى ابوابـــه ابـــدا رتـــاج
ذليـــل الطيـــر نـــام ولـــيس تغفـــى ديـــوك بالابـــاء لهـــا امتـــزاج [3]

ويتفق الصافي في مطلبه هذا مع الديك ليتخلص من الهموم والالام التي يسببها له ابناء جنسه فيتمنى لو يكون بين يديه قطيع من الاغنام بدلا من هؤلاء الاوغاد يسيرها حيثما شاء او رغب فهي لا تشتكي ابدا ولا تتعب، راضية بما هي عليه، محبة له ومخلصة، يقول :

يـــا ليتنـــي كنـــت راعيـــا غنمـــا فـــي البـــر اقـــضي الحيـــاة منفـــردا
لـــي امـــة ، اينمـــا ذهبـــت ، معـــي تـــذهب لمـــا ارتـــضت هـــداي هـــدى
لا تـــشتكي لـــي طـــول المـــسير ولا تـــشكو الجفـــا لـــي او تـــشتكي الكمـــدا
امـــة ضـــأن قـــد ارتـــضيت بهـــا اهـــلا ، كمـــا اختـــرت ولـــدها ولـــدا [4]

ومن كل ما تقدم، يمكن القول ((بان الشاعر المغترب اشد ارتباطا بالحيوان منه بالانسان))[5] وهذا ما حصل للصافي الذي جعل من الحيوان مملكته المفقودة التي يعوض من خلالها ما يحس به من الحزن العميق والالم المقيت والروح الحبيسة بين اناس لا يقدرون حقيقة معدنهم الاصيل، يقول :

انـــا شـــاعر الحيـــوان غيـــر مـــدافع وبغيـــره آليـــت ان لـــن انظمـــا [6]

---

(1) اللفحات : ١٠٤ .
(2) احمد الصافي النجفي رحلة العمر : ٨٦ .
(3) الامواج : ١٣١ ، ينظر : الشلال : ١٠٧ ، ٢٧٨ ، المجموعة الكاملة : ٦٤٤ .
(4) التيار : ٨٩ ، ينظر : م.ن : ٥٤ ، اشعة ملونة : ١١٠ ، ١٢٧ .
(5) الاغتراب في الشعر الاموي : د.فاطمة حميد السويدي : ٣٧٧ .
(6) التيار : ١٦٥ .

# المبحث الثالث

## الامكنة

ان لفظة (المكان) او ــ ما توارد على الخاطر ــ لاينطبق الا على الارض حيث مولد الانسان الاول والمرجع الاخير له، بل هي حالة الارتباط الازلي بينه وبين الارض (الام) حتى تحولت لديه الى قضية مصيرية تركت اثرها الكبير في نفس الانسانية جمعاء ...

والصافي ــ كاي انسان ــ تأثر بقضية المكان الذي تحول لديه من مجرد ارض يعيش عليها الى ارتباط جوهري شمل الكون كله بعد ان فشل في انشاء علاقات مع بني البشر(( فللمكان دور مهم في صياغة جزئيات الحدث، مما يعمق جدلية الحياة والموت))[1]، ولكن في منظوره الخاص يمكن ان يتبدل المكان لينقلب الى الضد فهو يتبع فلسفة غريبة تجعله فريدا في نوعه البشري حيث الحب والكره في آن واحد اينما حل او رحل .

ولقد تبنى هذا الاتجاه على اساس الممارسة والنشاط الانساني وما يحملانه من مواقف وعواطف بكل تفاصيلها الكبيرة والصغيرة المعلنة والخفية، يقول :

امـــلّ كـــل مكـــان اذ احـــل بـــه ولـــي بكـــل مكـــان زرتـــه ولـــه
اعـــاف كـــل مكـــان زرتـــه ملـــلا لكـــن اذا زرتـــه ابقـــى احـــنّ لـــه [2]

ولاينعكس هذا الامر على الطبيعة التي اخذ يزجي اليها همومه والامه، ويبث لواعجه وشكواه ويناجيها طالبا العون منها، بل انه اندمج معها في كيان واحد فهو جزء لايتجزأ منها، يقول :

حـــب الطبيعـــة قـــد دعـــا لتـــشردي حـــب الطبيعـــة لايقـــر بمولـــد
ابـــدا اطـــوف ، وحـــسنها لـــي جالـــب وبـــذوقي العـــالي وحـــسي اهتـــدي
انـــا جزءهـــا ، ولـــذاك اعـــشق كلهـــا هـي منيتـي ، هـي اسـرتي ، هـي محتـدي [3]

فهي عنده تعد ((محرابا للفن يضيء له جوانب الفكر، ويستقصي فيه اسرار الكون، وحكمة الوجود، ومعبدا للتأمل الروحي في الحياة والادب، واستشقاق حجب المستقبل))[4]، انه منحها الحياة والحركة والحيوية كاي انسان، فللطبيعة نفس لا تقل اهمية عن نفوس البشر[5] ، فهي تحس بمعاناته ومأساته وتشاركه احلامه وتأملاته، فصارت وكأنها ملجأه الامين الذي يحميه ويلتجأ اليه كلما شعر بالضيق والتأزم النفسي هربا من بشاعة واقعه المر، وتنفيسا عما يعانيه من القسوة والظلم، حتى غدت مظاهرها المختلفة رموزا عبر الصافي من خلالها عما يجول بخاطره وما يشعر به، يقول :

قـــــصدت الطبيعـــــة مـــــستنجدا بهـــا هاربـــا مـــن جميـــع البـــشر
فجئـــت الـــى روضـــة غـــضّة تعـــانق فيهـــا قـــدود الزهـــر
يـــــسامرها بالغنـــــا طـــــائر يـــــساجله بالنـــــشيد النهـــــر
فاصـــــغي لاعـــــذب انـــــشودة مقطعـــــة بحفيـــــف الـــــشجر [6]

لقد ارتاد الطبيعة لما وجدها تشتمل على حياة الهدوء والتسامح والمودة التي يتدفق منها معنى الحيوية والتخلص من كل الاغلال والقيود ومن جراء التمدن الاجتماعي والقوانين الحضارية المتقدمة، فهي رمز للحب والنقاء والبساطة ، وهي المصدر الاول للاخلاق والادب، انها مثله كارهة للبشر الذين لا دأب لهم سوى الكذب والغش والخداع والجري وراء المكاسب المادية ناسين ما خلقه الله من المناظر الجميلة التي تبعث في النفوس البهجة والانس والسرور، يقول :

النهـــر يخطـــب بـــالخرير ، فانـــصتوا واذا تكلمـــت الطبيعـــة فاصـــمتوا
الـــريح تعـــزف والبلابـــل غـــردت والـــسحر ضـــجّ ، وانـــتم لـــم تـــسكتوا
هـــذي الطبيعـــة مـــنكم مغتاظـــة فعلـــيكم تـــدعو وفـــيكم تـــشمت [1]

---

(1) اشكالية المكان : ياسين النصير : ٢٢٢ .
(2) اشعة ملونة : ٤٠ -٤١ .
(3) المجموعة الكاملة : ٤٧٨ ــ ٤٧٩ .
(4) شاعرية الصافي : ٥٦ .
(5) ينظر : تمهيد في النقد الادبي : روز غريب : ٢٨٤ .
(6) التيار : ٢٣٠ .

فالشاعر ((ابن الطبيعة))[٢]، بل انه و الطبيعة وجهان لاصل واحد، فترى الصافي يبحث بين بني جنسه عمن يشابهها في جمالها الازلي، و صفائها النقي، و بساطتها الواضحة، فهي بعيدة عن كل زيف او خداع او تصنع متخذة من الصدق شعارها الاول، يقول:

| | | |
|---|---|---|
| خـــــلّ التصنّـــــع واتصـــــــف | | ببســـــــاطة النفـــــس الرفيعــــــه |
| اهـــــوى الطبيعـــة والــــــذي | | بـــــالخلق يقــــرب للطبيعـــــــه [٣] |

كيف لا ؟ وهي ذات حس وادراك فخاطبها وناجاها مستوحيا منها المشاعر والافكار والعبر، وكأنه في هذا اراد الخروج من عالمه الضيق الى عالم ارحب فهو يجن لمناظرها التي تمنى ان لايغادرها ابدا، فيبقى هناك يشرب من منهلها العذب مستغرقا في الكشف عن اسرارها وخباياها مستمتعا بالنظر اليها، فجميع الكائنات فيها ارواح تحس وتشعر مثله، فتحب وتكره وتحلم، لذا فهو يخاطبها وكأنها بشر[٤] ومنها النباتات التي شكلت بوجودها تكامل الحياة وبقاءها في ديمومة الاستمرار بعد ان عاشت بامان وسلام فلا حرب ولا قتال ولا دماء تسفك لاسباب تافهة، يقول :

الا ياحبـــــذا عـــــيش الاخـــــاء　　　لاعـــــشاب نبـــتن بجنـــب مـــاء
فنبـــــت مـــــستظل بظـــــل بنـــت　　　ونبـــــت مـــــستظل بالـــــسماء
فـــلا هـــذا دنـــا لـــلارض ذلا　　　ولاذاك اســـــتطال بكبريـــــاء
فهـــم فـــي الخلـــق مختلفـــون شـــكلا　　　ولكـــن عائـــشون علـــى الـــسواء [٥]

وكانت اقرب النباتات الى نفسه واكثرها اهتماما هي الازهار التي اولع بها وعدها سر الحياة الخفي والوجه الجميل لها، يقول :

خلقـــت لاعبـــد الحـــسن المفـــدى　　　وحـــسنك يـــاحبيبتي ، الاتـــم
فلـــو اســـطيع حملـــك حيـــث اســـعى　　　حملتـــك ، فالوفـــاء علـــيّ حـــتم
ســابقى معْـــك ، لاتستوحـــشي لـــي　　　فانـــت صـــديقتي ، والكـــل خـــصم
فمـــا فـــي النـــاس الا مـــا يغّـــم　　　ومـــا فـــي القـــول الا مـــا يـــصم [٦]

لهذا فهو يقترب منها وكله هموم واحزان، ولكنه يبتسم لها لانه من اصل تكوينها السامي فهو يشعر وكأنه عدم يعيش مع الناس، يقول :

اشـــمّ الـــورود بـــرغم الالـــم　　　ومـــا فـــي الحـــشا مـــن همـــوم وغـــمْ
وارغـــم غمـــي علـــى الابتهـــاج　　　واســـكر همـــي بخمـــر الهمـــم
اعـــيش كـــأني لـــست انـــا　　　فاغـــدو وجـــودا وعيـــشي عـــدم [٧]

انها تنبض في عروقه، بل هي تنمو معه، فللطبيعة سحر خاص يجذب الصافي اينما كان، فتجده ذاب في حسنها الاخاذ وجمالها الفذ عبر عنها في لوحات فنية رائعة تسمو بالمتلقي الى اجواء الافق والخيال وتغمره في جو من السعادة، فالشاعر في تعامله معها ينطلق من نفسه ومشاعره واحاسيسه ليصل بها الى الاعماق لتتمازج روحيهما في خليط سحري تعيده الى اصالة الروح وطهارتها،((انه يرفض المكان الميت والطبيعة الثابتة))[٨].

ان هذا الفن ليس بالجديد على الادب العربي فقد عرفه الشعراء القدماء واشتهر به الشعراء المحدثون الذين ((نظروا الى اعماقهم باحثين في حياتهم الخاصة عن احساسات غريبة، وفي اهتمامات غريبة عميقة بالطبيعة، ليس على اعتبار انها محور للمشاعر الجميلة، ولكن باعتبارها تشكل الروح المؤثرة في الحياة))[٩]، وما فتأت الطبيعة ان مدت الصافي بالخصب من الافكار والصور ليوسع من افاق شعره، وليحلق في سماء الفن تاركا

---

(1) شرر : ٢٠٧ .
(2) سايكلوجية الابداع في الفن و الادب : ٩٩.
(3) اشعة ملونة : ١٤٤ .
(4) ينظر : الرومانتيكية : د.محمد غنيمي هلال : ١٧٨ .
(5) شرر : ١٦٨ .
(6) الشلال : ٢١٤ .
(7) المجموعة الكاملة : ٧٢٠ .
(8) اشكالية المكان : ٤٠٩ .
(9) تطور الشعر العربي في العراق: ٣٦١ .

وراءه الحياة واغلالها حيث التجرد الكامل عن كل المنغصات التي تسبب الاحزان والالام من اجل ان تعيد له الراحة والطأنينة ولكنه لايقف في وضعه على شكلها الخارجي، بل يتجاوزه الى ما وراء ذلك من اسرار وخفايا، فيحاول ابرازها واظهارها من خلال التعبير عن شعوره الرقيق بكلمات في غاية البراعة والتشويق فهو شاعر الطبيعة ومصورها بلا منازع، ولقد خاطب الشاعر الياس ابو شبكة الشعراء الاخرين ان يعودوا الى الطبيعة والنظر اليها عن قرب في شعر الصافي الذي صار صورة صادقة لها، فقال :(( ايها الشعراء الهائمون بين المومياآت، تعالوا الي لادخلكم الى الطبيعة في شعر الصافي، تعالوا لاهديكم الى طريق الخلود في شعر ساذج لا دعوى فيه ولا غرور، تعالوا اسلك بكم طريق نفوسكم فانتم ضالون ... عودوا الى الطبيعة امكم فهي كريمة كما رأيتها في شعر الصافي))[(١)] .

كما ان الصافي وجد في الطبيعة بيته الكبير الذي يستطيع ضمه ليخلصه من كل القلق والازعاج الذي يلاقيه في تنقلاته الدائمية، حتى يصل به الحال الى اتخاذ الاماكن المهجورة منها سكنا له ليبتعد عن البشر الذين لا دأب لهم سوى الصراخ والضجيج، وكأنه من مستلزمات الحياة اليومية التي لايمكن الاستغناء عنها، يقول :

وتوحـــــشني المنـــــازل اهـــــلات      كـــــأني ســـــاكن ققفـــــر الفـــــلاة [(٢)]

ولقد اراد بعض الاصدقاء مساعدته، فقدموا له بيتا توفرت فيه كل اسباب الراحة والنعيم ولاسيما بعد ان اخذ الكبر يدب في انحاء جسمه الضعيف فرفضه معتمدا في ذلك على فلسفته الخاصة والتي ترى في الكون كله بيتا له يعيش فيه اينما رغب دون الحاجة الى اتخاذ مكان محدد، يقول :

احـــب جميـــع الكـــون اهـــوى ارتيـــاده      فلـــي كـــل حـــين بـــالوجود هـــوى غـــضّ
ولـــم اهـــو يومـــا ملـــك ارض لانننـــي      اذا مـــا ملكـــت الارض تملكنـــي الارض [(٣)]

فهو في رحلاته الكثيرة كالذين يعيشون في الخيم[(٤)]الا ان الفرق بينهما هو في الاجرة التي يدفعها لقاء بقائه فيها لمدة قصيرة، وهو يعد ذلك العمل قانونا يجب ان يلتزم به كل انسان تنتهي حياته بالفناء، فغايته ابعد ما تكون الى اقتناء دار او السكن فيها. انه يحب السفر في العالم كله حتى يرى ـــ في احيان كثيرة ـــ ان ما يسموه بـ(السماء) تعد سدا منيعا لايتزحزح عن مكانه ابدا، وهو اذا ما وصل اليه قلعه ليصل الى العالم اللا متناهي ولتسبح روحه في ارجاء الفضاء كله، فهي لاترضى بالقيد ابدا، يقول :

اصـــبو الـــى العـــدم الفـــسيح ، وفكرتـــي      تـــأبى الوجـــود بـــه تحـــيط حـــدود
حتـــى فـــسيح الجـــوّ لـــيس بواســـع      روحـــي ، فهـــا هـــو بالـــسما محـــدود
انـــي ســـئمت مـــن الـــسماء كأنهـــا      ســـدّ ، مـــدى نظـــري بهـــا مـــسدود [(٥)]

فهو كالهواء العذب يتغلغل في كل الوجود تاركا اثاره المختلفة حيث الشوق والحنين والذكرى الطيبة في قلوب المحبين، يقول :

يـــروم زيـــارتي عـــشاق شـــعري      فـــلا يجـــدون لـــي فـــي الارض دارا
ترانـــي كالنـــسيم اطـــوف حـــرا      فلـــست ولا النـــسيم نـــرى قـــرارا [(٦)]

فالشاعر لايستقر بمكان ابدا، فهو في طواف دائم يجوب انحاء المعمورة، وكأن حب الرحيل يجري في عروقه ويمده بدم الحياة والحركة، يقول:((دائما اتنقل مثل البدو الرحل . في داخل كل منا بدوي رحالة . احب التنقل بحثا عن العشب والشكل الحسن والماء والخضرة))[(٧)] وليس شرطا ان يكون هذا التنقل في الواقع المعيش، بل ان خياله يخلق له عوالم مختلفة يسافر فيها ليكتشف اشياء جديدة وغريبة ينقلها في شعره الرفيع، يقول :

اضـــيع العمـــر ان امكـــث بـــارض      واحـــرم مـــن افـــانين الجمـــال
احـــب الـــسير فـــي جـــسمي وروحـــي      اســـافر فـــي الحقيقـــة والخيـــال [(٨)]

(1) اشعة ملونة : ١٠ .
(2) التيار : ١٨٩ .
(3) الشلال : ٣١٢ ، ينظر : اشعة ملونة : ١١٣ .
(4) ينظر : شرر : ٢١٨ .
(5) الامواج : ١٨٦ ، الاغوار : ٩٧ .
(6) شرر : ١٢٥ .
(7) احمد الصافي النجفي رحلة العمر : ٢٣ .
(8) اشعة ملونة : ٢٠٩ .

ويختار الشاعر في سفره الطويل البحث عن الريف الذي يقربه من الطبيعة ومناظرها الجميلة فتغريد البلابل والعصافير وحفيف الاشجار وحقول الورود والازهار وخرير المياه اشياء ينسى المحب فيها نفسه ويعيش في عالم رومانسي مليء بالسعادة والهناء، يقول :

ايـــا حبّـــذا عيـــشي فـــي القـــرى | وزهـــــرة ايامهــــا الزاهيــــة
نهـــاري بهـــا ضـــاحك بالـــسرور | وامـــسيتي بـــالرؤى حاليـــة
انـــادم صـــبحا خريـــر الميـــاه | واغـــرق فـــي نغمـــة الـــساقية [١]

وقد استطاع الصافي الحصول عليه في سوريا ولبنان وهو يرتاد اوديتها ومصائفها وقد شغله جمالها الاخاذ عن النظر الى اي شيء اخر، ليعيش في وهم الخيال يرسم مع طبيعتها الخلابة معالم جديدة لارض جديدة ليست من الواقع في شيء، وهي كثيرة يذكر منها، عين ميسة التي اتخذها مقرا كغيرها من الامكنة ليهرب بها من جميع ما يزعجه ولاسيما البشر الذين طالما آذوه وآلموه ليستغرق في تفسير هذا الجمال الطبيعي، وما يحويه من رموز لا يمكن للاخرين الكشف عنها، يقول :

ايمّـــم عـــين (ميـــسة) كـــل يـــوم | لاروي مـــن مباهجهـــا فـــؤادي
اذا انـــا لـــم اجـــد فيهـــا اناســـا | وجـــدت بهـــا جمـــال الانفـــراد [٢]

فالبصر تكمن وراءه البصيرة التي تحاول النفوذ الى عوالم اكبر مما هو مرئي تكون فيها محملة بالرموز والدلالات التي تعبر عن ذلك المكان .

وينعكس هذا الامر على اودية لبنان ومنها زحلة التي ذاب الشاعر في حسنها فتمنى ان تكون تلك البقعة ملاذه الوحيد، ففيه كل انواع الجمال والفنون المختلفة، وقد اتخذ منه منفذا يلوذ به تخلصا من كل ما يحيط به من الهموم والالام، يقول :

ازحلـــة عـــمّ فيـــك الحـــسن حتـــى | لتغلـــو فيـــك اســـعار الـــدميم
تـــوزع فيـــك قلبـــي دون حـــد | لمـــا تحـــوين مـــن حـــسن عمـــيم
ارى واديـــك ممتلئـــا بحـــور | فهـــل واديـــك جنـــات النعـــيم
وهـــل بنـــسيمك المعتـــلّ خمـــر | فـــانّي قـــد ســـكرت مـــن النـــسيم
فيـــا وادي العـــرائش انـــت واد | يفـــرّ لـــك الفـــؤاد مـــن الهمـــوم [٣]

وكأن الامكنة صارت الوسيلة للتعبير عن مشاعره الذاتية والانسانية التي يحاول من خلالها ان يبرز انفعالاته وعواطفه واحاسيسه وهو يراها محكومة بالقيود والاغلال من قبل شياطين الارض .

ولكن هذا لايعني انه محب لكل القرى والارياف والمصائف، فهذه بلدة العاملية التي سئم منها ومل مع العلم انها بلد امه واخواله لقربها من بلدته النجف حيث التزمت الشديد والتمسك بالعادات والتقاليد البالية رافضين في ذلك كل التقدم والعمران، فنالهم الهجاء كما نال من قبلهم النجف استهجانا وازدراء وطلبا للتغيير والتطور، يقول:

يابلـــدة جمعـــت جهـــلا وارهاقـــا | ومـــا حـــوت ابـــدا ، علمـــا واخلاقـــا
مـــن يـــشته المـــوت يـــدرك فيـــك بغيتـــه | فـــانّ فيـــك لـــروح الـــضيف ازهاقـــا
مـــستبعد لـــك ، رغـــم القـــرب ، لـــي ســـفرا | وان تكـــن همتـــي تـــستقرب ((الواقـــا))
مـــا يرفـــع العلـــم جهـــلا ، قـــد خصـــصت بـــه | فـــان فيـــك لـــسحب الجهـــل اطباقـــا [٤]

فالارض جاءت مرتبطة بذلك الهجاء من دون اي ذنب سوى ان البشر يقطنونها، فيحزن لذلك ويود ان تتحرر الارض جميعها من الاسر الذي طال، يقول :

الارض تهجـى باهلـــيها ، و لـــيس لهـــا | ذنـــب ، و كـــم شـــوه الاهلـون افاقـــا[٥]

---

(1) هواجس : ١٣٥ ، ينظر : اشعة ملونة : ١٩ .

(2) هـواجس: ١٢١ ، ينظـر : م . ن : ٩٦ ، تيـار : ٧٠ ، ٢٠٥ ، الامـواج : ٢٥١ ، الحـان اللهيـب : ٢٧ ، ٩٩ ، ١٣٢ ، شـرر : ٦٩ ، اللفحات:٢٠٦ ، اشعة ملونة : ٢٨ ، ١١٢ ، المجموعة الكاملة : ٦٠٢ .

(3) الامواج : ٢٠٠ ، التيار : ٢٥ ، ينظر : الامواج : ٢٥١ ، التيار : ٧٠ ، اللفحات : ٢٦٣ ، ٢٦٨ ، اشعة ملونة : ٢١٠ ، المجموعة الكاملة ٣٢٣:- ٣٢٤ ، ٦٦٦-٦٦٧ .

(4) الشلال : ١٨٠ .

(5) م . ن : ١٨٢ .

وتجدر الاشارة الى انه ينطلق في احكامه تلك من رؤية شخصية ومزاج خاص، لهذا فان لكل مكان من هذه الامكنة دلالة خاصة تحاكي بالضرورة شيئا في ذات الصافي .

وكذا الحال مع بلدة بنت جبيل الشيعية التي دعي لها فكفروه واتهموه بالالحاد، فحل عليه السخط واللعن بل والقتل، فهم لايستسيغون لحرية التفكير والتغيير في بعض المعتقدات والعقائد التي ورثوها من ابائهم واجدادهم شأنهم في ذلك شأن النجفيين، وهي لاترتبط بالدين ابدا، بعكس بلدة مرجعيون المسيحية التي قصدها الشاعر في حفلة تكريم فغمرته بوابل من العواطف والمشاعر الرقيقة، فجاءت مقارنته بينهما، بقوله :

| | |
|---|---|
| (بنت جبيل) لو تقيس (جديدة) | تكون كمن قد قابل الناس بالعير |
| فبنت جبيل لايكرّم اهلها | سوى كل شيخ ذي رياء وتزوير |
| بحفلة تكريم حبتني جديدة | ونلت (ببنت جبيل) حفلة تكفير [1] |

وهذا ما ينعكس على المدن ايضا التي يكرهها الشاعر اشد الكره فهو يحس بالضيق، فالحركة المستمرة والضجيج والدخان ... وغيرها من الامور التي تسبب الازعاج والاختناق والخوف بالتالي فانه يؤدي الى عدم الانسجام والقدرة على بناء علاقات انسانية صحيحة فيعيش في حالة من الانفصام والنفور مما حوله، يقول :

| | |
|---|---|
| دعني من المدن ذات ضيق | دعني من السجن والحدود |
| بالحد لم اعترف ، انا ابن | الصحرا ، انا ابن المدى البعيد [2] |

انه لايقرب المدن ابدا بالرغم من كونها مكانا مفتوحا للاراء والافكار والمفاهيم والقيم، فهي تعد((بؤرة الانسحاق الانساني))[3] باشكاله المختلفة ومصدرا للخبث والغدر والخيانة، يقول :

| | |
|---|---|
| اتي المدينة حينا كي اعيد بها | عهد الصديقين من بؤس ومن شجن |
| . . . | |
| توارث الخبث اهل المدن عن سلف | كأنما سورها فوق النفاق بني [4] |

فاحساسه بها كاحساس غيره من الشعراء الذين((شعروا بالعزلة من المدن الصناعية الكبرى التي يتطاحن فيها البشر ويتصارعون على المادة، ولايجد فيها الغريب الا الوحشة والضيق))[5] .

ولا يتوقف الامر عند هذا الحد، بل انه ينعكس على الطرق ايضا، ففي المدن تكون كثيرة وضيقة ومزدحمة جدا، بحيث يضيع فيها الغريب، بينما طريق اهل الريف واحد وواسع وخال من اي ازعاج يمكن ان يكدر صفو الشاعر في مسيره الطويل، يقول :

| | |
|---|---|
| طرائق المدن شتّى وهي مظلمة | حتى كأن الضحى في جوها غسق |
| لكن طريقة اهل الريف واحدة | بيضاء حتى الدجى في افقها شفق |
| كأنما طرق الدنيا طرائقها | تخالف الاسم فيها واستوى النسق [6] |

فان المدينة لاتعدو((ان تكون((وعاء)) حضاريا يستغله الشاعر لتصوير التمزق والضياع ويجعله اطارا محض اطار لفلسفته))[7] اتجاهها وما يعانيه فيها لتتحول بذلك المدينة الى رمز لتلك الحضارة[8]، ويتجسد هذا واضحا في مدينة بيروت التي غلبت عليها مظاهر الحزن والالم والقهر حيث لايقصدها الا من امتلك ثروة كبيرة لينفقها في لياليها المظلمة ثم يكون مصيره الانتحار وكأنها صارت الجسر الذي ينقله الى عالم الاخرة، يقول :

| | |
|---|---|
| يؤمّ بيروت ذو مال فينفقه | فيها فيهنا حينا ثم ينتحر |
| مثل الفراشة للنيران عاشقة | تعيش في النور وهنا ثم تستعر |
| تأتي من البر افواج مغامرة | لها ، وفي البحر يخفى منهم الاثر |

---

(1) اشعة ملونة : ٨٣ .
(2) اللفحات : ٢٨٠ .
(3) الانسان وعالم المدينة في الشعر العربي : مناف منصور : ١٣٤ .
(4) الامواج : ٤٣ .
(5) في الادب العربي : عمر الدسوقي : ٢ : ٢٢١ .
(6) الاغوار : ٧٦ ، ينظر : هواجس : ٢٩٢ – ٢٩٣ ، ٣٢٠ .
(7) اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ١٣٦ .
(8) ينظر : م . ن : ١١٢ .

كـــأنّ بيـــروت جـــسر للفنـــا نـــصبت   كـــم مـــن انـــاس عليهـــا للفنـــا عبـــروا [١]

وكذا الحال مع مدينتي صور[٢] وطرابلس[٣] ، ولكن هذا الامر لا ينعكس على حماة التي اعجب بها وبجمالها الجذاب وما انتجته يد الطبيعة فيها، فجعلتها تبدو بالوان زاهية تختلف من حين لاخر، ولكنه يلتفت الى اسمها الذي حمل معنى اخر دل على الكره والبغض من قبل بعض الافراد، يقول :

(حمـــــــاة) طيـــــــب وطيبـــــــات   (حمـــــــاة) لطـــــــف ومكرمـــــــات
(حمـــــــاة) محبوبـــــــة البرايـــــــا   بـــــــالرغم مـــــــن انّهـــــــا حمـــــــاة [٤]

ومثلها دمشق [٥] وبعلبك [٦] وصيداء [٧] ...

ويمكن ان يراود الصافي في ترحاله الطويل، تساؤل مفاده، الى متى يظل يعاني ألم الغربة والابتعاد عن الوطن والاهل والاحبة، الا يكفيه ما يعاني من اغتراب روحي جعله يأن ويتألم لتضاف عليها غربته المكانية المتمثلة بوطنه العراق، يقول :

حتـــى م ابعـــد عـــن اهلـــي وعـــن ســـكني   وهـــل يجـــود برؤيـــا مـــوطني ، زمنـــي
امـــا كفـــت غربـــة فـــي الـــروح اجرعهـــا   حتـــى تـــضاف عليهـــا غربـــة الـــوطن [٨]

وهي دلالة واضحة واعتراف صريح منه بمعاناته النفسية حيث العيش في عالم لاينتمي اليه ابدا، ولكنه يرى في تغربه هذا مبدأ من مبادئ الحصول على الحرية التي لايعيقها اي قيد حتى وان كان الوطن، فلقد عانى الصافي كثيرا في بلده العراق و لا سيما في النجف التي كان يرى فيها السجن الذي يقيده باغلال الاوهام الواهية و سلاسل القيم والعادات والتقاليد البالية، يقول :

ان كنـــت حـــرا فـــلا تـــركن الـــى وطـــن   انّ المـــــواطن دار الـــــذلّ والفـــــتن [٩]

فهو يبحث عن وطن لاوجود له على ارض الواقع وطن مثالي في عالم خيالي ينتمي الى ارض الاحلام يفهمه ويقدر مواهبه وعقليته الفذة يساعده في ذلك وجود عدد من الاشخاص الذين يحملون نفس الهدف في الافكار والتطلعات والرؤى، يقول :(( فانا اشعر بالغربة حتى اعثر على من يفهمني فاجدني وصلت الى وطني، كما قلت :

روحـــــي بـــــارض العـــــراق عالقـــــة   والعقـــــل ســـــام عـــــن امـــــدن المـــــدن
احـــار بـــين التفتـــيش عـــن وطـــن   يفهمنـــــي او محبـــــة الـــــوطن ))[١٠]

فهو في سفر دائم هربا من ارض الوحشة والخراب والبحث عن ارض الاحلام التي طالما سمع بها، فود لقياها، لتخلصه من عذابه الروحي والامه الجسدية، ولتنقذه من الاقوام التي يعيش معها، فهو لا ييأس ابدا متخذا من قوة بأسه وصلابة عزيمته معتمدا يساعده على ذلك الوصول، يقول :

ابغـــــي اســـــافر لا الـــــى جهـــــة   كـــأنّني عـــن وجـــودي ابتغـــي الـــسفرا
فكـــم قـــصدت جهـــات مـــا لهـــا عـــدد   فمـــا بلغـــت بهـــا قـــصدا ولاوطـــرا
فـــلا الاقامـــة فـــي الاوطـــان تـــسعدني   ولا التغـــرب يجلـــو عنّـــي الكـــدرا [١١]

ولكن الارض تضيق به على امتدادها عندما يراها حبسية بايدي البشر، فيرحل عنها متجها الى وجوده الحقيقي ومنبعه الاصيل(البحر) الذي كان وما زال ملهم وحيه، ورفيق دربه الطويل، يقول :

ينـــــاجي فـــــؤادي بـــــالخفوق فـــــؤاده   وتـــــشكو خطـــــوب جمّـــــة وخطـــــوب
لقـد ضـاق صـدر الكـون عـن ان يـضمّني   فابـصرت صـدر البحـر جـدّ رحيـب [١]

---

(1) اللفحات : ٢٨٤ .
(2) ينظر : اللفحات : ٢٨٥ ، ٣٢٠ .
(3) ينظر : م . ن : ٢٤٨.
(4) هواجس : ٨ ـ ٩ ، ينظر : ٣٤ ـ ٣٧ .
(5) ينظر : اللفحات : ١٠٦ ، الحان اللهيب : ١٦٤ ، المجموعة الكاملة : ٦٦٤ ـ ٦٦٥ .
(6) ينظر : التيار : ٧٨ ـ ٧٩ ، المجموعة الكاملة : ٢٢١ .
(7) ينظر:الشلال : ٢٤٩ ، المجموعة الكاملة : ٢٥٤ ، ٤٨٨ ، ٥٦٢ ، ٦٤١ .
(8) هواجس : ٢٩٣ .
(9) الامواج : ٤٣ .
(10) احمد الصافي حياته ـ شعره : ١٦ .
(11) الاغوار : ٥٥ .

فعلاقته بالبحر ليست بالجديدة فلقد عرفه وهو طفل صغير حيث انبثق بحر من نهر الفرات اطلق عليه (بحر النجف)[2] وقد وضعت امامه السدود والموانع خوفا من غرق البساتين والمزارع التي تحيط به الى ان جف ، فهو يبحث عن السعادة التي لايشوبها اي الم او يعكر صفوها اي ازعاج، منطلقا في ذلك من منطق سليم بعيدا عن كل شذوذ، وكأن البحر غدا المنقذ الذي يخلصه من كل الهموم والالام التي يشكو منها، فالبحر ــ في نظره ــ تعبير عن ((حرية الانسان))[3]، وهو يعيش في سجنه الكبير، يقول :

حبيســـة ابــــدا روحــــي معذبــــة حتــى اذا مــا رأيــت البحــر ، تنطلــق [4]

وقد اكسبه الشاعر صفات الانسنة الحية، فجعل له فما يبصق به على البر المليء بالغش والكذب والخداع ، كما وجاء هيجان امواجه المتلاطمة، وكأنها الخيول المسمومة التي تزحف لتغسل الامراض الاجتماعية والادران التي يشكو منها، ولتطهره من العقارب والافاعي التي المت به، يقول :

البحــر يزحــف غــضبانا علــى البرّ ممــا رأى فيــه ، مــن غــدر ومــن كــدر
امــا تــرى الفــم منــه ، مزبــدا غــضبا والمــوج يعلــو هجومــا ، حــاجز الــصخر
كأنــه الخيــل ، فــوق الخيــل هاويــة مــن سـرعة الزحـف ، فـي ميـدانها تجـري
يــروم تطهيــره ، والبحــر اعجــز عــن تطهيــر مــا فيــه مــن ادرانــه الكثــر [5]

ولقد اجاد في تصوير ذلك المشهد اروع تصوير، وكأنه يسعى من خلال ذلك الى التعبير عن خلجات نفسه، ونبضات وجدانه الامر الذي يخفف عنه ألم الوحشة والخوف والقلق، فهو في حديثه عن البحر ومع البحر يسعى الى((التأمل والتطلع نحو الافق البعيد الذي يبدو من ورائه نائيا غامضا ، كما ان فيه محاولات للتقرب من البحر والتشبه به في الوحدة والوحشة والسكون وفي الهيجان والاضطراب))[6]، فهو يرتبط معه بوشائج قوية .

ويأتيه البحر زائرا بعد انقطاع طويل ليضمه الى صدره الرحب، طالبا منه العودة اليه ليشفيه من كل ما فيه، يقول :

زحــف البحــر لــي لانّــي بحــر قــد عرانــي مــن بعــد مــدي جــزر
عــاقني عــن ان اســير للبحــر ، ســقمي فــأتى عائــدا الــى البحــر ، بحــر [7]

ويتخذ الصافي من قلعة البحر غارا يبث فيه الامه واشجانه، وتنفيسا عما لحق به من الظلم والاذى، وقد الف وعورة المكان وخشونته، وكأنه حجر من احجاره المنتشرة هنا وهناك، ولكن ــ كما هي العادة ــ فبني الانسان سعوا الى تغيير المكان وتحويله الى اخر بادخال تقنيات العصر الحديث مستفيدين في ذلك مما صنعته الطبيعة من مناظر جميلة وجذابة، ومنها المسرح الذي يعد الوسيلة للتعبير عما يجول في النفوس والصوت الذي يصل الى كل انحاء العالم لتحقيق مبادئ واهداف ممالا تستطيع اية وسيلة اخرى اظهارها للعيان، فينزعج الصافي ويتألم لهذا الموقف الذي يعتبره تشويها لاطائل من ورائه الا لاشباع غرائز معينة تزول بزوال المؤثر، يقول :

ياقلعــــة البحــــر التــــي ســــكرت بــــك مقلتــــاي ، ولــــم اذق خمــــرا
قــد عــاش فيــك الحــسن منطلقــا والحــسن يخلــد ان يعــش حــرا

الى ان يقول :

قــــد شـــــوهوا بـــــرا بـــــصنعتهم ثـــم انثنـــوا ليـــشوهوا البحـــرا
املــــي بـــــصاعقة ، وزلزلـــــة والمـــوج منـــك ، ليـــصلح الامـــرا
لـــم الـــق هـــداما ســـوى بـــشر وســـوى الطبيعـــة ، بانيـــا حـــرا [8]

---

(1) هواجس : ٤٤ ، ينظر : م . ن : ٣٦١ ــ ٣٦٢ ، الامواج : ٢١١ ــ ٢١٣ ، اشعة ملونة : ١٣ ، ١٢٩ ، الحان اللهيب : ٢٠ ــ ٢٣ ، شرر : ٢٩ ، ١١٣ ــ ١١٤ ، ١١٨ ، ١٤١ ، ١٧١ ، ١٨٠ ، اللفحات : ٢٥٣ ، ٢٩٩ ، الشلال : ٤٣ ، ٢٦٣-٢٦٤ ، ٢٨٤ ، المجموعة الكاملة : ٧٧ ، ١٣١ ، ١٩٦ ، ٢١٩ ، ٢٤٤ ، ٢٥٨ ، ٣١٠ ، ٣١٥ ، ٣٨٧ ، ٤١١-٤١٤ ، ٥٩٤ ، ٦٦٠-٦٦١ .

(2) ينظر : المجموعة الكاملة : ٣١٧ .

(3) اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ٢٠٣ .

(4) الشلال : ٣٢٠ .

(5) م . ن : ٧٥ ــ ٧٦ .

(6) شعراء الرابطة القلمية : د.نادرة جميل السراج : ١٧٤ .

(7) المجموعة الكاملة : ٤٨٨ ، اللفحات : ١٤٠ ــ ١٤١ .

(8) المجموعة الكاملة : ٢٦٢ ، ينظر : م . ن : ٥٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٨١ .

فهو يرى في التمثيل مفسدة لكل القيم والاخلاق الحميدة التي تنقل الفرد الى عالم الغش والخداع والتصنع[1]، وان كان في هذا الرأي بعض الاجحاف حيث يأتي التمثيل مختصا بدراسة تاريخ مضى فضلا عن المعالجات الموضوعية للمشكلات العديدة التي يمر بها الانسان في مراحل حياته المختلفة .

وربما اتفق البحر مع الشاعر فاحاله اوصالا مقطعة رافضا بناء ذلك المسرح، ولعل رأيه هذا متأت من حبه الشديد لذلك المكان، فاحاله البشر اطلالا، فهو يود لو كانت تلك البقعة ملجأه في الدنيا وقبره الى الاخرة، يقول :

حببتـــــك لـــــو تكــــونين مـــــسكني ولـــو كنـــت فـــي مـــوتي معانقـــة قبـــري
وهيهـــــات انـــــساك حيـــــا وميتـــــا انـــسى اوكـــار العمـــر والـــذكر الغـــر

ولـــو خيرونـــي ايـــن احـــشر فـــي غـــد لقلــت لهــم يــا قــوم ، فــي قلعــة البحــر [2]

ولا ينسى الصافي تفرعات البحر الصغيرة، ومنها الانهار التي طالما جالسها وتحاور معها، فهي تعلم الانسان الحكمة والموعظة مما لم يقرأ في كتاب او يسمعه من عالم او فقيه، يقول :

اجلـــس بجنـــب النهـــر تعرفـــه بـــه مـــا لـــم تطـــق فـــي الكتـــب ان تعرفـــه
فالنبـــت يعلـــــي للـــــسما هامـــــه يــــــسبّح الله بــــــــلا فلـــــــسفه [3]

بل انه النهر الذي يسير الى الامام مخلفا وراءه النرجس والياسمين الذي يرشد الاخرين الى طريق الصواب ويمنحهم الحب والحنان والراحة، يقول :

اســـير الـــى الامـــام مـــسير نهـــر يـــــشق طريقـــــه بـــــين الـــــصخور
تقـــدم لـــم يـــدر للخلـــف طرفـــا لينظـــر مـــا يخلّـــف مـــن زهـــور [4]

اذن ، فان الصافي حاول من خلال ولوجه في ذلك العالم المتعدد الانواع والمختلف الاشكال الوصول الى حالة التوازن بين ما يشعر به وما يدور من حوله، وبالتالي فانه اراد من خلال شعره ان يعيد تشكيل الواقع حسبما يشتهي ويريد، لان المكان يمكن ان يكون((ذلك التكوين الذي يولد المشاعر المتناقضة))[5] .

---

(1) ينظر : المجموعة الكاملة : ٥٨٤ .
(2) المجموعة الكاملة : ٥٣٠ ، ينظر : م . ن : ٤٢٤ .
(3) اللفحات : ٢٣٨ ، ينظر : الامواج : ٢٦١ – ٢٦٢ .
(4) اللفحات : ٣١٠ .
(5) اشكالية المكان : ٣٩٥ .

# المبحث الرابع

## الازمنة

يأتي الزمن احد المقومات الاساسية في بناء نسيج الحياة الانسانية العامة حيث يشكل مع النفس والمكان[١] وجودا حيا يضمن له الاستمرار والبقاء، وعليه كان لابد ان تهتم البشرية به وتشعر باهميته القصوى في بناء جيل افضل .

ولا ينعكس هذا الامر على الصافي الذي وجد فيه عدوا يسعى الى النيل منه، بل وقتله، فاجتنبه، متخذا في ذلك جانب الحذر الذي يساعده في التخلص مما يشعر به، فالشاعر ــ بصفة عامة ــ يكاد يكون اقدر ابناء جيله على تمثل الزمن والاحساس به[٢]، يقول:

بقلبي جـــروح للزمـــان تكـــاثرت    الى ان غـــدت جرحـا يسّـح دمي ســحّا
تحصّـــن قلـبي مـن جـروح اذا اتـــت    فليـست تـــرى قلبـــا و لكـــن تـــرى جرحـــا[٣]

فالدهر يمثل قوة قهر يقف الانسان ازاءها في حالة العجز وهي اكبر من ان يتحملها شاعر رزق حسا رقيقا وشعورا مرهفا، وهو يعيش في عالم زائف لا يقدر الفن واهله، مما يؤدي الى التنافر الواضح بين زمنية الشاعر وزمنية مجتمعه ومعاصريه، تتمثل في انكفاء ذاتي وانطوائية بائسة تؤدي به الى اعتزال ممن حوله[٤]، يقول:

تـــؤمّن مــن الـــــد عــداك يومـــا    ومـــا لحـــــوادث الـــدنيا امـــــان
يخـــــاط بـــابرة فتـــــق بثـــوب    ولـــيس يخـــاط مـــا فتـــق الزمـــان [٥]

وهي صورة فنية رائعة حاول فيها الصافي نقل ما يجيش في صدره من الحقد والغل على زمانه الاسود فشبهه بالثوب العتيق وما فيه من الشقوق التي لا يمكن ان تخاط ابدا، بل هو لا ينفك مصاحبا لكل ذي جاه وثروة متخذا من الزور والبهتان طريقا يساعده في الوصول الى تلك الغاية، بينما لا ينال اهل الطموح والامال النبيلة سوى الاذى والظلم سعيا منه في زرع بذور الخيبة والفشل التي تثنيهم عن تحقيق تلك المطالب السامية[٦] ، وعلى هذا الاساس يقررالشاعر الدخول معه في حرب شعواء تنتهي في الغالب بالانتصار على ذلك الدهر الذي لم يراع حال الشعراء وما يعيشونه من واقع اليم تسيطر عليه قوى الشر والضلال. ولقد تناسى الصافي وهو في خضم ثورته تلك الى ان ((الزمان لم يكتسب هذه الاهمية العقلية الفائقة الا عن طريق الانسان، فالانسان محاط بالزمن، في حين هو الذي يعطي للزمن هذه التسمية))[٧]، ويتمثل له زمنه الانكد بالوالد القاسي الذي لا دأب له سوى الضرب لابنائه الصغار دون اي سبب يذكر، وكأن الظلم صار هو الشعار الذي يميزه عن الاباء الاخرين، يقول:

كأنّـــا وهـــذا الـــدهر، طفـل ووالـــــد    ظلـــوم يحـــب الضـــرب للطفل والعسفـــا
فيضـــــربنا الفـــــا ويبســــم مــــــرة    فينســــي ابتســـام واحـد ضـــربنا الفـــا[٨]

ويمكن ان يعود ارتباط الزمان به من خلال دقة احساسه وعمق تفكيره، وبالتالي تأثير ذلك على روحه التي طالما بقيت على موقفها قوية صلبة متحدية لما تلقاه من القهر والاذى[٩]. ولقد تجسد له الدهر بصورة الانسان الذي يحاول ان يفرض سيطرته على الاخرين بالسلطة والقوة ولاسيما الادباء منهم حيث اراد التقليل من اهميتهم، بل واحتقارهم مستخدما في ذلك كل الاساليب والوسائل التي تشكل رموزا(( لقوة متميزة، مستقلة بذاتها تمثل وجودا في مقابل الوجود الانساني))[١٠] ، فتحداه الصافي الذي وجد في كل ذلك انقلابا لكل القيم والاخلاق الحميدة، يقول :

و قـــالوا لمـــاذا لـســـت للعصـر تابعـــا    فقلــت لمــاذا لـيس يتبعي العصــــــر؟

---

(1) ينظر: في الرؤيا الشعرية المعاصرة :احمد نصيف الجنابي :٢٦٩

(2) ينظر : نظرية الادب : اوستن دارين وليك ، ترجمة: محي الدين صبحي: ١٤٢، الاديب وصناعته: كاوون ، ترجمة : جبرا ابراهيم جبرا:٢٣

(3 ) اشعة ملونة : ٥٧.

(4) ينظر : الشعر والزمن : د. جلال الخياط: ٨٥.

(5) المجموعة الكاملة : ٤٨٢ ، ينظر : م . ن:٧٠ ، ٤٣٣، ٦٣٠، ٦٣٩، ٦٥١، اشعة ملونة: ٦٢، هواجس : ١٩٠ ، ١٣٠ ، اللفحات: ١٦٦-١٦٧ ، ٢٥٦.

(6) ينظر: هواجس :١١ .

(7) دراسات نقدية في الادب الحديث : ٢٤

(8) هواجس : ٧٨ - ٧٩ ، ينظر : م . ن :١٠،١١،٢٣،٤٢،٥٣،١٣٨،١٤٠، الاغوار :١٩٣- ١٩٤، التيار :٩٥،١٠٨، اللفحات :٢٢٩، الشلال : ٢٢٩،٣١٦، ٣٢٥- ٣٢٦ ، المجموعة الكاملة :٦٦،٩٨،٦٣٨،٦٥٤.

(9) ينظر : هواجس : ٤٧ .

(10) اتجاهات الشعر العربي المعاصر :٩٣.

فلســت بعبــد كــي ارانــيَ تـابعــا لعصـريَ ، فهو العبد لي، وانا الحــرّ
ومـا العـصر!مـن ذا كـوّن العصر؟ما الـذي دهــانا بـــه الا سخــافاتنــا الكثـــر [١]

ولكنه يهدأ من ثورته تلك عندما يكتشف انه يعيش في وجود زائف، فيسعى الى الكشف عنه و تبين خباياه واسراره الى الغير ليتقوا منه و ليحذروا، فضلا عن رشدهم الى طريق الحقيقة و الاصلاح، يقول :
اتيـــت بعـــصر الزيـــف اكـــشف ســـتره وامحــو بنـورالحقد ما ساد من مكر [٢]

ويجيء هجاؤه للعصر تعبيرا عن فطرته الاصيلة التي عبر عنها بـ (الروح الجاهلي )[٣] في اقامة العلاقات الاجتماعية والاواصر الاخوية التي لا تتوافق مع ما موجود فيه، فود لو تمكن من القضاء على كل ما فيه من الزيف والغش والخداع.

وربما عاد اهتمام الشاعر بالزمان الى انحسار احاسيسه وعواطفه حول ذاته، بل ومواجهة تلك الذات لما حولها، فيحاول الهرب الى عالم اليوتوبيا الذي يصنعه خياله بعد ان وجد فيه عقبة تقف في طريق تقدمه او العودة الى الماضي حيث البساطة والراحة والهناء الذي يعوضه عما فقده في عالمه الحاضر، لكنه برحيله هذا لا يعود الى طفولته ابدا، بل الى الازمان الغابرة التي مرت عليها القرون تلو القرون، انه لا يمت لهذا العصر باي صلة تذكر، فهو يعيش غريبا يتجرع كؤوس الاسى والانين ليسمو بعدها الى عالم الروح حيث الرفاه والراحة والنعيم، وليتخلص من سجنه الذي يحكمه الزمان على حد سواء، يقول:
انـــا والعصـــر قـــد تعاكســـت ســـيرا فكأنـي اعيــش فــي عصـــر نـــــوح
انـــا اسمـــو فـي عـــالم الـــروح دومـــا فـي زمـان لـم يعتـــرف بالــــروح[٤]

وتشترك الايام في تلك اللعبة لتشكل مع الزمان خصما يحاول القضاء عليه، فيأبى ذلك ويسعى الى محاربتها، والنيل منها رغبة منه في التخلص من كل الاساليب الباطلة التي يتبعها ذلك الزمان، ويقول:
تشـــابك كــف الدهـــر عاتيـــة، خمسـي واصبح والايام خصمي كمـا امســي
يحـــقّ لـــهذا الـدهر حربــي لا تّنـــــي كشفت الـذي يخفيـه مـن عالم الرجس [٥]

وثمة رأي يلتزم به الصافي اتجاه تلك الايام، فما الفائدة التي ترجى من عدها ومعرفة اسمائها واختلاف اوقاتها الا بما تخلفه من الاهات والاحزان، فهي الطريق الذي يؤدي به في نهاية المطاف الى الموت، وهو دليل على مدى الاستلاب الذي يحس به والخوف مما هو آت، يقول:
قـــد تـســـاوت لــــديّ ايــــام عمــــري فلمـــــــــاذا تخـــــــالف الاسمـــــــاء
كـــــل يـــــوم لـــــديّ مبـــدؤه هــــــمّ و جهـــــــد و منتهـــــــاه اســـــتياء
و لمــــاذا اعـــدّ كـم مـــرّ مـــن يـــوم ومـــــا لــــي فــي اي يـــوم رجـــــاء
لـــــيس فـــــرق مـــا بـــين يومـــيَ او ليـــــــليَ الا صبــــاحه و المســـاء[٦]

فهي بالنسبة اليه تعد سجنا يحاول الهرب من قضبانه التي تقيده، وتشل من حركته فيعيش في حالة من الاستياء والعجز والاحباط خوفا من عدم قدرته على التخلص منها، فيتمنى ان تنقضي بسرعة من دون الشعور بالالم، ويزداد خوفه كلما تقدمت به الايام، فالمستقبل يمثل له مجهولا لايعرف عنه شيئا فيعيش في حالة من التناقض والقلق والمعاناة مما هو آت، فالزمن الذي يعيش فيه الشاعر يختلف عن زمنه الواقعي وبالتالي فانه سيؤدي الى رفض احدها للاخر، يقول:
مـــــستقبلي اظلـــم مــــن حاضـــــري وحاضــــري اظلــــم مــــن غـــــابري [١]

---

(1) شرر : ١٣٣.
(2) المجموعة الكاملة : ٣٣٨
(3) ينظر: م . ن : ١٩٣ ، ٢١٠، ٢١٨، ٥٠٩ ـ ٥١٠
(4) هواجس: ٣١٢، ينظر: اشعة ملونة: ١٧٥، شرر: ٥٠، اللفحات: ٣٠١، الشلال: ٣٧، ٣٠١ ـ ٣٠٢.
(5) شرر : ٣٢١ .
(6) الامواج :٢٣، ينظر : اشعة ملونة :٢٤، الاغوار :١٦١، هواجس :١٢٥،٢٥٤.

ولذا فهو يختار ان (( يفر من يومه الى امسه ليخلق لنفسه دنيا غير دنياه))[٢] فما الزمن الا(( حركة ابتعاد مستمرعن الاصل ـ الماضي، وليس الحاضر الا انحطاطا عن النموذج الاصلي الذي هو الماضي))[٣]، يقول:

تعبـت مـن السـير الحثيـث الى غـد فهل من وقـوف او رجوع الى الامـس
تصـادقت مـع امسـي فاحببت عـوده واخشى صديقا من غـد حفّ بـاللبـس
. . .
ارى الامـس يبـدو لـي مـنيرا كلـما نظـرت غـدي ساد الظلام على حسّي [٤]

وهذا ما انعكس على حاضره ايضا ((اذ بين الماضي الحي والمستقبل تنتشر منطقة من الحياة الميتة))[٥]. ويمكن ان يكون كره الشاعر للايام متأتيا من التزامها التام بالانظمة والقوانين التي تحدد ماهيتها وطريقها في الحياة، فوجد في ذلك تقييدا يحد من تفكيره الحي في بناء وجود اسمى مما هو في واقعه المعيش لـ ((انه يجيد في الفوضى اكثر مما يجيد في التنظيم))[٦]، يقول:

فوضـى حيأتيكونـت شخـصيتي هيهـات ابـدلها بـالف نظـام [٧]

ولكنه في هذا لايرفض النظام بحد ذاته بقدر ما يكره الالتزام به، فهو ينتمي الى صنف اللاوقتيين الذين يعيشون خارج حدود الزمن، دون ان تؤثر فيهم حدوده وابعاده[٨]، بل هو عدو للاوقات والمواعيد التي تتحكم بالانسان فتقيده، بل وتحاول السيطرة عليه وعلى مجرى حياته، مع العلم بان الصافي لا يحتاج الى ذلك الالتزام كثيرا، فهو ينتمي الى دائرة ( ((اللازمان)) )[٩]، يقول:

ارحّـب حينـا بالنظـام لانّـه يـدير شـؤونا او يحـلّ عسـيرا
وارغـب فـي الاهمـال حينـا لانّنـي ارى لـي بـه حريـة وحبـورا [١٠]

فايمانه بان النظام يجب ان يكون صادرا من قلبه دون اي قيد او شرط قد يعرقل مسيرته الشعرية، بل انه سوف يتحول الى جزء من تلك العملية وهو يعيش في عالم الروح السامي[١١]، ويتمثل لديه النظام بشكل واضح في الساعة، تلك الالة الدقيقة التي تحدد الاوقات وتنظمها في حركة دائبة، وكأن العالم من حولها يجري وهي ثابتة تسيره اينما شاءت او رغبت، ولكنه يرى في عقاربها عقارب تلدغ العمر وتهاجمه بشراسة فتجعله يركض مسرعا الى انقضاء الاجل، يقول:

مـا العـن السـاعة المنحـوس طالعهـا اذا ادرت اليهـا اللحـظ قـدّامي
اضـحت تحـدد لـي وقتـا تفـارقني فيـه كـأن حـددت لـي وقـت اعـدامي
كـأنّ عقربهـا فـي القلـب يلـدغني مـن لـي بـان تـسحق السـاعات،اقـدامي[١٢]

ولكنه يعفو عنها عندما يجدها اسيرة بيد نظام ظالم لايعرف الرحمة ابدا، فهي بريئة من افعاله المشينة التي تسعى الى زرع بذور الحقد والضغينة في قلوب محبيها، وهي صورة فنية جميلة حملت احاسيس العطف والشفقة ومشاعر الحزن والندم على مصير تلك الالة، يقول:

يـا سـاعة اتعبهـا النظـام عليـك كـل راحـة حـرام
تجـريـن لا يوقفـك الزحـام مـسـرعة كأنّـك الحمـام
هـذي الليـالي لـك والايـام تفنينهـا كأنهـا اخـصـام

---

(1) هواجس:١١٠ .
(2) الحنين و الغربة في الشعر العربي الحديث : ١١٩
(3) مقدمة للشعر العربي : ١٩
(4) اللفحات: ١٧٩
(5) جدلية الزمن: غاستون باشلار، ترجمة : خليل احمد خليل: ٤٨، ينظر: المجموعة الكاملة : ٣٩٠ .
(6) مجلة الاعتدال: ١٩٣٩: ع٣: اشعة احمد الصافي النجفي: روكس العزيزي: ١٢٦.
(7) المجموعة الكاملة : ٣٥٨
(8) الشعر والزمن : ١٠٧.
(9) اتجاهات الشعر العربي المعاصر : ٩٥.
(10) اللفحات : ٢٦٩.
(11) ينظر : المجموعة الكاملة :٢٧٥.
(12) شرر: ١٩٦.

النـــــوم مــن اعمارنـــــا انحـســــــام		الا تنـــــــــامين كمـــــــا ننــــــام [١]

فهو يعيش في عالمه الخاص الذي لايعترف بالوقت ابدا، فها هو الليل الذي يتحول لديه الى حركة وجدانية تكتسب ابعادا اعمق وارحب فتجعله يعيش في حالة من النشوة والفرح مستوحيا من ظلمته الاف الصور والمشاهد الرائعة التي يحولها الى قصائد شعرية تعبيرا عما يعتلج في صدره من انفعالات وما يختلج في داخله من صراعات بمشاعر واحاسيس رقيقة وافكار صريحة وعميقة وكأنه((حوار)) ممتد بين الليل والشاعر[٢]، يقول:

تحلـــو مـــع الـــنفس فـي الليــل المناجـــاة		فلـــي اذا نــــام بــــاقي الخلـــق يقضـــات
فـي هــدأة الليـــل تحلـــو وحــدتي سحــــرا		فالكـــون لـــي كلــــه والكـــلّ امـــوات [٣]

فالليل يمحو الفروق ويلف الاشياء جميعها بوشاح الوحدة[٤]، من خلال الظلام الذي يتخذه الشاعر ملجأ يتخلص به من كل السلاسل والاغلال التي قد تعيق تقدمه المستمر في بناء وجود اسمى، وليكتشف من خلاله غامض الاشياء التي لا يمكن ان يلحظها وهو يعيش في عالم الضياء الذي ينتهي بانتهاء حدود النظر، فيقول:

ولـــــــذاك اشــــــتاق الظـــــــلام لانّــــه		مـــــا ان يحـــــــد محيطـــــه الممـــــدود
امــــــا البـصـــــير فكـــــل مرئيــــــاته		ابـــــــدا حـــــدود جمّـــــة وقيـــود [٥]

فمن الظلام استمد الليل لونه فاكسبه صفة العبودية التي يكرهها البشر بعكس الشاعر الذي احبه، بل عبده لما تحول لديه الى بلسم يشفي جراحه وتنفيسا لانواع العذاب التي يعاني منها، يقول:

لقــــد سمّـــوا بهـــيم الليــــل عبــــــدا		وانّــــي عابـــــد الليــــــــل البهـــيم
ففيـــه ارى الـــسماء رقـــــيم شـــــهبٍ		توضــــح لـــــــي اســـــاطير الـــــرقيم [٦]

والواقع ان لفظة الليل في شعره تحولت الى رموز ودلالات خفية تكمن وراءها عوالم مختلفة لا يستطيع كشفها الا من تقرب من الصافي وعرف طبعه الغريب. ويشاركه في ليله الطويل القمر الذي يرنو له ليعيش معه في عالمه الرحب ليملأ الاكوان ببحار من النور مع الكائنات الاخرى والتي يفصح من خلالها عن انطلاقاته النفسية المتحررة من كل الضغائن والاحقاد، فجاءت قصيدته منسكبة لتعرض الوانا من الطيف المتوهج ولتخرج لوحات فنية نابضة بالجمال، يقول :

مــــــلأ البــــــدر ضــــــوءه بــــــالحبور		فكأنّــــــــا منـــــه بحفلـــــــة نــــــور
ســــــكر الكـــــون كلـــــه بـســــــناه		هـــــل ســــــناه مشعـشـــع بـــــالخمور
ملـــــك الليـــــل قـــــد اقــــام بقصـــــد		مـــلء عـــين الفضـــا ومـــلء الـــدهور
مـــــلأ الجـــــو ابحـــــــرا مـــن نــــور		ومـــضـــى ســــــابحا بتــــــك البحـــر [٧]

فهو معه يحمل نفسه الى ابعد مما يشتهي ليتخلص من كل مظاهر الحزن والغم، فهناك تطيب نفسه وتستقر، وكأن الشاعر يتحرر من واقعه المر و يبني لنفسه عالما خاصا يعيش فيه مع البدر الذي اعتلى تاج الملوكية على كل ما هو موجود في الكون ليغدو ذلك المشهد الخلاص له من حالة النكوص والخذلان التي يمر بها، يقول:

انــــــت تبــــــــــدو كمليـــــــــــــك		ولـــــــك الهالـــــــــة تـــــــــاج [٨]

ومثله نجمة الصباح التي يتركها رفاقها لوحدها تكابد الهم والحزن المقيت فبقيت مع الصافي تبث اللواعج والانين بسناها الوهاج الذي ينير له طريق الوصول، فبادلها المشاعر والاحاسيس ليبعد عنها شبح الخوف والالم، يقول:

يـــــا كوكبـــــا فـــي الـصـــبح مؤتلقــــــا		قـــد غـــــاب عنـــه رفاقــــه وبقـــي

---

(1) الحان اللهيب : ٨٤، ينظر : هواجس :٨٨.
(2) ينظر: الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: د. عبد القادرالقط :٣٠٦.
(3) الشلال: ٣١٤.
(4) ينظر: حركية الابداع : د.خالدة سعيد : ٣٥.
(5) الامواج : ١٨٧ ، الاغوار : ٩٨.
(6) الاغوار :٥٢ ، ينظر: الامواج: ١٧٥، ٢٤٦.
(7) شرر: ٩٢.
(8) الشلال: ٣١١ ، ينظر: الامواج : ٦٧ ، الحان اللهيب : ٣٠ - ٣١ ، شرر: ٧٠، هواجس :٤٠ -٤١.

تفشـي السنـا فـي الجـو مجتهـدا | و سـناك هـذا اخـر الرمـق
---|---
. . .
قـد فرّقـت عنـك الرفـاق ولـم | تـرأف بقلـب منـك منـسحق
تجـد الـسـماء كالـسجن بعـدهم | وتـرى الفـضـاء كـضيّق الحلـق [1]

والشاعر في حديثه عن الليل والقمر لايستسلم بصورة نهائية، وانما يرى من ورائه صبحا مشرقا يأتيه بالضياء المتوهج الذي تتحقق فيه جميع الامال والاحلام حيث برزت ريشته كفنان وهي ترسم معالم ذلك الصباح الذي يأتيه بهيئة العيد المليء بالافراح والتهاني، يقول:

يـا صـباحا بـدا لعـيني جمـيلا | فكـأني امـام وجـه جميـل
و كـأني بالعـيد امعـن لثـما | لـصـباح كلـثم خـدٍّ اسيـل [2]

فهو يستشعر الصبح بشيء من الغبطة والسرور، يسعفه في ذلك خياله الرحب وذوقه الحساس، ليخلق اجواء فنية راقية من المناظر الطبيعية الخلاقة، يقول:

سـكرت بنـسـمة الـصـبح المنـدّى | وكـان نـديم سـكرتيَ الـصـباح
وكانـت تعـزف الاوراق لحنـا | يواكبـه مـن الطـير الـصـداح
واطـربت الـديوك فهـاج منهـا | مـع الـصـبح التخاطـب والـصـياح
وراح الـنجم ينظـر بانكـسـار | الينـا حـين اعجلـه الـرواح
وخلنـا موكـب الاصـباح نـسـرا | يمـدّ لـه علـى الـدنيا جنـاح [3]

ومع تجلي النهار في صورة الصبح الا انه رفض ان تأتيه الشمس التي تطغى بشعاعها على كل شيء، فالشاعر يعود بامتداده الى نور الليل الذي يعوضه عما يعانيه من الالام والجروح والاهات وهو يعيش في غيهب الظلام اللامتناهي، فضياءها يخلق اكوانا غير الاكوان التي يألفها، بل هو الشمس التي تسطع بضيائها على الدنيا فتعم كل الاجواء الغضة، وتعيد الحيوية والنشاط التي تنسكب في اعماق الانسانية، يقول:

ايّهـا الـشـمس اغمـضـي العـين عـني | انّ نـوري يفـوق نـورك وقـدا
انـت تبـدين بالـضيـا لـيَ كونـا | غـير كـوني فاحسب الكـون لحـدا
سـيغطّي علـى ضـيائك نـوري | وعيـوني تحيـل عينـك رمـدا
يـا ضـياء الـشـموس انـت غريـب | انـت لم لـي اتيـت اخطـأت قصـدا [4]

ولعل هذا ما انعكس ايضا على الفصول حيث دورة الحياة الطبيعية التي وجد في تقلباتها ومظاهرها المختلفة اصولا نابعة من اعماق نفسه، لانه يرى فيها انعكاسا لتجربته الشعورية وتأثيرها على حياته[5]، ويتمثل هذا ـ بشكل واضح ـ في فصل الخريف[6] الذي احبه، فافصح عنه بحزن مرير وعذاب عميق وزفرات محرقة واهات محيرة مع طاقة تتفجر بالايحاء والاثارة عن تجارب صادقة لنفوس تمزقت تحت وطأة الالام والاوصاب والشجون، فهو يحب الخريف لانه مثله باوراقه اليابسة وغصونه الخاوية واطياره النادبة ومناخه العابس، بل ان عمره كله خريف بعد ان فشل في تحقيق كل مساعيه الداعية الى تغيير الكون من حوله، يقول:

اهـوى الخـريف لانّـه | مثلـي ، حـزين يـائس
اوراقـه مثلـي ذوت | والغصـن خـاو يـابس
الطـير مثلـي نـادب | والجـو مثلـي عـابس

(1) الامواج: ٢٠-٢١.
(2) المجموعة الكاملة : ٢٢٩.
(3) شرر: ٧٥.
(4) الحان اللهيب: ١٨- ١٩.
(5) الشعر العربي الحديث في لبنان : د.منيف موسى : ١٦٠.
(6) ينظر: الرومانتيكية : ١٧٣.

عمري خريف كله     والحظ فيه معاكس [١]

فهو فصل الكآبة والحزن حيث النفوس الاسية والمشاعر الدافقة التي تأثرت به وهي تراه يحطم كل شيء جميل، و لكن الشاعر يعاتبه ويطلب منه ان يبطء في المجيء، فهو بعد لم يرتو من رؤية حدائق الزهور والروابي والظلال الوارفة، يقول:

ابطئي السير يا رياح الخريف     لم نودّع للان لهو المصيف
ما ارتوى الطرف من زهور الروابي     ما امتلا السمع من غناء الحفيف
لم نودّع باللثم خد حبيب     ما شبعنا من لطف ظلّ وريف
قد رميت الاوراق للارض صرعى     ثم ابّنتها بلحن مخيف
اي ثأر على الربى لك حتى     سلبتها يداك كل طريف [٢]

ومثله الصيف الذي تحول لديه من مجرد فصل الى جنة يعيش فيها في وحدة عميقة، وهو يعانق الجمال الطبيعي الذي يغمر الوديان التي يقصدها، يقول :

تنعمّت بالصيف في وحدة     كأنّ مصيفي بها مربعُ [٣]

فهو يتعامل معه انطلاقا من الطبيعة الخارجية ومرورا الى الحس الوجداني حيث تغدو تجربة شعورية ذاتية تعبرعن مكامن النفس الانسانية. ويأتيه فصل الشتاء فيرسم لوحته بدقة من خلال عدسة فنان ماهر، يعبر فيها عن اكفهرار الجو وتلاحم السحب بعضها مع بعض، وتصادمها مع الجبال مع هيمنة الزوابع والزمهرير التي ترعب الارض و سكانها، و كأنه قائد يعدو بين المرتفعات وهو يقود جيشه الجرار يدمدم برعده ويحرك بحسامه اللامع تحدوه الرغبة في تحقيق الانتصار، يقول:

هذا الشتاء بدا من الاكام     متلفّعا من سحبه بلثام
قربت طلائع جيشه منا ، ومن     خلف الجبال بدت جبال غمام
وغدا يدمدم قائد من رعده     متمنطق من برقه بحسام [٤]

ولا يبقى الا فصل الربيع الذي يأتي محملا بالورود والازهار والاقاحي، فيسكر الانسان في عطرها الفواح وجمالها الفطري، فهو فصل الخصب والبعث والولادة وهو دليل واضح على استمرارية الحياة التي تمده بالقوة والنشاط، ولكن هذا لا يتناسب ونفسية الشاعر التي ترفل تحت اجنحة البؤس والشقاء والتشرد، يقول:

اما الربيع فقسمتي     منه جوى و وساوس
انا ليس بيني والربيع     تناسب وتجانس
انّ الربيع ليزدهي     فرحا وقلبي بائس [٥]

فمناظر الربيع عبارة عن لوحة فنية تجد فيها مختلف الالوان والاشكال، فيتجددالنشاط والحيوية، وتسترد فيه الطبيعة عافيتها بعد سبات طويل لتخرج بحلة جديدة تسكر الاخرين حيث البشر والبهجة والانشراح ، يقول:

جلست الى زهر الربيع سويعة     اعدت بها نفسي الى عالم الاحيا
فيا سكرة فيها تجمّعت المنى     ويا لحظة فيها رجعت الى الدنيا [٦]

ومن هنا يمكن القول ان الصافي اراد اثبات حقيقة مفادها ان ((الزمان هو الذي يوجد في الانسان وليس الانسان يوجد في الزمان))[٧]، فضاع من اجل ذلك في هذه الحياة ليتحمل البؤس والشقاء والالم.

---

(1) الامواج : ٢٣٨.
(2) اللفحات : ١٣٦ ـ ١٣٧.
(3) م . ن :١٥٩، ينظر: شرر: ١٦١.
(4) الحان اللهيب: ٣٩ ، ينظر : هواجس :١٨٦ ـ١٨٧
(5) الامواج : ٢٣٨.
(6) هواجس: ٣٥٣ ، ينظر: م . ن: ٣٥٢ ، المجموعة الكاملة : ٦٦٣.
(7) الزمان في الفكر الديني والفلسفي: د.حسام الالوسي:٥٢.

لقد حمل الشاعر على عاتقه مهمة فهم اجزاء الوجود من خلال تناول جميع نواحي الحياة المختلفة، وتفسير معطياتها بالوصف والتحليل لرسم صورة متكاملة عن طريق نقل كل الانطباعات التي تركزت في ذهنه على شكل قصائد ومقطوعات شعرية تنسجم وطبيعة النفس الانسانية، يقول:

انـــــا جـــــزء مـــــن الوجـــود، فهمّـــي فهـــم اجـــزاء كـــل هـذا الوجـــــــود
انّهـــــــا اســـــــرتي جميعـــــــا، ا جاهـــلا اخـوتي بهـــا وجـــــــدودي [١]
ابقـــــــى

فالصافي شاعر عاش مأساته، ووعى قلقه، وهو في لجج الحياة الصاخبة لم يجد غير العذاب والعناء والهم، فالحزن تتابع عليه زمرا حتى صار رفيقه الذي عاش في مهجته وعاشر فنه، يقول:

لســـت اخشـــى فقـد الســـرور اذاشـــ (م) بـت ، ولكن اخشـى غـدا فقد حـــزني
انّمـــا الحـــزن لـــي صـــديق قـــديم عـــاش في مهجـتي وعاشـــر فـــني [٢]

ويمكن ان يقال ان الحزن صار هو المحور الاساس لكثير من قصائد الشعراء[٣]، ومنهم الصافي الذي اثار قريحته وجعله في غمرة من العواطف الملتهبة التي تفيض بالقلق والحيرة والنقمة على الحياة، وكأنه ينبوع انفجر في صدره، فتدفق بانفعالاته النفسية وتجاربه الذاتية، بل ان نفسه المعذبة صارت تستلذ بالحزن، كما تلتذ المسامع بالغناء الشجي، فهو السكرة التي تذوب لها القلوب فتتدفق وعيا والهاما بالصور الفنية الرائعة والقيم الجمالية الرفيعة، فيقول:

اســـتلذ الحـــزن المـــذيب كمـــا قـــد لـــدّ للســـامع الغنـــاء الشـــجي
ان للحـــزن ســـكرة كالحميـــا خـــص في نيلـــها الفـــؤاد الـــذكي
ســـكرة الحـــزن تمـــنح القلـــب وحيـــا فهـــل الحـــزن للقلـــوب نـــبي[٤]

انه يتواصل في عقليته الغريبة التي تجعل من اليأس امنية لابد من تحقيقها، فهو تجسيد للتأثير النفسي الذي يتغلغل في اعماق النفس البشرية فيحقق ابعادا جديدة للمواقف الانسانية المتطلعة[٥]، ليصل الشاعر من خلاله الى مبتغاه في تحقيق عالم بعيد عن الظلم والتعسف والقسوة، يقول:

مـــا اجمـــل اليـــأس يعطـــي لنفســـي استقـــلالا
اذ لـــيس يبقـــي لنفـــسي بالكائنـــات اتـصـــالا
فـــلا ارى لـــي الا علـــى الفـــؤاد اتكـــالا
فـــي اليـــأس عزمـــي يقـــوى وهمـــتي تتعـــالى [٦]

---

(1) المجموعة الكاملة : ٣٨٥.
(2) الحان اللهيب: ١٢٤.
(3) ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٣٥٢.
(4) الامواج: ٢٧.
(5) ينظر: ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة: د. سالم الحمداني: ٨٠.
(6) اللفحات : ٥٦، ينظر : الشلال :٢٤.

وهي نتيجة طبيعية لمن عاش في حياة ملؤها التبرم والبؤس والقنوط، فهو (( متشائم اكثر منه متفائلا ))[١] ولقد صرح بذلك التشاؤم في مقارنة بين روحه وعمرالخيام الذي شرب من كأس الهموم والاحزان الشيء الكثير، ولكنه لم يصل الى ما وصل اليه الصافي، يقول:

لـــئن نلــــت مـــن بعـــد التشـــاؤم لـــذة فمـــا نلـــت مـن دنيــــاي غـير التشاؤم [٢]

ولكنه(( قوي برغم سوداويته... يحس بالمحزن المشجي في الحياة،غير انه لا يعدم وسيلة يجلو بها الحزن في ثوب المضحك المبهج ))[٣] التي تأتيه كالاحلام والرؤى السعيدة، بل هو من الداعين الى ذلك باستمرار في اوقات الخير والشر فالانسان هو ضيف على هذه الدنيا ولابد ان يرحل عنها في يوم ما لا محالة، يقول:

لقــد مـــرّ بـــي الســـرور كطيــــف ضـــــافني لــــيلا وســـــافر عنــــي[٤]

فهو المعذب المضطهد الذي يصارع النكبات والمصائب وحيدا غريبا في ارض الغرباء، فهو عبقري، وكما قيل فـ ((حظ العباقرة في حياتهم ولا سيما في الشرق العربي يتلخص في كلمتين ضياع وبؤس))[٥]، او يأتيه الفرح والسرور كالنسيم الذي يغالب عواطف الحرمان واعاصير اللوعة والاسى في جو من الخوف والترقب، ليرحل بعدها بعيدا تاركا انسانا ممزقا ضائعا في هذه الحياة يقاسي مرارة الغربة والالم والوحشة، يقول:

مـــا ســـروري بـــين الشـــدائد الا نـــســـمات تمـــــر بــــين العواصـــف [٦]

فهو يعيش في ضياع خانق استطاع التحدث به من خلال مشاعر القلب، والتوغل في مكامن الضمير الحي في حالتي الفرح والحزن عن طريق التأمل العميق والغوص في اغوار النفس البشرية، ولكنه لا يستسلم ابدا، ولا يرضى بالذل والخنوع للقضاء والقدر الذي يرسم له درب حياته المريرة، بل يثور ويتمرد بسخط وغضب في صرخة مدوية تهز ما حولها من الهياكل المتصدعة في اعمدة الزمن الخاوي فـ ((التمرد ضد ما هو قائم علامة على الاغتراب ))[٧]، لذلك نادى الصافي بـ ( تمردوا تنجل الدنيا لاعينكم )[٨]، بل تمردوا حتى على التمرد تعبيرا عن الخوالج النفسية المضطربة والمشاعر الجياشة التي تعصف بالاماني والامال، يقول:

يـــروق لـــي تمـــردي، فاشــــتهي تمـــــردا حتـــى علـــى التمــــرد [٩]

وان كان ((الشاعر ... ابن المجتمع والكون، ولكن هذا الابن متمرد... لان وجوده مشروط بحريته، الشاعر حرية كاملة... وهذه الحرية يرفضها العالم))[١٠]، لهذا فهو يحاول بناء عالم جديد يسير فيه وفق رؤيته الخاصة من خلال صلته بالوجود بعيدا عن النظرة الواقعية في الحياة التي قد تؤثر عليه سلبيا فتقيده باصفاد القوانين البالية واغلال التقاليد المتزمتة في اي مكان يتجه اليه، ويقول:

اجاهـــد للحفــــاظ علـــى حيـــاتي واحــــذر ان تلــــوّثني الحيــــاة [١١]

فهو لا يعجز في الوصول الى مضارب السعادة والهناء التي يكون هدفها تقديس الحرية المطلقة من خلال بناء عالم متكامل الاجزاء، يربط بين العالم المادي المحسوس وعالمه الرؤيوي الخيالي حتى وان كان الثمن خسران نفسه الانسانية لانها سوف تأتي بمستقبل زاهر للاجيال القادمة لتسمو فيه مظاهر العدل والرخاء والمساواة، يقول:

جاهــــد لحريـــــة يحلـــو الشـقاء بهـــا ودع نعيمــــا بــــه يســـتمتع الخــــدم
اعطــــي حيـــاتي عـــن حرّيتــــي بـــدلا انّ الحيــــاة بـــلا حـــرية عـــدم [١٢]

---

(1) الاغوار :٨.
(2) هواجس : ٣١٤.
(3) الاغوار : ٨.
(4) الحان اللهيب : ١٢٤.
(5) شعراء العراق المعاصرون: غازي عبد الحميد الكنين: ١: ٣٦.
(6) المجموعة الكاملة : ٢٨٦.
(7) الاغتراب: ٢٨.
(8) المجموعة الكاملة : ١٢١ .
(9) الاغوار: ١٠١ .
(10) دراسات نقدية في الادب الحديث:٤٤ .
(11) اشعة ملونة: ١٣٤ .
(12) هواجس: ٣١٦ .

فهو((مستميت بحب الحرية))[1]، ولكن هذا لا يعني انه سوف يغدو لها عبدا يأتمر بامرها، ويسير وفق منهجها الخاص، فهو لا يزال انسانا يملك الحرية ولا تملكه، يقول:

ارى الحـــرّ حــرّ الطبـع امـا الـذي سـعى لحرّيـــــة يومــــا فمــــا بلـــغ القـصـــدا
فكـــم مـــن ارقـــاء ســـعوا ليحــــرروا وقـــد بـــدلوا مـــن قيـــد رقهـــم قيـــدا
انـا الحـرّ حــرّ الطبــع لا عــن تكلـــف فمــا اغتــدي يومــا لحـــريتي عبـــدا [2]

عليه فان الاغتراب يتحول لديه من مجرد اغتراب من شيء الى اغتراب من اجل شيء ((انه حركة جدلية بين الوجود والوجوب، بين الواقع والامكان، بين الظاهر والماهية.. انه رفض من اجل الشمولية))[3] لاجل هذا جاء شعره محملا بافكار ومبادئ عميقة واصفا فيه خلجات النفوس وخفقات القلوب باسلوب فني رائع يستمد عناصر تشكيله من منابع الحياة المختلفة، التي صرخ فيها مدويا:

غريـــــب الحيـــــاة بهـــذي الحيــــاة غريـــــب الوجــــود بهـــذا الوجـــود [4]

# الفصل الثالث

## الخصائص الفنية لموضوعات الاغتراب في شعر أحمد الصافي

(1) مجلة الاعتدال: ١٩٣٩: ع ٣:اشعة احمد الصافي النجفي : روكس العزيزي :٢٢٧
(2) اشعة ملونة: ٥٥ .
(3) الانسان والاغتراب: ٣٧ .
(4) هواجس :٣٨٢ .

# توطئـــــة :

ان ((الشاعر انسان يتكلم الى الناس))[1] ولابد من تحقيق تلك الغاية ان يمتلك الوسائل المناسبة للتأثير في عواطف المتلقي وعقله، لان ما يقوله من شعر مرتبط بالكيان الداخلي والنفسي لكل انسان، وهو في كل عمل فني ((يصنع نفسه من جديد))[2] وذلك من خلال ((اغتراف الخامات الاولية للمضمون وتشكلها تشكيلا فنيا يتسرب فيها ويتدفق اشعاعه من خلالها ويتعداها الى ابعد من حدودها، وهذا التدفق المستمر هو احد اسرار))[3] ابداع الشاعر وتجدده في الارتقاء بالعمل الفني الى مستوى الكمال والجودة.

وان كان الصافي الذي(( وجد نفسه شاعرا بالصدفة ـ على حد اعترافه ـ فقرر ان يبقى شاعرا))[4] قد امن بتلك النظرة في قول الشعر الا انه يدعي ان له (( مدرسة خاصة في الشعر، فاشعاري... جديدة المعاني والروح، وهي في جنسيتها لا تشبه الشعر العربي ولا الشعر الفارسي... وربما اشبهت الشعر الجاهلي في شيء واحد وهو التعبير عن الشعور العفوي الصادق، ولكنها لاتشبهه لا في الاغراض ولا في الافاق))[5]، وقد قال تأكيدا لتلك الحالة ايضا:

شعـــــري غـــريب عـــن الاشعار اجمعـــها    كغــــربة لـــي عــــــن الدنيـــا واهليهـــا
لــــذاك لـــم يمتـــزج شعـري بشعـــرهمو    ولا امتزجــــت مـع الدنيــا ومن فيهـــا [6]

ويبدو ان احساس الصافي العميق بالاغتراب والتمزق والانفصال عن العالم من حوله قد انعكس على شعره، فكما يقال: ((اسلوب المرء مرآة تتراءى فيه شخصيته))[7] وبالتالي فانه وجد ان الشاعرية الحقة يجب ان تكون في مخالفة الناس[8]، فعنده ان الشعر ـ في حقيقته ـ هو ما يجيش في النفس من العواطف الانسانية المختلفة لتبرز الى الوجود في هيئة اشعار تحرق بلهيبها كل من يقترب منها، فـ (( الشعر عنده وحي، وهو مؤتمن عليه))[9]، يقول:

ومــا الشعـــر الا مـا يجيش بـه الحشـــى    واخفــــاؤه، والجهـــر فيــه ســـــواء [10]

(( انه نمط غريب ، وآية ذلك انه شق على نفسه في تفكيره وعيشه وسلوكه فبدا غريبا في زمانه وكأنه تجرد من زمانه كما تجرد من مكانه))[11]، انه فريد في نوعه وكذلك في شعره، فهو(( لايخلص الا لمزاجه على نحو حر عفوي... [لهذا] كان الصافي اول شاعر عربي يخرج على طوق الاغراض الشعرية المقننة... نتيجة اقتران شعره باحداث يومه ))[12] .

وبعد هذا كان لابد للدراسة ــ وهي ترصد الحالة الاغترابية للشاعر الصافي ــ ان تقف وقفة متانية عند الخصائص الفنية التي تضع لمسات شخصيته في النسيج الشعري ، وهي :

١ـ اللغة.    ٢ـ الموسيقى.
٣ـ الصورة.    ٤ـ البناء.

---

(1) الشعر كيف نفهمه ونتذوقه : ١٥ .
(2) م . ن : ٣٨ .
(3) الشعر بين الابداع والواقع : صبيح ناجي قصاب : ١٢١ .
(4) البحث عن معنى : ٤٦ .
(5) شاعرية الصافي : ٤٠ .
(6) المجموعة الكاملة : ٢٢٧ .
(7) الشعراء نقادا : د. عبد الجبار المطلبي : ١٩٣ .
(8) ينظر : على المحك : مارون عبود :٥٥ .
(9) احمد الصافي النجفي عالم حر : ١٧ .
(10) المجموعة الكاملة : ٥٠ .
(11) لغة الشعر بين جيلين : د. ابراهيم السامرائي : ٩١ .
(12) الشعر العراقي ، مرحلة وتطور : د. جلال الخياط : ١٩٨٧ : ١٨٠ .

# المبحث الاول

## اللغة

تعد اللغة حجر الزاوية الذي يقام عليه البناء المتكامل لاي عمل والتي تتحول فيه من مجرد كلمات ومصطلحات الى كائنات حية تتجاوب ونفس الشاعر في التعبير عن حالاته الانسانية المختلفة، ((لانها على وفق هذا التكوين ستقيم علاقات جديدة بين الانسان والاشياء، وبين الاشياء والاشياء، وبين الكلمة والكلمة))[١]، بل هي تأتي تعبيرا عن ((جوهر الشعر))[٢] الذي يحاول ان يرتفع بها الى عالم الارتباط الكلي القائم على الادراك الحسي والمعنوي للمضمون المستخلص من الحس والفكر والواقع[٣]، ولكنه لايتلوها كمادة جامدة ابدا بل كحالة شعورية ترتبط بالفرد من خلال المحاكاة المستمرة التي تنطلق عبر التجربة الانفعالية التي يمر بها.

واللغة على هذا الاساس تتحول من مجرد وسيلة للايصال والتعبير عن حالة الانفعال والعاطفة الى غاية ابداعية وثمرة للخلق الفني من خلال الشعر الذي هو في حقيقة الامر((فن اساسه اللغة))[٤] بحيث تشع فيه المشاعر والاحاسيس في سلسلة من الرحلات الى اعماق العالم المتنامي محولا فيها اللغة من العمومية المبتذلة الى صوت شخصي يعبر عن طموحات الشاعر وامالِه الخاصة على نحو فريد.

وعليه، فانها تكتسب قيما ابداعية خاصة من كونها تشكل تركيبا لغويا يأتي تعبيرا عن المحتوى الوجداني الذي يعيشه الشاعر.

وهذا ما اراده الصافي وهو يلج في اللغة ناظرا اليها بكل وجدانه ومستخدما اياها وفق ما يجده ملائما لنفسيته الرقيقة، وكأنها صارت القناع الذي يخفي وراءه افكاره واراءه وخواطره فـ ((لكل شاعر ذاتيته الخاصة ... ومن مهمة الشاعر ان يبتكر اللغة التي تستطيع ان تعبر عن ذاتيته ومشاعره وكل ما كان خاصا فانه يمر غامضا))[٥]، ولكن اللغة التي يطمح اليها الصافي ((لغة شعرية خالية من المبالغة والتأنق))[٦] تحمل طابعا خاصا مملوءا بالالم الممض والعذاب المقيت، متضمنة فكرة واحدة وهي ان كل ما كان من حوله من ذلك الالم لانهاية له ولا حدود، لذلك جاءت قصائده مفعمة بالاسى والتمرد يدفعه في ذلك حسه الشعوري المرهف ووجوده الفاعل المستمر مع الواقع المؤلم، ليتحول بذلك شعره الى قدرة تستوعب خصائص اللغة بوصفها مادة بنائه بما تتيح له من قوة في الايحاء والتعبير.

فلغة الشعر((ليست الفاظا لها دلالة ثابتة جامدة ولكنها لغة انفصال مرنة بل اميز ما فيها هو هذه الرؤية التي تجعلها متجددة دائما بتجدد الانفعالات))[٧] لهذا فهي تعبير عن نفسيته التي تحاول ان تحاكي جميع البشر بما تحمله من صفات تجعلها قريبة اليهم، يقول:

ولي لغة تحلو لدى كل سامع ... فاحرفها تشتق من نفس قائل
يهزّ قريضي كل شعب وامة ... كما هزّ سمع الكل ، سجع البلابل[٨]

لقد تميزت لغة الصافي بالسهولة والميل الى العفوية والبساطة بسبب اهتمامه الشديد بالمعاني وتفضيلها على الالفاظ التي وجد فيها لحودا تحاول قتل المشاعر والاحاسيس الحية، يقول:

في النظم من نار الشعور شرارة ... تبدو، و منها في الخيال شواظ
اهوى الشعور من الكلام مجردا ... انّ الشعور قبوره الالفاظ[٩]

لقد تناسى الصافي وهو يعيش في خضم تجربته الانفعالية الخاصة قيمة تلك الالفاظ ككلمات تحاول نقل المأساة التي يشعر بها ازاء العالم القاتم الذي يعيش فيه((فاللفظ الشعري في حقيقته هو في نفسه خلق فني))[١٠]، ولكن هذا لايعني انه اغفل كليا ما يمكن ان تحققه تلك الالفاظ متحدة مع المعنى من قيمة جمالية وفنية تعبيرا عن حالته الشعورية وايصالا لتجربته الخاصة باصدق صورة واوضح معنى، يقول:

اللفظ قشر وفيه ... لبّ المعاني يقرّ

(1) سياسة الشعر : ادونيس : ١٥٤ .
(2) لغة الشعر الحديث في العراق : د. عدنان حسين العوادي : ٩ .
(3) ينظر: التحليل النقدي والجمالي للادب : د. عناد غزوان : ٣٣ .
(4) في الميزان الجديد : د. محمد مندور : ١٨١-١٨٢ .
(5) فن الشعر : د. احسان عباس : ١٦١ .
(6) التجديد في لغة الشعراء الاحيائيين: د. عادل جاسم البيأتي: ٧٠ .
(7) الاسس الجمالية في النقد العربي : د. عز الدين اسماعيل : ٣٦٢ .
(8) اشعة ملونة : ١٠٨ .
(9) الامواج : ٢٥٤ ، المجموعة الكاملة : ١٧٥ .
(10) في الميزان الجديد : ١٢٤ .

كلاهمـــــــــا مـــــستحـــــــــق ان يعــــــــــتني فيـــــه فكـــــــــر
فاللــــــــــبّ يفنـــــــى سريعـــــــــا ان لـــم يحـــــط فيــــــه قـــشـــــر [١]

# الالفاظ :

لقد كان لحالة الاستلاب والتمزق التي يعاني منها الصافي الاثر الكبير في تمييز اسلوبه الشعري ولغته بجملة من الخصائص التي تعمد الشاعر ابرازها الى متلقيه لكي يشاركوه حجم الاذى والالم الذي يحس به، وهي:

**١- الميل الى البساطة واستخدام لغة الحديث اليومي والغريب منها :**

لقد ادت ظروف الحياة الصعبة التي عاشها الشاعر واحساسه المتفاقم بالحزن والتبرم والقنوط من جراء حالة الانفصال التي يشعر بها اتجاه عالمه واختياره للانفراد والوحدة الى ان تتميز معظم قصائده بطابع السهولة والوضوح، ولكنها ((سهولة ذات مدلول خاص))[٢] اراد الصافي من خلاله ان يبين حقائق صارخة يضعها امام متلقيه، لهذا فهو لم يكترث بلغته الشعرية مبتعدا بذلك عن التزويقات والزخارف التي طالما اهتم بها الشعراء الاخرين من دون النظر الى قيمة تلك الاشعار التي يقولونها((على ان فيها ما هو اجمل من ذلك، فيها صدق الحس، وقوة النظر، ووضوح الفكرة العميقة))[٣]، يقول :

فحســـــبي انّنـــــي ابــــــدعـت فنـــــا يـــــذيع علــى ذوي الالبــــاب عطـــــرا
جديــــــد الفكــــــر ذو معنـــــى معــــرّى بـسيــــط النظـــم حتـى ظــن نثــــــرا [٤]

فـان ((اللغـة التـي يـستطيع بهـا المؤلـف ان يوصـف تجاربـه الخاصـة بمنتهـى القـوة النافـذة، وبغايـة الدقـة والوضوح، مع تصوير دقيق للتفاصيل الخفية، فهي اللغة في اسمى منازلها وكامل قوتها))[٥]، ويبدو ان هذا ما حدث للصافي في شعره البعيد عن التكلف والتصنع ليعبر بـه عن نفسه البسيطة بكل حرية وبلا اي تنميق او تزويق، وليس غريبا في ذلك وهو يرى في شعره تعبيرا عن اعماق روحه ونبضات وجدانه، بل انه يرى في تلك العفوية والسهولة المطلقة تجديدا للشعر الذي طالما اراد ايصاله الى الاخرين، وان كانت تلك الالفاظ المولدة والجديدة تدور في فلك ((البساطة والبسيط والبسطاء))[٦] التي وجد فيها عبقريته الفذة التي جلبت اليه الانظار، وجعلت الاخرين يتلقون اشعاره بشيء من الابداع والابتكار ، ومما جاء في شعره الذي حوى تلك البساطة، قوله:

قد اختـرت منـذ القـدم عيـش التشـــرد لــــــفقري وللفوضـــى وحــب التجـــرد
ومــازلـت فيـه رغـم ما نلـت مـن غــــنى فلـــي فيـــه اضحـــت لـــذة المتعــــود [٧]

فلقد جاء بالفاظ سلسة واضحة لا تعقيد فيها ولا التواء، فـ (عيش التشرد) جاء بسبب (الفقر والفوضى) فضلا عن (حب التجرد) الذي هو طموحه وغايته الاولى.

فالقارئ لاشعار الصافي لا يحتاج الى اي تأمل او تفكير فهي بنت ساعتها تأتي عن عفو الخاطر، ومن امثال ذلك قوله :

غـــــريب الحيـــــاة بهـــذي الحيـــــاة غـــــريب الوجـــود بهـــذا الوجـــود [٨]

فلفظة (الحياة) مرادفة للفظة (الوجود) ولكنهما ارتبطتا بلفظة (غريب) التي جاءت تعبيرا عن حالة نفسية خاصة تعيش حالة الالم والبؤس والشقاء. انه يظن ان تلك البساطة هي مصدر القوة في ايصال ما يطمح اليه المتلقين، لهذا فانه((يعتمد... في صياغته على الاسلوب المباشر وليس الاسلوب الموحي فيرسل نفسه على سجيتها ويسترسل في نقل افكاره معتمدا على لغة التخاطب من غير مراعاة للنغم، او تنبه للاصوات الفنية))[١]،

---

(1) الامواج : ٢٧٤ .
(2) لغة الشعر بين جيلين :٧٢ .
(3) اشعة ملونة : ٨ .
(4) اللفحات : ٥٩ .
(5) قواعد النقد الادبي : لاسل ابر كرمبي، ترجمة : د. محمد عوض محمد : ٤٥ .
(6) لغة الشعر بين جيلين : ٧٩ .
(7) المجموعة الكاملة : ٣٣ .
(8) هواجس :٣٨٢.

الفنية))[1]، لهذا فقد اتسم شعره بالنثرية الواضحة ــ في بعض الاحيان ــ مؤمنا في ذلك بالعفوية المطلقة في ايصال المحتوى الاساس الذي يتوخاه من وراء شعره.

و ربما وصل شغفه بمبدأ السهولة الى ان يخرج شعره الى مستوى الضعف والركاكة والاسفاف، الى الحد الذي لا يمكن ان يكون ما يقوله الصافي شعرا، يقول:

اســــير بـــــين البـشـــر ســــيري بـــين البقــــر
احــــاذر الرفـــسة مـــنهم لـــو يقـــيني حـــذري [2]

فهذه الابيات ليست الا مجموعة من الالفاظ الجاهزة والتعابير الجامدة التي لاتمت الى الفن باية صلة، و ربما جاءت تعبيرا آنيا عن موقف معين مر به الشاعر فجاء بهذا الشكل الواهي، بل ان الامر لا يقف عند هذا الحد ليصل في استعماله الى لغة الحياة اليومية واستخدامه للتعابير الشائعة والمتداولة على السنة العامة[3]،او ما يسمى بـــ ((الاداء بالكلام المحكي))[4] موظفا في ذلك كل الاشارات وما يستجيب لحالته الشعورية من دون الرجوع الى آراء النقاد الرافضين لتلك الحالة، ومن تلك الالفاظ التي جاءت في شعره (الوابورة، التخت، الراديات، الكراج، الجام ...).

ولكن قد ينتهي استغراق الشاعر باستخدام الموروث التقليدي من الالفاظ والتعابير الشائعة لدى العوام الى الدرجة التي يفقد معها احساسه الفردي الخلاق باللغة، فلا تغدو ملكا خاصا له، يحاول ان يكتشف من خلالها كل امكاناته الداخلية ويتأمل تجربته الوجدانية في ضوء جديد. هذا فضلا عن استخدامه بعض الالفاظ الغريبة والاجنبية التي سادت في عصره ومنها لفظة (سوبرمان) ، فالفاظه الشعرية لا تأتي الا عن عفو الخاطر التي تناجي طبعه وتسليه عن بعض الامه دون ان يخضعها لقوانين الشعر واحكامه، فافتقرت بذلك الى طابع العمق والاجادة وان كانت تعبيرا عن حالة نفسية خاصة يمر بها الشاعر، ولكن هذا لايمكن ان يعد حكما مطلقا على كل قصائده، بل انها جاءت تعبيرا عن حالة شعورية ادت اليها حياة الشاعر القاسية.

وهكذا يكون لكل شاعر معجمه الشعري الخاص وان كان هذا المعجم مشتملا على الالفاظ المستخدمة من الواقع الحياة العامة باسلوب واضح وبسيط ، فان اختيار تلك الالفاظ تظل سرا للشاعر نفسه.

**٢- ادخال المصطلحات العلمية الحديثة والمخترعات الجديدة:**

لاشك ان اضطراب الحالة النفسية وتقلباتها المستمرة تركت اثرا في نفس الصافي مما جعله يعاني ويتألم ولكنها ساعدته في استقطاب جوانب الحياة المختلفة وادخالها في شعره كعوامل مساعدة لتخلص مما يشعر به كاستعماله للمصطلحات العلمية التي كانت سائدة في عصره، وهي ظاهرة ليست بالجديدة اذ تناولها غيره من الشعراء كالزهاوي والرصافي ... وغيرهم، ولكنها تميزت في شعره بالتعبيرعن حالة شعورية خاصة حاول من خلالها التخلص مما الم به ، ومنها (القنبلة الذرية) التي ارادها اداة للقضاء على البشر ولاسيما المزعجين منهم الذين دأبوا على الحاق الاذى والقهر به، يقول:

لـم تحــل فـــي عـــيني قنابـــل ذرة الا غـــداة ارى بغـــال النـــاس
كــم مـــزعج مـــنهم لنـــا بســـلوكه والنطـــق منـــه محطـــم للـــراس
عجـزت حـــروب الـدهر عــن افنــائهم قدمــــا، ا تنهــدم الجبـــال بفــــأس [5]

فـ (قنابل الذرة) وان جاءت متلائمة مع الابيات الشعرية الا انها قد اماتت العاطفة التي تعد احد اعمدة الشعر، وكأنها انتقلت باشعاعها المدمر الى شعر الصافي فجاءت جامدة لا حراك فيها ولا حياة .

الا ان الشاعر يحاول ان يبرر تلك الغاية من خلال ادخاله للمصطلحات والتعابير العلمية بحقيقة جوهرية سعى اليها بكل ما اوتي من قوة مفادها رغبته الخالصة في انقاذ هذا العالم مما اسماه بـــ (الانسان) ومما صنعه من (القنابل) و(الذر) وغيرها، لهذا فهو ((يقتنص مفرداته من كل بيئة وكأنه لا يؤمن بالاختصاص الذي يقتضيه

---

(1) مجلة الفيصل : ١٩٧٧: ع٧: الصافي النجفي شاعر الحياة : عبد الرحيم ابو بكر : ٥٥، ينظر : الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠-١٩٨٥: احمد ابو سعد : ١٥١ .

(2) اللفحات : ٣٠٤.

(3) ينظر: حركة التطور التجديد في الشعر العراقي الحديث :٨٦، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: د. سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة: ٢٥٨.

(4) رماد الشعر : د. عبد الكريم راضي جعفر: ١٦٠.

(5) المجموعة الكاملة : ١٣١.

عصرنا الحاضر))[١]، ومن استعمالاته الاخرى ادخال مصطلحات علم الرياضيات وهو في حالة صراع مستمر مع الزمن الذي لا ينتهي ابدا، يقول :

فكـــأنّ الزمـــــان قـــد فــــرّ منـــــي     حيـث اجــري طــردا و يجــري بعكـس[٢]

ولم يكتف الشاعر بهذا فقط، بل ادخل الفاظ المخترعات والتقنيات الحديثة التي انتشرت في عصره وان كان هذا يسبب للغته الشعرية الثقل والنفور، ومنها لفظة (الكهرباء)، يقول:

لامـــــــام نــــــسير ام لـــــــوراء     لا تغرنّـــــك اعــــــصر الكهربـــــاء
اي فضــل لاعصـــر لا تـــــرى مـــن     متنـــــــبٍ فيهــــــا ولا انبيـــــاء[٣]

فابياته الشعرية ليست فيها اية قيمة جمالية لتضاف اليها لفظة (الكهرباء) التي تزيدها جفافا وبرودة، الا انها جاءت تعبيرا عن النقمة التي يشعر بها على وجه الحضارة الحديثة وما احدثته من تمزق النفس البشرية والعلاقات الانسانية التي تربط بين البشر، وينتقل برفضه للكهرباء الى رفضه لكل مخترع جديد كـ (الطائرة والسيارة ....) فرؤيته للالة الحديثة ((ذات طبيعة حسية تجزيئية))[٤] من اجل ايصال فكرته الى القارئ، او بمعنى اخر فالشاعر يحاول نقل صورة اوضح لذلك الكره على بني جنسه وهم يتحولون الى (الات) خلقت في معمل الحياة بعد ان كانت ارواحا. ومن الالات الاخرى التي وردت في شعره (مقياس الجو، المنظار...) فضلا عن (الساعة) التي وجد فيها عدوه الاول الذي يحاول ان يقلص حياته الطويلة في اوقات لا تعرف التوقف ابدا، يقول:

هـــــذه الــــــساعة فـــــي دقتهـــــا     قربـــــت نفـــــسي مـــــن نكبتهـــا
تـسـقط الـســـاعات مـــن اعمارنـــــا     والتواقيــــع صـــــدى ســــقطتها[٥]

فكل النماذج المتقدمة في شعره تمثل واقعا خاصا عاشه الشاعر وحاول ان يبرزه للاخرين بالفاظ واساليب حوت من المصطلحات والصيغ العلمية والالات المتطورة دون النظر الى القيمة الفنية او الجمالية التي يمكن ان تشكلها تلك الالفاظ في شعره وما يمكن ان تتركه تلك الاشعار في الادب العربي.

**٣- التوسع في استعمال اسماء الامكنة ــ الازمنة:**

تتضح قدرة الصافي في التعبير عن مدى شعوره بالاستلاب والتمزق والاحباط الى كثرة ما ورد من اسماء للامكنة المختلفة والازمنة المتباينة في شعره حتى عدت علامة بارزة يستطيع ان يلتفت اليها كل من اطلع على دواوينه، فحياة الانسان ــ في حقيقتها ــ بؤرة نفسية يتلاقى فيها المكان والزمان على حد سواء[٦]، ولاسيما للشاعر الذي يستعمل اللغة تعبيرا عن ذلك التلاقي بعملية تشكيل مزدوجة في بنية خاصة تحمل دلالات الحب والبغض في ان واحد[٧].

فعلى صعيد الامكنة فانها تتخذ اشكالا عديدة وانماطا مختلفة شملت اليابسة والماء، بل انها تتسع لتشمل لفظتي (الارض) و(السماء) وقد توزعت تلك الاسماء بين دول كـ (العراق، سوريا، لبنان) ومما جاء في شعره، قوله:

بلبنــــــان الــــــواح حـــــسان خوالــــــد     والــــــواح حـــــسن دائمــــا تتغيـــــر
كـأن يـد الابــــداع والفـــن صــــورت     مــن الحـســن مـا شـاءت وظلـت تـصور[٨]

اما اسماء العواصم فلقد كان لها نصيب كـ (بغداد، طهران، دمشق) التي احبها الصافي حبا جما فجاءت ابياته الشعرية معبرة عن ذلك الاعجاب، ولكن هذا الامر لا ينطبق على (بيروت) التي تحولت لديه الى رمز لعبثية المدينة وما تشكله من حالة للعقم والضياع والانحطاط، فالمدينة تمثل ــ في نظر الشاعر ــ خصما يحمل دلالات الغش والخداع والكذب فلم يستطع ان ينسجم معها، ولكن هذه النظرة لا تنسحب على كل المدن التي مر

---

(1) لغة الشعر بين جيلين : ٧٧.
(2) الامواج : ٩٠.
(3) شرر :٢٢.
(4) لغة الشعر الحديث في العراق:٢٧٧.
(5) هواجس:٨٨.
(6) ينظر: جماليات المكان: جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا: ٣٧.
(7) ينظر: الشعر العربي المعاصر: ٦٣ .
(8) هواجس: ١٥٣.

بها الشاعر في اثناء تنقلاته، فهذه (حماة) التي احبها بالرغم مما يحمله اسمها من معاني البغض والكراهية في نفوس بعض الافراد، يقول:

| | | |
|---|---|---|
| (حمـــــــاة) طيــــــب و طيبـــــــات | | (حمـــــــاة) لطــــــف ومكرمـــــات |
| (حمـــــــاة) محبوبـــة البرايـــــا | | بـــــالرغم مــــن انــــّها حمـــــــاة [1] |

وهذا ما انعكس على غيرها من المدن كـ (بعلبك، طرابلس، صيدا...)، اما القرى والمصائف فلقد تمثلت لديه كرمز للنقاء الذي لا يلوثه اي تقدم او تطور زائف ، من مثل (القنيطرة، كفربطنا...) ومنها المصائف كـ (دمر، عين ميسة، سير، مضايا، عين بقين، عين الخضراء، زحلة، جزين، قرنايل...) فهي اماكن ساعدت الصافي على استرجاع الطاقة التي افتقدها وهو يعيش غريبا في هذا العالم حيث ان كل المخلوقات والاشياء قد تحولت في شعره الى كلمات وصور ورموز.

وفضلا عما تقدم يأتي البحر ضمن الامكنة التي خففت من عبء الهموم والالام التي يشعر بها الشاعر، يقول:

قـصدت حبيبـــي البحـــر رغـــم المــصاعب ... وكـــم مـــن عراقيـــل بـــدرب حبيـــب
لقـد كـــان فـي الامـــواج شـوقا يـضـــمني ... اليـــه ويطغــــى وجـــده بلـــــهيبي [2]

فهذه الصورة الرائعة التي تمثل البحر فيها كائنا حيا ينبض بالحس والشعور لتتمازج الروحين في موقف درامي جميل، ويتخذ النهر فلسفة تكاد تكون مكملة للبحر في طريق الخلاص كنهر (بردى) ونهر (العاصي).

اما الازمنة، فلقد جاءت ممثلة لجانب من لغته الشعرية ومعبرة عن تجربة انفعالية مرت بالشاعر فكانت بين اليأس والامل والموت والحياة، فمن الالفاظ التي استعملها الشاعر (الزمن، الزمان ، الدهر، العصر، الوقت...) وربما اقترنت لفظتين تعبيرا عن التجربة الشعورية التي يعاني منها الشاعر كانسان، يقول:

امـــــر و احلـــــو كطعـــــم الزمــــان ... وان اعلـــــن الحـــــرب لا اجـــــبن
وهيهـــــات يغلـــــب دهـــــر علـــــيّ ... مـــع الدهـــر اطـــــرى واخشـــــوشن [3]

وتتلاقى لفظة (الايام) مع الزمان واسمائها المختلفة لتشكل صراعا يكاد يكون متواصلا مادامت الحياة مستمرة، فهو لايجد بدا من اسمائها المتعارفة سوى الهم والالم من مبدأها الى منتهاها، ليختار منها ما مضى من (الامس) القريب الذي يراه نبراسا مضيئا بقدر ما يرى في (الغد) منبعا للخوف والظلام، وهي قاعدة تتسم بالتشاؤم والرهبة مما هو آت، يقول:

تعبـت مـــن الـسير الحثيــث الـــى غــد ... فهـل مـن وقـوف او رجـوع الـى الامـس
تـصـادقت مـع امـسـي فـاحببت عـــوده ... واخشـى صـديقا مـن غـد حـفّ باللبس [4]

بل انه يجزئ اليوم منها الى اوقاته المختلفة فيختار من الفاظه (الليل) و (الصباح)، كما انه لاينسى اسماء الفصول التي عبرت عن حالاته النفسية المختلفة في تمييز واضح بين الرغبة في مجيئها او عدمه.

ان ما جاء به شعر الصافي من استعمال لاسماء الامكنة والازمنة قد تحول الى جو نابض بالعاطفة والاحساس ليزيل بعض الهموم والالام التي اثقلته فجعلته يلتجأ الى ما حوله .

**٤ - اللجوء الى استعمال الفاظ الكائنات الحية في شعره:**

ان طبيعة الواقع الذي يعيشه الصافي قد فرض عليه استعماله الفاظ الكائنات الحية على الرغم من اختلاف انواعها وتعدد اشكالها، وكأنها صارت المنفذ الذي يحاول من خلاله التعبير عن الكبت والحرمان الذي يشعر به. واول لفظ للكائنات الحية التي يلحظها القارئ بشكل لافت للنظر هي (البشر) ولكنها اتخذت طابعا خاصا عبر الشاعر من خلاله عن مدى الحقد والغل الذي يحس به اتجاه الاخرين، يقول:

امــــد كفـــي الــــى قـــوم لارفعهـــم ... فتتعـــب الكـــف حتـــى يـــسقط الحجـــر
لا غــرو ان تـسقطوا مـن كـف رافعكــم ... فـــعذركم ان سقطتـــم انّكــم بـشـــر [1]

(1) هواجس : ٨ -٩.
(2) م . ن : ٤٣.
(3) المجموعة الكاملة : ٦٣٨.
(4) اللفحات : ١٧٩.

فتأكيده الواضح على كره البشر جعله يكثر من الالفاظ التي تدل على عمق المعاناة والغضب وهي خطوة على طريق الانفصال والرفض، فضلا عن نقله لحالته النفسية وشعوره الذاتي في عالم يختلف عن تطلعاته ورؤياه الخاصة كالفاظ (الانام، الناس، القوم ...) فضلا عن الالفاظ التي حملت معنى الخصوصية كـ (مجتمع) و (صديق) و (لئيم) وغيرها.

والحق ان الحاحه الدائم على استعمال مثل تلك الالفاظ هو لارتباطها الوثيق بوجدان الشاعر لانتزاع القيمة الشعورية وتحويلها الى قيم تعبيرية من اجل ايصالها الى المقابل ليشارك الصافي حالة النكوص والخذلان التي يشعر بها وهو يعيش في عالم غريب لا يمت اليه باي صلة تذكر، فشعره ما هو الا تعبير عن((اغتراب الموجود البشري عن وجوده العميق بحيث لايكون ذاته وانما مجرد صفر على الشمال في الوجود الجمعي))(٢).

وينتقل الصافي في استعماله لالفاظ المخلوقات الحية الى فئة اخرى وهي الحيوانات التي جعل من التعامل الدقيق معها معنى الانسانية الحقة، فلقد استعمل الفاظها بشكل كبير شملت مختلف الانواع كـ (الطيور) التي جعلها الشاعر اهلا له فجاءت الفاظ (العصفور، البلبل، الحمام، الحسون...) وغيرها تعبيرا عن حالة وجدانية شعر بها اتجاه هذه المخلوقات الصغيرة التي عدها جزءا من كيانه الخاص فاكثر من استعمالها، هذا فضلا عن ايمانه المطلق بها وبما تحمله تلك المخلوقات الصغيرة من رسالة سامية تتحقق فيها كل المبادئ العليا التي يؤمن بها، يقول:

هـــي الطيـــر تهـــديك ســـبل الحيـــاة     ومـــن لـــم يـــسر فـــي هـــداهن ضـــل
اری الطيـــر لـــلارض رســـل الـسمـــاء     الـــــى الحـــب تدعـــو كبـــاقي الـــرسل (٣)

هذا فضلا عن الانواع الاخرى من الحيوانات التي ورد ذكرها في شعره، من مثل: (الكلب، القط، الفأر، الديك، الاسد، القرد، السمكة، العقرب...) فلقد وجد الشاعر في تلك الالفاظ متسعا امكنه من خلاله التعبير عن لواعج الحزن والاسى وهو يعيش في واقع مزيف تحكمه المادية المطلقة، فالتجأ اليها للتنفيس عن نفسه والبوح عن ذاته الحبيسة، هذا فضلا عن الحشرات التي ذكرها تعبيرا عن موقف معين فاراد نقله الى القارئ كالفاظ (الفراشة، العنكبوت ، النمل ، البعوض، البرغوث، العث).

ويمكن ان يضاف الى ما سبق من الكائنات الحية الفاظ النباتات التي كان لها نصيب في شعره بما تركته من تأثير في قلبه وهو يجد فيها صورة طبق الاصل عنه، بل والوجه الجميل للحياة الذي يمكن ان يزيح هموم الصافي الكثيرة، كالفاظ (الازهار، الورود)، يقول:

عـــروس الزهـــر، كمـــا اهنـــاك بـــالا     ومـــا احـــلاك فـــي بيتـــي عيـــالا
يقـــول الزهـــر، لـــست اريـــد رزقـــا     ســـوى مـــاء وخـــذ منـــي جمـــالا(٤)

وكذا الحال مع لفظة (النخلة) التي جاءت تعبيرا عن حالة نفسية وما تحمله من مظاهر البؤس والحزن بلفظ واضح وصريح حمل مضمون الخوف والاستلاب.

وعليه فان تلك الكلمات التي تناولها الشاعر لم تكن مجرد وسائل لنقل الافكار، بل اشياء مطلوبة لذاتها ككيانات محسوسة ومستقلة ذاتيا لتعبر عن حالة الانفصام والقلق التي يحياها الشاعر، وبذلك فان الكلمة في شعره صارت الاداة التي تتحكم في جزيئات حياته المختلفة كما كانت اداة لمعرفة تلك الجزيئات.

## التراكيب و البنيات الاسلوبية:

مما لا ريب فيه ان الالفاظ وحدها لايمكن ان تكوّن بيتا من الشعر بمعناه الفني ما لم تكن مرتبطة بالمعاني التي تؤدي الفكرة المتوخاة من ورائه، ((فالالفاظ وحدها لا يمكن ان تخلق الحياة في القصيدة بيد ان علاقات تلك الالفاظ بغيرها من خلال نسق فني ــ معنوي ، هي التي تحدد وتجسد ابعاد الحركة والحياة في القصيدة او اي

(1) هواجس: ٢٩٦.
(2) الوجودية : ٢٩٥.
(3) المجموعة الكاملة : ١٢١.
(4) الشلال : ٣٠٥.

تعبير فني يستحق التأمل والاستجابة))[1]، وبهذا يتحول اللفظ الى مولد اشاري متسع العدد من المواقف والانفعالات والاوضاع التي تتسم بالانسجام والدقة والحيوية [2].

وهذا ما التفت اليه النقاد قديما كالجرجاني حيث قال: ((والالفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف يعمد بها الى وجه دون وجه من التركيب والترتيب))[3]، لهذا فقد عمد الصافي الى ابراز التركيب اللغوي باكثر من معنى لما يراه متناسبا مع تجربته النفسية في اشارة منه الى ان ابداع الشاعر واصالته لا تتوقف على الالفاظ حسب، وانما غناه وثراءه اللغوي في طبيعة العلاقات اللغوية التي يعقدها بين الالفاظ [4] بحيث تحمل تلك المعاني ـ التي يقدمها للقارئ ـ دلالات روحية ونفسية وجمالية في ان واحد [5].

ولاريب في ذلك فقد عد الصافي ((من صنف شعراء الفكرة... الذين حوى شعرهم الشيء الكثير من الافكار الجديدة المبتكرة، سواء في مواضيعه العامة او مواضيعه الخاصة))[6]، ويرجع ذلك الاهتمام بالمعاني لدى الشاعر الى ((نظرته الفلسفية للحياة، فهو يقدس القوة في المثاليات ويزدريها في الماديات))[7].

ولقد حاول الصافي ابراز تلك المعاني الى المتلقي من خلال الالفاظ باستخدام وسائل معينة تتفق ونفسيته المتألمة، ومن تلك الوسائل ، التقديم والتأخير، والحذف، والتوكيد، والتكرار... وغيرها، ففي استخدام تلك الاساليب دليل ((على قوة وتداخل اللغة وتلاحمها واتصال اجزائها وتلاحقها))[8] بحيث تجعلها تؤثر في المتلقي الذي يتفاعل مع ما يعانيه الشاعر من العذاب والالم.

ومن الوسائل التي كثرت في شعر الصافي هو اسلوب التقديم والتأخير حيث ان الشاعر لحظة تعبيره الشعري يجد نفسه مدفوعا الى تجاوز الكلام المعجمي بما تفرضه عليه تجربته الفنية، فتنشأ على اثرها خصوصية في الاحساس وخصوصية في عرض رؤيا ذلك الاحساس، فهو ((باب كثير الفوائد، جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية))[9] يسعى الشاعر من خلاله الى التخفيف عن بعض المعاناة التي يشعر بها، ومنها تقديم الخبر على المبتدأ ، يقول:

في احتقاري شأن الحياة دليل ... انّني من عوالم ساميات
وطموحي الى الخلود دليل ... لاشتقاقي من انفس خالدات[10]

فتقديم الخبر (في احتقاري) جاء تأكيدا لموقف الشاعر من الحياة التي يحياها، وهو يشعر بحالة من الانفصام واللاانتماء.

ومنه ايضا تقديم اخبار الافعال الناسخة التي تؤيد هذا المضمون في الرغبة بالعيش في عالم خال من البشر، يقول :

ساء حظ البلاد اجمعها ... ليس فيها للشاعر وطن
ولنا موطن يا جسوم لكم ... موطن الارض هو الفطن[11]

ولم يقتصر اسلوب التقديم والتأخير على الخبر حسب، وانما جاءت بانواع اخرى ومنها تقديم المتعلقات التي تحقق اغراضا ومقاصد بلاغية كتقديم الجار والمجرور على الفعل، كما في قوله:

فاصبح لؤم الخلق احسبه ذخرا ... بلؤم الورى ابدعت خير قصائدي
اذا كان كل لؤمه يلد الشعرا ... واصبح عندي اليوم للناس قيمة[12]

فتقديم الجار والمجرور (بلؤم) جاءت في غاية الدقة، بما اضفت على البيت الشعري من منحى خاص عبّر عن الاذى والالم الذي يحس به اتجاه بني جنسه وما تركه اللؤم بينهما من الفرقة والتباعد.

---

(1) التحليل النقدي والجمالي للادب :٣٠.
(2) ينظر : لغة الشعر الحديث في العراق :٢٣.
(3) اسرار البلاغة : الشيخ عبد القاهر الجرجاني، تحقيق : هـ. ريتر : ٨.
(4) ينظر : لغة الشعر العراقي المعاصر: عمران خضر حميد الكبيسي : ٧٣.
(5) ينظر : رماد الشعر : ٢٤.
(6) مجلة الضاد : ١٩٦٩: ع١-٢: مع الشاعر العبقري المجدد احمد الصافي النجفي : الاستاذ جعفر الخليلي :١٩٧.
(7) حركة الشعر في النجف : د. عبد الصاحب الموسوي : ٦١١.
(8) الخصائص : ابن جني ، تحقيق : محمد علي النجار : ١: ٣١١ - ٣١٢ .
(9) دلائل الاعجاز :٨٢.
(10) الاغوار : ١٣٥.
(11) اللفحات : ٢٥٥.
(12) هواجس : ١٣٢.

وتقديم الجار والمجرور على المفعول به ، يقول :

تعـودت فـي دهـري مـع الـنفس عـشرة — نـسيت بهـا دومـا معاشـرة النـاس
وحيـن مللـت النفـس لـم الـق بينـهم — بديـلا ولا خـلا كفيـلا بايناس[1]

فلقد ساهم تقديم الجار والمجرور (في دهري) و (مع النفس) في اضفاء خصوصية الانفراد الذي طالما اتخذه الشاعر ملجأ يهرب اليه ليتخلص من كل الالام والاسقام.

وهذا الامر ينطبق على الظرف بنوعيه (الزماني والمكاني) الذي تقدم على الفعل والفاعل، فمن الاول يقول:

صـباحا يحيينـي البلبـل — وفـي لحنـه خمـرة تثمـل
كلانـا غريـب بالحانـه — كلانـا باقوالـه مـذهل
فانّـك ((انـسـان)) جنـس الطيـور — وانّـي بجنـس الـورى ((بلبـل))[2]

ومن الثاني قوله:

يهـون لـدي هريـر الكـلاب — اذا قـسته بهريـر البـشر
فـذاك يـزول ببـذل الطعـام — وهـذا يـزيد اشتـدادا وشـر[3]

فتقديم الظرف (صباحا) و (لدي) جاء مرتبطا بدلالة عميقة عبرت عن تآلف الشاعر مع الحيوان ورفضه لكل ما يربطه بالانسان في اشارة منه الى مدى الظلم والغبن والتعسف الذي يشعر به، هذا فضلا عن تقديم (كلانا) مع الظرف (صباحا) لتقوية المعنى المراد نفاذه الى ذهن المتلقي.

وبشكل عام، فالتقديم والتأخير اسلوب يحقق ابعادا نفسية تنبع من طبيعة التجربة الشعورية بما تثيره من الانفعال المناسب وبالتالي انعكاس ذلك على المتلقي بشكل يتوافق واحاسيس الشاعر[4].

ومن الاستعمالات الاخرى للتراكيب اللغوية التي تدل على معرفة الصافي باللغة واسرارها اسلوب الحذف، فهو((ينشط الايحاء ويقويه من ناحية، وينشط خيال المتلقي من ناحية اخرى))[5]، لهذا فقد عد ظاهرة لغوية بارزة اتخذها العرب قديما للايجاز والاختصار، فهو ((باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ... فانك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر والصمت عن الافادة ازيد للافادة))[6]، ومن مظاهر الحذف عند الشاعر حذف المبتدأ وابقاء الخبر للدلالة عليه، يقول:

مـا لعقلـي لكـل عقـل مغـاير — ولـدربي عكـس البريـة سـائر
حائـر فيـم لا اعيـش كغيـري — هـل قـضـى الله لـي بـعيـشة حائـر[7]

والتقدير: (انا حائر) اذ حذف ضمير المبتدأ ودل عليه بقرينة ضمائر المتكلم المتصلة في (عقلي، دربي، غيري)، ومنه ايضا:

لئـام، اذا مـا قـستهم، لـم تفـرق — فـصدق اذا شـئت او لا تـصدق
طغـام، فمـا يهجـون الا ((بـجملة)) — كثيـر عليهم هجـوهم ((بـالمفـرق))[8]

والتقدير: (هم لئام) و(هم طغام) .

ومنه ايضا حذف الضمير كما في قوله:

يـا بلـدا فيـه الخنـا قـد جمعـا — تـالله مـا اجملـه مـستنقعا
مـا كـدت ان اقـول مـا اجملـه — حتـى صرخـت قـائلا مـا ابـشعـا[9]

والتقدير: (ما ابشعه) الا ان انشغال الكلمة بالقافية منعها من اظهار التعجب بصيغته المعروفة (ما افعله).

(1) المجموعة الكاملة : ١٧٠.
(2) المجموعة الكاملة : ٩٧.
(3) الامواج : ٢٧٦.
(4) ينظر : الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية: د. مجيد عبد الحميد ناجي: ١١٤ ـ ١١٥ .
(5) عن بناء القصيدة العربية الحديثة : د. علي عشري زايد : ٥٧.
(6) دلائل الاعجاز : ١٠٤.
(7) اللفحات : ٣١٦.
(8) المجموعة الكاملة : ٦٢٤.
(9) اللفحات : ٦٦٣.

وبالرغم من السطحية الظاهرة للحذف الا انها دلت على عمق باطني غير بائن، لان (( في باطن التركيب صنعة وتفنن وتنوع توازي جميعا ما يكمن في النفس))[1].

ومن الظواهر اللغوية الاخرى التي حفل بها شعر الصافي هو اسلوب التكرار لما له من دلالات معنوية وشعورية خاصة تتخطى وجودها اللغوي، لان التكرار ((فضلا عن كونه خصيصة اساسية في النص الشعري [فان له] دورا دلاليا على مستوى الصيغة والتركيب))[2]، بل هو في الحقيقة الحاح على جهة هامة من العبارة يعنى بها الشاعر اكثر من عنايته بسواها[3]، ولكن هذا التكرار يكون تكرارا لا شعوريا[4] يحاول من خلاله الشاعر ان يوصل احساسه وتفاعله الداخلي للمتلقي بحيث يشاركه ذلك الخوف والتوتر الذي يحس به من خلال نسق نفسي غني بالمشاعر الكثيفة، وهذا ما حصل لدى الصافي في اتخاذه من هذا الاسلوب منهجا يحاول من خلاله التأكيد على ما يعانيه من الحزن والاسى والانين، ولكنه لم يأت على حالة واحدة وانما جاء متنوعا كتكرار المقطع، كما في قوله:

حـــب الطبيعـــة قـــد دعـــا لتـــشردي     حـــب الطبيعـــة لا يقـــرّ بمولـــد
ابـــدا اطـــوف وحسنـها لـــي جالـــب     وبذوقـــي العالـــي وحســـي اهتـــدي [5]

فتكرار مقطع (حب الطبيعة) مرتين لم يأت اعتباطا، بل جاء تجسيدا لحالة الارتباط الازلي الذي يشير الى الالتحام التام بين الشاعر والطبيعة، كما انها جاءت كشفا لحالة التوق العارمة في الولوج الى داخل الصميم مكونا من ذلك نسيجا موحدا لايتجزأ ابدا.

او تكرار كلمة سواء اكانت اسما كما في قوله:

احـــب الكلـــب واســـم الكـــلب بـل مـــن     دعـــاه النـــاس عنـد الســـــب كلبـــا [6]

فاختيار كلمة (كلب) التي تكررت ثلاث مرات دليل واضح على بروز المعنى الاغترابي المؤلم في تفضيل هذا الحيوان على الانسان.

ومنه تكرار الفعل ، يقول:

انّـــــي مللـــــت مـــــن الكـــــسل     كمـــــا مللـــــت مـــــن العمـــــل
ومللـــــت مـــــن حـــــزن الحيـــــاة     كمـــــا مللـــــت مـــــن الجـــــذل
ومللـــــت مـــــن اكـــــل ومـــــن     نـــــوم وممـــــا لا يمـــــل
ومـــلـــت مـــــن نيـــــل النجـــــاح     كمـــــا مللـــــت مـــــن الفـشـــــل

الى ان يقول :

قـــــد عمنـــــي داء المـــــلل     حتـــــى مللـــــت مـــــن المـــــلل [7]

فالتكرار الواضح للفعل (مللت) الذي يستمر الى نهاية القصيدة يوضح حالة الحزن والالم التي يعيشها الصافي، ليتحول بذلك الفعل الى طاقة ايحائية تعبيرا عن النفس الباطنة بشكل لا ارادي واشباعها بصورة حسية من اجل اختراق ذلك الواقع الماساوي.

ومنه تكرار الضمير، يقول:

لقيـــت نفـــسي لمـــا زرت زاويتـــي     وكنـــت فـــي الكـــون قـــد ضـــيعتها زمنـــا
اذا اجتمـــعت بغيـــري فـي الـــورى فانـــا     غيـــري، ولكـــن فـــي الانفـــراد انـــا[8]

فلفظة (انا) تكررت ثلاث مرات حيث بينت حالة الشاعر النفسية وعلاقته بالاخرين بصورة واضحة من خلال دلالات معينة اتسمت بالالم والشك والتردد، وهذا فضلا عن تكرار كلمة (غيري) مرتين مما جعل البيت الشعري يزخر بالايحاءات البعيدة التي تشع بمعاني البغض والكره والغضب عند الشاعر.

(1) البناء اللفظي في لزوميات المعري : د. مصطفى السعدني : ٢٤٦.
(2) البنيات الاسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث : د. مصطفى السعدني : ١٤٧.
(3) ينظر : قضايا الشعر المعاصر : نازك الملائكة : ٢٤٠، ينظر : دير الملاك: د. محسن اطيمش : ٢١٦.
(4) ينظر : قضايا الشعر المعاصر : ٢٥٦، ينظر : الشعر العراقي المعاصر : ٤٤.
(5) المجموعة الكاملة : ٤٧٨.
(6) اشعة ملونة : ٦٢.
(7) التيار : ٩٢ ـ ٩٤ .
(8) اللفحات : ١٦١.

هذا فضلا عن تكرار الحرف ، يقول:

سـئمت مـن صـور ومـن اهلهـا      لا منظـر فيهـا ولا مخبـر
لمـن اقـول الـشعر فـي بلـدة      لا تفهـم الـشعر و لاتـشعر
منـاظر فـي (صـور) فتـانة      محتاجـة لاعيـن تنظـر [1]

هذا وقد استعمل الصافي بعض وجوه البديع من دون ان يكون قاصدا في ذلك، وربما عاد هذا الى اهتمامه الزائد بالمعاني والافكار، فالشاعر الصحيح في نظره((هو الذي ينتقي اللفظ الصحيح دون اكتراث بتزويقه، مع اعتناء فائق بالمعنى))[2]، فجاءت متلائمة معه لتعبر عن مدى التناقض الداخلي الذي يشعر به، واول تلك المحسنات هو الطباق الذي يكون فيه من الشعب الخفية والمكامن الغامضة التي تحتاج الى النظر الثاقب والذهن اللطيف [3]، يقول:

احببـت كـل بعيـد لـست اعرفـه      وعفـت كـل قريـب كـان مـن كانـا
فعاشـر النـاس عـن بعيـد يجمّلهـم      وحـاذر القـرب يبـدي القـبح الوانـا
انـأى عن النـاس كـي ابـقى احبهـم      وكـي اظـل بخمـر الوهـم نـشوانا [4]

فقد طابق بين (بعيد) و (قريب) وبين الـ (بعد) و (القرب) فتلك المتضادات دلت على شعوره العميق بالوحدة والانفصال عن جميع البشر، فجاء الطباق متوائما مع المعنى الذي سعى الشاعر الى التعبير عنه.

ومن الزخارف الاخرى التي جاءت في شعره الجناس حيث كان بشكل عفوي عبر عن لحظة الانفعال التي يعيشها الشاعر فهو من الطف محاسن الكلام ومداخله بشرط ان يأتي من دون تصنع او قصد، وعليه فانه يكون من ((احلى ما تسمعه واعلاه، واحقه بالحسن واولاه))[5]، وهذا ما وجد في شعر الصافي حيث العفوية والبساطة التي انتهجها من دون اي تكلف او تعمد، بحيث لا يخل بسبك العبارة او معناها، يقول:

منـاي مـن الايـام ان اصلـح الخَلقـا      واحفـظ منـي الـروح والـذوق ، والخُلقـا [6]

فقد جانس بين كلمتي (خَلقا) و (خُلقا) وهو جناس ناقص، وقد اجاد الشاعر فيها فجاءت بشكل لا لبس فيه ولا تعقيد.

ومن الوان البديع الاخرى التي جاءت في شعره حسن التقسيم، من مثل قوله:

غريـب باشـعاري غريـب بملبـسي      غريـب باحـساسي غريـب بـاطواري
اكـابد فـي الاسفار ما عشـت غـربة      وابـقى غـريبا لـو رجعـت لـداري [7]

فاغترابه واضح في ابياته التي جاءت مقسمة بين (اشعاره) و (ملابسه) و (احساسه) فضلا عن (اطواره) التي كانت سببا في كل ذلك، وما تكراره لكلمة (غريب) الا لدافع نفسي ومعنوي اراد الصافي من خلاله اثبات حالته الشعورية واغترابه الروحي .

ومن وجوه البديع الاخرى رد العجز على الصدر، كقوله:

تمضـي حيـاتي جـد مزعجـة      ولحسـن حظـي انّـها تمضـي [8]

فكلمتي (تمضي) جاءت تعبيرا عن الرغبة في التغيير والتجديد والرفض للحياة.

ومنه ايضا الترصيع، يقول:

انـا لـو لـم اكـن بنفسـي عالـم      لـم يقـف كلـه بوجهـي العالـم [9]

فكلمة (عالم) تكررت مرتين في العرض والضرب من البيت الشعري ، ويجد القارئ فيه اصرار الشاعر على التحدي والرغبة في الوقوف بضد من ذلك العالم.

---

(1) م . ن : ٢٨٥.
(2) حركة الشعر في النجف : ٦٠٣.
(3) ينظر : نصوص النظرية البلاغية : د. داود سلوم و د. عمر الملا حويش : ١٩٥.
(4) شرر : ١١٥.
(5) اسرار البلا غة : ١٠.
(6) المجموعة الكاملة : ٦٣٣.
(7) هواجس : ٣٣١.
(8) م . ن : ١٦٩.
(9) م . ن : ٣٢٤.

وعموما، فان تأكيد الصافي المستمر لحالته النفسية ادى به الى استخدام تلك الوسائل التي وجدها تلبي طموحه في ايصال صوته الى الاخرين من خلال لغته التي تكشف عن تلك الدلالات بصيغ فنية معبرة و باسلوب واضح وصريح.

# المبحث الثاني



تعرف الموسيقى بانها من اقوى عناصر الايحاء في الشعر، حتى قيل انه موسيقى ذات افكار[١]، فالعلاقة بينهما لا يمكن تصورها الا في حالة التحام[٢]، بل ان ((الشعر موسيقى قبل كل شيء))[٣] بحيث لا يتطرق الى اذن المتلقي كلمة شعر حتى تبادرت الى ذهنه كلمة موسيقى، ولكن هذا لا يعني ان يقف تأثيرها على على ما تصدره من اصوات معينة تتعاقب بين الارتفاع والانخفاض حسب، بل لا بد ان تحمل بين طياتها المعنى الذي يطمح اليه الشاعر من خلال بعث المضمون الذي يوقظ في النفوس شعورا حيا[٤] بما تفضي عليه من الايقاعات الشعرية والانغام الموسيقية التي تنتقل الى السامع فيما يسمى بـ ((قانون العدوى العاطفية))[٥]، فان التأثير الصوتي يعد من اهم المداخل الى النفس الانسانية[٦].

وعليه، فان الايقاع يعد ((الفاعلية التي تنتقل الى المتلقي ذي الحساسية المرهفة الشعور بوجود حركة داخلية، ذات حيوية متنامية، تمنح التتابع الحركي وحدة نغمية عميقة عن طريق اضفاء خصائص معينة على عناصر الكتلة الحركية))[٧] وخلق الدلالات الجديدة لمعظم المفردات التي تؤدي بالتالي الى خلق استجابة لدى المتلقي والاحساس بالمعنى الذي يقصده الشاعر، بل انه يساعد ذلك المعنى الى النفاذ الى ما وراء المستويات الواعية للتفكير والشعور ومحاولة ربطه بالواقع المعيش من خلال تحقيق ايقاع خاص يأتيمنسجما مع التجربة الشعورية التي يحس بها وذلك عن طريق ((نقطة((بؤرية)) تلتقي فيها بؤرة المعنى مع بؤرة الصوت، ويتم الاتحاد بينهما في منطقة الشعر الغامضة))[٨] التي تحاول تفسير مظاهر الوجود المختلفة ـ تفسيرا شعريا خاصا ــ بحيث يختلف من شاعر الى اخر.

وعليه يمكن القول ان لا شعر من دون موسيقى فـ ((مهما حشد الشاعر من صور وعواطف،لا بل ان الصور والعواطف لا تصبح شعرية بالمعنى الحق الا اذا لامستها اصابع الموسيقى ونبض في عروقها الوزن))[٩] .

وهذا الامر ينطبق على الصافي حيث عد الموسيقى جزءا لا يتجزأ من الشعر ولا سيما العمودي منه الذي التزم به ورفض اي تجديد قد يلحق باوزانه وقوافيه، وان كان يعدها قيودا قد تعيق ـ في بعض الاحيان ــ تعبيره الشعري، ويمكن ان ترجع فكرة الرفض الى انه شاعر يعيش في الماضي اكثر منه في الحاضر، وانتسابه الى الاجداد والاباء اكثر من انتسابه الى اللحظة التي يحيا فيها، كل هذا جعله يعتمد تلك الايقاعات المألوفة عند القدماء وجعلها الاساس الذي يسير عليه في الشعر.

ومن جراء ذلك فقد دعا الى ان يكون التجديد في المعاني والموضوعات ضمن الاطار الموسيقي الموروث، يقول:

| | |
|---|---|
| يسعـــون ((للتجديـــد)) فـــي اشعـــــــارهم | واذا همـــــو منـــــه ببـــــاب موصـــــد |
| متجـــــدد شعـــــري الجميـــــل، فانّمـــــا | شعـــــري وليـــــد شعـــــوري المتجـــدد [١٠] |

---

(1) ينظر : العروض والقافية : د. عبد الرحمن السيد : ٥.
(2) ينظر : اللغة الشعرية : محمد رضا مبارك :١٧٧.
(3) على المحك :٤٤.
(4) ينظر : عضوية الموسيقى في النص الشعري : د. عبد الفتاح صالح : ٣٨ .
(5) الرمز والرمزية في الادب العربي : ٤٧٥.
(6) ينظر: اللغة والمجتمع : د. محمد سعران : ٦٩ .
(7) في البنية الايقاعية للشعر العربي : د. كمال ابو ديب : ٢٣٠.
(8) المتخيل الشعري : د. محمد صابر عيد :٢٧.
(9) قضايا الشعر المعاصر: ٢٥٥.
(10) المجموعة الكاملة : ٤٥٠ .

فمعيار الجديد عنده يمكن في الابداع والتجاوز الذي يغوص الى اعماق النفس البشرية باسلوب متناه في الرقة والعذوبة، فان((للشعر نواحي عدة للجمال، اسرعها الى نفوسنا ما فيه من جرس الالفاظ، وانسجام في توالي المقاطع وتردد بعضها بعد قدر معين منها، وكل هذا هو ما نسميه بموسيقى الشعر))[١] .

لقد تنوعت الايقاعات الموسيقية في شعر الصافي بتنوع الاهتزازات العاطفية والمشاعر الداخلية التي تتحكم بها اللحظة الانفعالية من جراء ما يحس به من مظاهر الاغتراب والانفصال ومشاعر الخوف والفزع ،لان اساس الموسيقى نابع من تردد الايقاعات النغمية التي يختارها الشاعر بشكل يتوافق وحالته النفسية سواء اكانت طويلة ام قصيرة مما جعلها قريبة الى النفوس بحيث يحس بها الاخرون لكي يشاركوه العذاب والهم والالم.

## الوزن الشعـري :

لاشك ان كل عمل شعري هو ــ قبل كل شيء ــ سلسلة من الاصوات ينبعث عنها المعنى[٢]، ولكن تلك السلسلة لها تشكيل زماني خاص[٣] يختلف من حين لاخر، بما يفرض عليه الوزن بوصفه لغة تنظيم وتنسيق يقومان على التشابه والمغايرة للوحدات الايقاعية، وابراز فجوة حادة، لخلق مسافة للتوتر بين المكونات اللغوية في محيطها العادي خارج الشعر ووجودها داخله[٤]، بما يوائم انفعالات الشاعر وهزاته العاطفية التي تثيرها تجربته النفسية في اطار خاص يتراوح بين الحزن والفرح، مما ((يجعل الشعر اكثر عاطفية واقوى في اثارة الانفعال))[٥] بحيث يتلاءم مع نفس الشاعر من خلال تلك الايقاعات الساحرة والانغام المتناسقة وتفاعلها التعبيري النابع من طبيعة العمل الشعري . فالوزن بالرغم من كونه صورة مجردة الا انه يحمل دلالة شعورية عامة، يترك للكلمات التي تأتي بعده توضيح تلك الدلالة[٦].

لقد آمن الصافي بقدرة الاوزان الشعرية في استيعاب حالة الانفصال والشعور بعدم المغزى من وجوده في هذا العالم، بما تضفيه عليه من الايقاعات المنظمة، والانغام الشجية التي تحمل على عاتقها مهمة ايصال تجربته الشعورية الى الاخرين.

فجاء نظمه في بحور الشعر المتنوعة مع فارق النسبة، ابتدأها بالبحر الطويل الذي كان له النصيب الاعظم في التعبير عن حالة الاغتراب والشعور بعبثية الوجود، ثم تلاه البحر الوافر ثم البحر البسيط ... كما بينه الجدول الاتي:

| البحر | عدد الابيات |
|---|---|
| الطويل | ٧١٥ |
| الوافر | ٤٣١ |
| البسيط | ٤٠٣ |
| الكامل | ٣٥٢ |
| الرجز | ٣٤٢ |
| المتقارب | ٣٠٢ |
| السريع | ٢٥٥ |
| الخفيف | ٢٣٦ |
| المنسرح | ١٨٢ |
| الرمل | ١٥٦ |
| المديد | ١٢٤ |
| المجتث | ١١٤ |
| المتدارك | ٣ |

(1) موسيقى الشعر : د. ابراهيم انيس : ٨ ـ ٩.
(2) ينظر : نظرية الادب : ٢٠٥.
(3) ينظر : التفسير النفسي للادب : ٥٩.
(4) ينظر : في الشعرية : د. كمال ابو ديب : ٨٩ .
(5) قضية الشعر الجديد : د. محمد النويهي: ٣١.
(6) ينظر : التفسير النفسي للادب : ٣٣.

| المقتضب | ٢ |
| --- | --- |
| | |

ان ورود البحر الطويل في المرتبة الاولى ليس بالامر الغريب، فليس((بين بحور الشعر ما يضارعه في نسبة شيوعه فقد جاء ما يقرب من ثلث الشعر العربي القديم من هذا الوزن))[١] حتى اطلقت عليه تسمية((بحر العمق))[٢] لما يتضمنه ذلك البحر من استيعاب لكل انفعالات الشاعر وحالاته النفسية المختلفة.

وعليه، فان هذا الامر انعكس على الصافي الذي وجد فيه تعبيرا عن حالة الجزع واليأس التي يعيشها في حياته، ولكنه لا يرتبط بالقيمة الكتلية التي يحملها ذلك البحر من خلال تفعيلاته الثمانية بقدر ما يحمله من حيوية داخلية تتمثل بالمعاني والافكار والرؤى التي يطمح الشاعر في ايصالها الى المتلقين، يقول:

بـــــدربي عراقيـــــل مـــــن النـــــاس القيـــــت
فاخـــــشى علـــــى رجلـــــي اذا ســـــرت تكـــــسر
فهـــــل مـــــن جنـــــاح كـــــي اطيـــــر واعتلـــــي
فـــــلا الرجـــــل او عينـــــي بهـــــم تتعثـــــر [٣]

على ما يبدو ان الشاعر تعمد استعمال ذلك البحر بما ينسجم والدلالة الاغترابية بحيث يساهم في نقل كل الاجواء النفسية بطريقة مؤثرة لتحقيق تعادل بين الجانب اللغوي (الوزني) من جهة والجانب المعنوي (المجرد) من جهة اخرى عن طريق التفاعل القوي بينهما ليصل بالنتيجة الى تشكيل العمل الفني بطبيعته الايقاعية النهائية[٤].

ولا يقف الامر عند هذا البحر فقط، بل يشمله بحورا اخرى ــ كما مبين سابقا ــ كالبحر الوافر، كما في قوله:

ســـموت عـــن الـــورى والـــنفس حتـــى رأيـــت عيـــوبهم وعيـــوب نفـــسي
فـــصرت كأنمـــا اصبحـــت غيـــري وصـــرت كـــأن حـــسي غيـــر حـــسي [٥]

والبحر البسيط ، كقوله:

اهـــوى البكـــاء ولا ادري لـــه سبـــبا فليجـــر د معـــي طليقـــا اينمـــا ذهبـــا
كـــأنّ نفـــسي مـــن الدنيـــا قـــد امتـــلأت دمعـــا يفتـــش عـــن مجـــرى لينسكبـــا [٦]

(1) موسيقى الشعر : ٦٩.
(2) المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها : د. عبد الله الطيب المجذوب : ١: ٤٧٤.
(3)هواجس : ٢٥.
(4) ينظر : في البنية الايقاعية للشعر: ٣٥٣.
(5) الاغوار : ٢٦.
(6) شرر : ١٥٠.

فالبحر الشعري عنده يتحول من مجرد قالب خارجي الى جزء لا يتجزأ من التجربة الشعورية من خلال ((التعبير والتلقي للشحنات الانفعالية التي هي مجال العمل الشعري))[1] التي تتداخل فيه الاصوات وتتمازج فيما بينها لتشكل اللحن الموسيقي الذي لا يأتي الا من خلال ترتيب محدد يتوافق وحالته النفسية وبالتالي انعكاس ذلك على المتلقي بما يخلفه من شعور حاد وتأثير من جراء ذلك الارتباط.

وهذا ما جاءت به البحر المجزوءة ايضا بحيث تتلاءم وشدة الانفعال النفسي ساعة وقوع الحدث[2]، وان كانت بنسب اقل، وعلى النحو الاتي:

| البحر المجزوء | عدد الابيات |
| --- | --- |
| مجزوء الرمل | ١٥٤ |
| مجزوء الكامل | ١١٣ |
| مجزوء البسيط | ٩٠ |
| مجزوء الرجز | ٦٢ |
| مجزوء الخفيف | ٤٠ |
| مجزوء الوافر | ٢٩ |

فتلك الاوزان الشعرية المجزوءة تتميز بطابع السرعة الذي يوائم الحالة الانية التي يمر بها الشاعر، ومن ذلك قوله من مجزوء الرمل:

انـــــا فـــــي العـــــالم احيـــــا كنقـــــيض فـــــي نقـــــيض
انـــــا اسمـــــو وارى العـــــ (م) ـــــالم يهـــــوي للحـــضيـــض [3]

فلقد تحول الوزن الشعري ـ في البيتين السابقين ـ الى دلالة حية تنطق بما يدور في خلد الشاعر وايصالها الى الاخرين، ثم اضاف اليها التدوير في البيت الثاني الذي جعل منه وسيلة لبث الزفرات والاهات التي تبرز كل الجوانب الانفعالية والنفسية للشاعر بشكل مستمر، بحيث تتدفق فيها المعاني والافكار التي جعل من تجزئة البيت الشعري امرا يسيء الى الفكرة الاساسية التي قام عليها[4].

ومن المجزوءات الاخرى التي وردت في شعره مجزوء الكامل، يقول:

للبحـــــر اذهـــــب بـــــاكرا ارنـــــو لـــــه واســـــلم
كالطفـــــل يـــــذهب مـــــصبحا وعلـــــى ابيـــــه يـــــسلم
انـــــا مـــــوجة مـــن مـــــوجه وكمـــــوجه اترنـــــم [5]

ومنه ايضا مجزوء الرجز، يقول:

اواه مـــــن غـــــدر الزمـــــان هـــــو كالانـــــام علـــــي جـــــاني
او بعـــــدما اصبحـــــت انقـــــاضا ازحـــــزح عـــــن مكـــــاني [6]

وثمة امر لابد من التطرق اليه وهو علاقة الاوزان الشعرية بالمعاني فـ ((ان الوزن ليس مجرد قالب تصب فيه التجربة، او وعاء يحتوي الغرض، وانما هو بعد من ابعاد الحركة الانية لفعل التعبير الشعري ذاته، في محاولته خلق معنى لا ينفصل فيه المسموع عن المفهوم))[7] ومن دونه فان((لغة الشعر تنحط تدريجيا الى ما ليس بلغة شعر))[8]، واي تغيير فيه يتبعه تغيير في طبيعة التجربة الشعورية وتأثيرها في المتلقي، فتلك الاوزان لا تتبع الاغراض من حيث المبدأ بقدر ما تكون نابعة من الحالة الانفعالية التي يحس بها الشاعر ودرجة توتره حين العملية الابداعية، بل ان اللحظة الشعورية هي التي تتحكم في اختيار البحر الذي تجده ملائما ضمن الاطار النفسي الذي يكون خاضعا اثناء عملية الخلق، والا فقد كان اغنى بحر واحد لكل الحالات المختلفة[9].

(1) لغة الشعر العربي الحديث : د. السعيد الورقي : ٢٠٩.
(2) ينظر : موسيقى الشعر : ١٧٩.
(3) هواجس : ٣٠٥.
(4) ينظر: قضايا الشعر المعاصر: ٩١.
(5) شرر : ١٧١.
(6) المجموعة الكاملة : ٧٠ .
(7) مفهوم الشعر : د. جابر احمد عصفور : ٤١٢.
(8) قواعد النقد الادبي : ٤٤ .
(9) ينظر: المرشد لفهم اشعار العرب : ١: ٧٤.

ان اختيار الاوزان بالنسبة للصافي لم يكن اعتباطا، بل جاء انعكاسا لحالات نفسية وانفعالات آنية وذبذبات عاطفية ازاء ما يحيط به من واقع مزيف يزينه الغش والخداع في اقامة الصلات المختلفة بين البشر، فتثور مكامن نفسه ويبثها شعرا ينضوي تحت وزن من الاوزان يكون ملائما وحالته الشعورية خلال التجربة، ومن مثل ذلك قوله من بحر البسيط:

مـا اجمـل الكـون لـو لـم يحتـضن بـشرا ... لـولاه كنـت بـه كـالوحش مـسرورا
مـا لـي مـن النـاس نفـع غيـر انّهـم ... ان يكثـروا حجبـوا عـن عينـي النـورا [1]

وما جاء من بحر المتقارب، قوله:

فـررت الـى القفـر مـن بلـدة ... علـى زغـل زرعهـا نابـت
عـدوي بهـا كاشـر ضـاحك ... وخلـي بهـا حاسـد ماقـت
فمـا اسعـد النفـس فـي وحـدة ... انيـسي بهـا الجبـل الـصامت [2]

وكذا الحال مع بحر المديد الذي جاء تعبيرا عن حالة توتر عميق انتابت الشاعر من جراء الشعور بالبعد والانفصام عن البشر، ليختار من الحيوان اهلا ود لو عاش معه، يقول:

هـل جنـاح بـه اطيـر، فـانّي ... كيفمـا سـرت بـالورى اتـصادم
لـم نطـق صـد بعـضنا فوقفنـا ... فـي طريـق موحـد نتـزاحم
انـا روح فمـا اصـد جـسوما ... مـن صـخور، فـلا شـعور ولا دم
انـا لـو لـم اكـن بنفسـي عالـم ... لـم يقـف كلـه بـوجهي، العالـم [3]

ما جاء ايضا قوله من بحر المجتث:

باتـت لهـدم كيـاني ... معـاول الـدهر تتـرى
مـا يهـدم الـدهر منـي ... لـلارض يـسقط شـعرا
كـأنّ نفـسي شـعر ... مبلـور صـيغ قـصرا
يهـوي علـى هـادميه ... نـاسا، وعـصـرا ودهـرا [4]

ان تنوع البحر الشعرية بهذا الشكل((يمثل استجابة طبيعية لدوافعه الداخلية وحركة الذوات المتموجة لاستكناه حقائق الموجودات والتفاعل معها))[5]،لان الذي يختار الوزن الشعري هو((انفعال الشاعر نفسه، فعندما تثور في نفس الشاعر عاطفة جياشة يلجأ الى الوزن او الى الموسيقى، لانها اقرب الوسائل للتعبير عن العواطف المشبوبة، ولانها هي الاخرى بدورها اكثر الوسائل قدرة على تبليغ العاطفة واثارتها عند القارئ والسامع))[6] .

فالصافي لم يقتصر في شعره على بحور معينة، لا بل نوع من استخدامات تلك البحر بما وجده ملائما حسب ما تقتضيه التجربة الشعرية والغرض الشعري الذي يبرز الجو النفسي المؤلم الذي يعيشه بما فيه من حيرة وقلق وكآبة.

## القافيـــة :

لما كان للوزن تلك الاهمية البالغة في تكوين الدلالات المعنوية والشعرية التي تضرب بجذورها في اعماق العقل الباطن لاي انسان من خلال اتساق الاصوات المختلفة في ايقاعات معينة بحيث تشد الانتباه بما تثيره من الصور والعواطف التي تحاكي القلب، فان للقافية ايضا تلك الاهمية باعتبارها شريكة للوزن[7]، بما توحيه من المعنى الجميل الذي يحور الفكرة الشعرية الى ما هو اجمل من الاصل[8]، اذ انها تهيمن على البناء الهارموني

---

(1) اغوار : ١٤٨.
(2) هواجس : ١٢٨.
(3) م . ن : ٣٢٤.
(4) هواجس : ٥٣.
(5) لغة الشعر في هاشميات الكميت : رزاق عبد الامير : ١٤٦ .
(6) قضايا النقد الادبي المعاصر: د. محمد زكي العشماوي : ٢٤٧ .
(7) العمدة في محاسن الشعر، وادابه، ونقده : ابي علي بن رشيق القيرواني، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد: ١: ١٥١.
(8) ينظر : من التقطيع الشعري والقافية: د. صفاء خلوصي: ٢٢٢

للقصيدة فتلتحم اجزائها بعضها ببعض من خلال تردد ثابت يتكرر في اواخر الابيات[1] مما يزيدها متعة وجمالا،لان السامع يستمتع بتلك الاوزان المتكررة، فهي بمثابة الفواصل الموسيقية التي يتوقع ترددها، وذلك التكرار هو الجزء الهام من الموسيقى الشعرية[2].

لذا جاءت عناية الصافي بالقافية بصفتها تشكل عضوا حيويا يربط اجزاء البيت الشعر بما تضفيه عليه من قيمة دلالية وصوتية ذات بعد خاص ليخاطب الاحساس الداخلي بما تتركه من شحنات عاطفية تحمل تأثيرات عميقة بحيث يحس بها القارئ لا شعوريا، يقول:

انظر الى النهر فيه الضوء منعكس تجد به الماء فيه النار تأتلق
كأنّما الذهب الابريز صبّ به او سال يرقص في امواجه الشفق
والماء في النهر مرآة قد انبسطت يرى بها وجهه في وجهها الافق [3]

فالمعروف ان القاف من الحروف التي تحتاج الى جهد عضلي كبير الا انه اضاف للقافية تناغما صوتيا يتلاقى والانفعال النفسي الذي يبدو واضحا وهو ينقل تلك الصورة الرائعة للنهر، وهو ما يمكن ان يسمى بـ ((الكمال المطلق للموسيقى الشعرية))[4]، وهذا ما اشاع جوا من التلاحم بين الشاعر واختياره للقافية على حد سواء، يقول ايضا:

من الناس ابقى ما حييت بوحشة يفرقنا كون ودار ومذهب
من الناس ما احتاج الا لسامع لبيب يعي شعري قليلا ويذهب [5]

وبالتأكيد فان الذي يضفي تلك الرقة والعذوبة على البيت الشعري ليست القافية حسب، بل حرف الروي الذي يستكمل الشاعر من خلاله غايته، فهو يحرك في النفس ما لا تستطيع العناصر الاخرى تحريكه ((حيث يؤدي الجرس نفسه معنى الكلمة))[6] لكونه يعبر عن انفعالات خفية واهتزازات عاطفية ليشرك بها المتلقي في التجربة الشعورية وسبر اغوارها، وقد جاء حرف الروي في شعره من حيث العدد على النحو الاتي:

| حرف الروي | عدد الابيات التي نظمت به |
|---|---|
| الراء | ٩٧٤ |
| الدال | ٣٦٢ |
| اللام | ٣٥٤ |
| الميم | ٣٣٣ |
| النون | ٣١١ |
| التاء | ٢٨٥ |
| الباء | ٢٠٩ |
| الهمزة | ١٩٥ |
| السين | ١٥٦ |
| القاف | ١٤١ |
| الياء | ١٣٦ |
| الهاء | ١٢٧ |
| الحاء | ٩٦ |
| العين | ٦٩ |
| الجيم | ٥٦ |
| الكاف | ٥٥ |
| الالف | ٤٧ |

(1) ينظر : موسيقى الشعر العربي : د. شكري محمد عياد :٩٨ .
(2) ينظر : موسيقى الشعر: ٢٧٣.
(3) الامواج : ٢٦١ ـ ٢٦٢.
(4) موسيقى الشعر : ٤٣ .
(5) هواجس : ٥١ .
(6) الشعر والتجربة : ٢٤ .

| | |
|---|---|
| الفاء | ٢٦ |
| الضاد | ١٦ |
| الطاء | ١٣ |
| الشين | ٩ |
| الواو | ٨ |
| الصاد | ٧ |
| الزاي | ٢ |
| الخاء | ٢ |

يتضح من خلال الكشف ان الصافي نظم قوافيه على خمسة وعشرين حرفا ولكنه غلّب احرفا معينة بحيث كانت لها السيادة، و منها حرف الراء والدال واللام والميم ... والموضوع اكبر من ان يكون اختيار حرف من الحروف او الاتفاق في مخارج الاصوات او اختلافها، و انما يتعلق بالحالة النفسية للشاعر و ما يمنحه للنص الشعري من علاقات جديدة للتعريف بمدى ما يعاني منه، من مثل قوله:

حجبــت نفــسي عــن الانــام فمــا ابــصر كفــؤا القــي لــه نظــري
لــو تعــرف الشمــس مــن تشع لهــم مــا طلعــت مــرة علــى البشــر [١]

فالراء- بطبيعته- حرف ذلق لثوي فضلا عن انه مجهور شديد[٢]، جاء هنا تعبيرا عن دلالة نفسية ومعنوية بما يفرضه عليه جو المقطوعة لتحول بذلك من مجرد حرف الى تعبير شعوري يساعد في بث ألم الشاعر والجهر بحزنه الشديد.

وما يلفت النظر الى ان الصافي اعتمد (الكسرة) في قصائده، اذ بلغ عدد الابيات المكسورة (٢٠٥٣) حيث حالة الوجع والانكسار النفسي الذي يسيطر عليه في حالات الغضب والثورة والتمرد[٣]، يقول:

كلمــا زاد للانــام اقترابــي زاد عــنهم تباعــدي واغترابــي
اذ بــدا كنهنــا لــدينا جليــا فبــدا الفــرق داعيــا لاجتنــاب
خــدعتنا قشــورنا فاجتمعنــا وافتــرقنا لــدى ظهــور اللبــاب [٤]

فالقوافي (اغترابي، لاجتناب، ، اللباب) جاءت مكسورة الى حد الاشباع مما اضاف نغما موسيقيا عذبا، هذا فضلا عن استخدام حرف المد (الالف) الذي زاد من حسن القافية وجمالها.

وربما جاء الشاعر- في بعض الاحيان – بقواف تحمل طابع الثقل والنفور الذي يشوه البيت الشعري وموسيقاه، ككلمة (جوقتين) يقول:

دمّــر ماؤهــا علــى الــدر يهــوي كمرايــا تكــسّرت مــن لجــين
سكــر الصحــب بالمــدام وانّــي نلــت بالمــاء والــهوا سكــرتين
فحفيــف الغصــون شــاب خريــرال (م) مــاء لحنــا فألفــا جــوقتين [٥]

اما عيوب القافية فلا وجود لها في شعره الذي كان منصبا على بث الهموم والالام ولواعج السأم والاغتراب.

وبعد كل ما تقدم ، فان اختيار القافية جاء متعلقا بتوضيح التجربة النفسية والشعورية التي تحاكي المشاعر والاحاسيس في عالم العذاب والمعاناة لتدخل في صميم عملية الخلق الشعري .

---

(1) هواجس : ٢٤٦.
(2) ينظر: الاصوات اللغوية : د. ابراهيم انيس : ٥٦.
(3) ينظر: تطور الشعر العربي في العراق: ٥٠٩، ينظر: المرشد الى فهم اشعار العرب : ١: ٧٢، ينظر: موسيقى الشعر العربي : ١١٢ .
(4) اللفحات: ١٧١.
(5) التيار: ٧٠.

# المبحث الثالث

## الصورة

يتمثل الشعر في ان اساسه الايحاء[١]، وهو لا يتم الا من خلال الصورة الفنية لكونها تستغل((الى ابعد حدود الاستغلال ضلال المعاني وما توحي به العبارات مع معناها من ذكريات وتجارب ذات اثر قوي في النفوس، وما استقر بها من عاطفة))[٢].

وطبقا لهذا التصور، فان للصورة ـ بشكل عام ـ دلالات معنوية ونفسية يحملها السياق الشعري الذي يجمع فيه الشاعر جزيئات عمله الابداعي، ليبلغ درجة التأثير، من اجل خلق الانفعال الذي يكشف ابعاد تجربته الوجدانية وهذا لا يتم الا من خلال الخيال ((الذي يساعد على تشكيل الواقع الخارجي تشكيلا جديدا في العمل الادبي))[٣].

فلا يمكن تصور الصورة منفصلة عن الخيال او العاطفة والا فقدت قوتها وتأثيرها في تمييز الاشياء وتحليلها الى ابعد المديات، فـ ((قوة الصورة الشعرية تكمن في اثارة عواطفنا واستجاباتنا للعاطفة الشعرية))[٤].

والمعروف ان الصورة كمفهوم استخدم في النقد العربي القديم والحديث على السواء، فهي ((تركيبية عقلية عاطفية في لحظة من الزمن))[٥] تتشكل نتيجة لتفاعل قوتين في الخلق الشعري الاولى واعية والاخرى لا واعية لتحقيق استجابة تؤثر في المتلقي فكرا وشعورا.

وعليه، فان الشاعر يلجأ الى تحطيم كل العلاقات الظاهرة والمألوفة من عناصر الوجود واشياؤه لتتحول بين يديه الى كلمات وادوات من اجل بناء عالمه المثالي وفق رؤيته الخاصة [٦].

والصافي ـ كاي شاعرـ تحتل الصورة موقعا متميزا في شعره حيث الحركة والحيوية النابعة من اعماق ذاته التي تعكس ابعاد وجوده النفسي و العاطفي بما يهيء لها من انسجام ونسق خاص، فهي تؤطر مشاعره واحاسيسه بما تتركه من تأثير سحري وايحاء رائع يجعل القارئ يتمتع بقراءتها ويتلذذ بمعانيها وعناصرها الجميلة((فهو ذاتي الى ابعد حدود الذاتية وموضوعي الى ابعد حدود الموضوعية))[٧]، يقول:

ففـي كـل بيـت لـي حيـاة وصـورة ... وتبـصر فـي ذاتـي جميـع مزايـاه
ولا انتـهي بالشعـر الا اذا انتهـت ... لـي الـروح اذ اعتـاض دنيـا بدنيـاه [٨]

وما يلفت النظر الى ان الشاعر يكثر من التشبيهات في صوره التي يجد فيها محاولة لتقريب افكاره ورؤاه وايصالها الى الاخرين مما يثير فيهم نوعا من التأمل والاستجابة، يقول:

احـس فـي النفـس انقبـاضا خانقـا ... حتـى كـأنّ الكـون سجـن ضنـك [٩]

ويقول ايضا:

مـا للحقـارة فـي بنـي الانـسان ... مـلء الزمـان ومـلء كـل مكـان
بالنـاس لـم ارفـق ودادا فيـهم ... رفقـي بهـم كالرفـق بالحيـوان [١٠]

ولكن هذا لا يعني ان لا تجد في شعره بعض المجازات والاستعارات التي تتحول الى رموز توحي بموقف الشاعر من الوجود واجزائه بحيث تعبر عن حقيقة نفسية وشعورية في آن واحد، يقول:

اذا عـوى كلـب فـي درب مـررت بـه ... فاهـرب لـدرب سـواه، واجتنـب وحـد
وان رأيـت جميـع الطـرق مفعمـة ... مـن العـواء، فقـم واهـرب مـن البلـد[١١]

ويقول ايضا:

اقـول لـدهر فـي خنـاقي ممـسك ... كفـاك فـان الـنفس همـت بازهـاق
وان رمـت تذويـب الفـؤاد قصـائدا ... بلـغت المنـى منـه، فابـق علـى البـاقي [١٢]

---

(1) ينظر : تهميد في النقد الادبي : ١١٨، ينظر : اللغة الشاعرة: عباس محمود العقاد: ٤٠ .
(2) من اسرار اللغة : د. ابراهيم انيس : ٣٣٦.
(3) في النقد الادبي : د. كمال نشات: ٢٨.
(4) الصورة الشعرية : سيسل دي لويس : د. حمد د. احمد نصيف الجنابي واخرين : ٣٣
(5) التفسير النفسي للادب : ٦٣.
(6) ينظر : عن بناء القصيدة العربية الحديثة : ٩.
(7) اللفحات : ٣٣٠.
(8) الشلال : ٢٧٥.
(9) هواجس : ١٣٧.
(10) اللفحات : ٢٥١.
(11) الشلال : ٢٥٣.
(12) هواجس : ٢٣.

وعلى كل حال فان الصورة في شعره ليست شكلا خارجيا يقوم على تشبيهات او استعارات تتعلق بظواهر الاشياء بقدر ما هي امر خلق فني تحاكي الصميم الانساني.
ومن خلال دراسة الصورة الفنية في شعر الصافي ولا سيما الاغترابية منها جاءت متميزة ببعض السمات، وكالاتي:

## ١- العفوية و البساطة :

ان من اهم السمات التي تميزت بها صور الصافي هي العفوية والبساطة التي جعلتها منفردة بحيث تاخذ بمجامع القلوب وتستأثر بها لكونها ترتبط بالحياة ارتباطا صميميا وبالواقع المرفوض الذي يتجاوزه باستمرار... فحقيقة الشعر عنده اعتراف وبوح ذاتي[١].
ولعل اختياره لذلك الاتجاه من الصور يرجع الى بساطة اسلوبه ووضوح لغته وسهولة معانيه ـ كما تقدم [٢] ـ فـ ((كلما اقتربت اللغة من بدائيتها كلما كانت تصويرية))[٣]، ومن تلك الصور التي التزمها الشاعر مبدأ في شعره، قوله:

هـــوام فـــي طريقـــي عارضـــات     علـــى خطـــأ تـــسمى بالانـــام
سامشـــي راضيـــا باللـــدغ كيـــلا     اضيـــع الوقـــت فـــي مـــرأى الهـــوام [٤]

فـ (هوام) من احقر المخلوقات واتفهها، ولكنها هنا مثلت حقيقة الانسان وجوهره ـ في نظر الشاعر ـ وشعوره القائم على الكره والبغض لكل البشر في صورة حسية واضحة دلت على الحالة الشعورية المؤلمة التي يحس بها ومما جاء تعبيرا عن ذلك الحقد والبغض، قوله:

هـــم النـــاس للغابـــات فـــيهم بقيـــة     فـــلا تغتـــرر مـــنهم بوجـــه بـــشوش
تخيـب متـى عاشـــرتهم كملائـــك     وتنجـــح ان عاشـــرتهم كوحـــوش [٥]

يلاحظ في البيتين السابقين ان الشاعر يصل الى اقصى درجات الانفعال التي تحول ذلك التعبير الشعري البسيط الى صورتين متناقضتين الاولى انسانية لكونهم بشر تنطوي على نفوس وحوش وهي الصورة الحيوانية الثانية التي تبرز وضعه المتأزم وهو يعيش بينها.
وثمة صور اخرى يرسمها الشاعر للتخفيف عن بعض الامه واوجاعه الكثيرة ، ومنها قوله :

تحلـو مـع الـنفس فـي الليـل المناجـاة     فلـي اذا نـام بـاقي الخلـق يقظـات
في هـــدأة الليـل تحـلو وحـدتي سحـرا     فالكـون لـي كلـه، والكـل امـوات [٦]

فهذه المقطوعة الرائعة التي تبرز حالة الشاعر النفسية ورغبته الجامحة في الوحدة والانعزال، ليتخذ من ستار الليل المبهم زاوية يعيش فيها باحلامه ورؤاه الغريبة، بعيدا عن كل المنغصات التي تعيق ذلك الجو النفسي التي تتعادل فيه روح الشاعر مع المنظورات المختلفة في ترابط شعوري موحد، وهذه الصورة كثيرا ما تلمح في شعر الصافي حيث الرغبة في بناء عالم مثالي لا يعيش فيه الا هو فضلا عن الكائنات الاخرى باستثناء البشر، ومن مثل ذلك قوله:

احـب البحـر، لـي فيـه انعتـاق     مـن الالام كثـرا، لا تطـاق
كـأنّ البحـر لـي سجـن كبيـر     ولـي فـي البحـر مـن سجـني، انطـلاق [٧]

فالانطلاق الذي يصوره الشاعر هو انطلاق البحر نفسه الذي لا ينتهي ابدا، وهي حالة لا بأس بها، اراد الشاعر من خلالها التخلص من كل الحزن والاكتئاب في صورة البحر.
ولكن قد يبالغ الصافي في استخدام البساطة والوضوح في التعبير لتتحول بذلك الصورة الى اشبه ما يكون بنثر موزون خال من اي احساس او شعور الامر الذي لا يترك للقارئ مجالا للتأمل والتفكير ومن مثل ذلك ما جاء في قوله:

---

(1) ينظر : الشعر العراقي، مرحلة وتطور : ١٩٨٧: ١٠٨.
(2) ينظر : مبحث اللغة من هذا الفصل .
(3) الشعر والتجربة : ٦١ .
(4) هواجس : ٣١.
(5) م . ن : ٢٤١.
(6) الشلال : ٣١٤.
(7) م . ن : ٢٦٣.

النهـــر يخطـــب بـــالخرير، فانـــصتوا | واذا تكلمـــــت الطبيعـــــة فاصـــــمتوا
الـــريح تعـــصف والبلابـــل غـــردت | والـــسحر ضـــج، وانـــتم لـــم تـــسكتوا
هـــذي الطبيعـــــة منكـــم مغتـــــاظة | فعليـــكم تـــــدعو وفيـــكم تـــشمـــت [1]

فاين هي الشحنات العاطفية التي تكشف الطاقات الكامنة في المفردات المكونة للصورة او الحيوية المنبثقة منها. لقد تناسى الصافي ان ولادة اي صورة لا تتم الا من خلال جهد الشاعر وفق انتقائية خاصة تستقطب المتلقي وتصهره في صميم تجربته الانفعالية، وان كانت غاية الشاعر الوصول الى تلك((البساطة المجردة للنص خداعة للغاية فهي تخفي في ثناياها ادق مظاهر الاسلوب واكثر الافكار فجائية))[2].

وعموما، فان ورود مثل هذه الاشعار يمكن ان يكون تعبيرا عن موقف آني او حالة معينة تركت تأثيرها البالغ في نفسه فجاء تعبيره بهذا الجفاف والبرودة.

## ٢- التجسيد و التشخيص :

ان نظرة الشاعر الى الاشياء بوصفها عالما خارجيا، تتغير تبعا لتغيير الحالة الوجدانية التي تخضع لمشاعره واحاسيسه الخاصة، وبهذا يكون التصور الشعري حركة معقدة تنتظمها هزات نفسية قادرة على منح تلك الاشياء الحركة المطلوبة، تتحول فيها المحسوسات الى معنويات والمعنويات الى محسوسات[3].

وقد يسمو التصور الشعري الى الحد الذي يخلع الشاعر صفات الانسانية عليه، فيتحرك ويضحك ويغضب ... وسوى ذلك من العواطف الانسانية المختلفة.

ولعل مثل هذا الامر يرجع الى مدى تغلغل تلك الاشياء في نفس الشاعر من جهة ، والتصاق الشاعر بها من جهة اخرى حيث تتحول الى هدف يشاركه مشاعره وانفعالاته.

وينحصر هذا الاتجاه في نوعين من الاساليب، التجسيد ((الذي يعني تقديم المعنى في جسد شيئي او نقل المعنى من نطاق المفاهيم الى المادية الحسية))[4]، والتشخيص ((الذي ترتفع فيه الاشياء الى مرتبة الانسان مستعيرة صفاته ومشاعره))[5]، وكلاهما من مميزات الصورة الفنية في شعرالصافي الذي حمل قدرا((من الشجاعة استطاع به ان يتحدى عصره بطريقته الخاصة، وان يجوب في مفازات غريبة غير مطروقة))[6] بما جاء به من صور تدل على عمق معاناته والامه، فمن التجسيد ما جاء في قوله:

انّمـــا الحـــزن لـــي صـــديق قـــديم | عـــاش فـــي مهجتـــي وعاشـــر فنـــي
ولقـــد مـــر بـي الســــرور كطيـــف | ضافنــــــي ليـــلة وســـافر عنـــي [7]

فـ (الحزن) يأتيه ملازما له كصورة صديق لا يفارقه ابدا في علاقة متشابكة لا تعرف الانفصام لتشير الى حالة من الضياع والاضطراب الذي يحس به الشاعر، ومثله ما جاء تجسيدا للحياة التي تحولت في شعره الى سجن مظلم يحاول محاصرته من كل واجهة، يقول:

يـــا لـــدنيا الـــنفس مـــا ارحبهـــا | انّمــــا الـــدنيا كـــسجن مظلـــم
لـــيَ مـــن نفســـي مـا يشبعنـــي | لا ارى العــــالم يكفـــي نهمـــي [8]

فصورة (الدنيا/ السجن) تشير الى حالة من الامتلاء المأساوي الذي يعيشه الشاعر في هذا العالم الضيق ومحاولة اللجوء الى النفس التي ربما انقذته من مخالب ذلك السجن، وهذا معناه ان الشاعر((يستخدم خياله لا ليهرب من الحقيقة، بل ليلتمس الحقيقة في ذلك الخيال، فالخيال والواقع كلاهما وسيلة لنقل ذلك الصراع الداخلي الذي يعاني منه))[9].

وتتجسد هذه النفس بشكل جلي في صورة البحر الذي طالما تردد في شعر الصافي، يقول:

---

(1) شرر : ٢٠٧.
(2)الافكار والاسلوب : ا.ف. تشيتشرين ، ترجمة: د. حياة شرارة : ٣٢.
(3) ينظر : رماد الشعر: ٢٣٢.
(4) الصورة الفنية في شعر ابي تمام : د. عبد القادر الرباعي : ١٦٨.
(5) م . ن : ١٦٩.
(6) الشعر العراقي الحديث، مرحلة وتطور: د. جلال الخياط : ١٩٧٠: ٧٨.
(7) الحان اللهيب : ١٢٤.
(8) هواجس : ٣٦٤.
(9) التفسير النفسي للدب: ٤٤.

انّ نفســـــي بحـــر، وفـــي بحـــر نفســـي     فـــوق مـــا ضـــمّ بحـــركم مـــن لآلـــي [1]

فـ ((الصورة الكاملة التي يبدعها الشاعر لا يستخلصها من الطبيعة وانما تنشأ من نفسه وتأتيه عن طريق الخيال)) [2] .

اما التشخيص فقد جاء بكثرة في شعر الصافي حيث تجده يخلع على الجماد صفات الانسنة التي تحوله الى كائن حي حيث الحركة والاحساس، فهو يناجي الردى ويحارب الدهر وينطق البحر، ومما جاء في شعره قوله :

اســير وظــل البــؤس يمــشي بجــانبي     كـــأني حليـــف للـــشقاء وذو رحـــم
تعلـــق بـــي حبـــا فهـــذا خيـــاله     يلـــوح على شكلي ويبدو على رسمي [3]

فلقد جعل للـ (بؤس) ظلا يلازمه في حله وترحاله وكأنه ذو رحم لا يستطيع التخلص منه ابدا، وهو تشخيص يحمل الكثير من الدلالات الغامضة التي تعبر عن حياة الشاعر القائمة على اليأس والعجز ، ومثله ايضا قوله :

كأنّـــا وهـــذا الـــدهر طفـــل ووالـــد     ظلـــوم يحـــب الـــضرب للطفـــل والعـــسفا
فيضـــربنا الفـــا ويبســـم مـــرة     فينسي ابتسام واحد ضربنا الفـــا [4]

فتشخيصه للدهر على هيئة الوالد الذي يتسلى بضرب اولاده مما اكسبه صفة الـ (ظلوم) التي تحمل دلالات الكثرة والمبالغة، وهي صورة قاتمة تنم عن ألم الشاعر وقنوطه وهو يعيش في عصر لم يعترف به وبغيره من الشعراء.

ومع ذلك فالشاعر لم يفتقد اللحظات المضيئة التي كان يتمتع في ظلها بقسط من السعادة الا انها كانت ومضات نادرة قياسا الى غمام البؤس والمرارة التي تغطي اغلب سماء حياته.

وتتمثل تلك الاشراقات التي كان الشاعر يغرم بها بالطبيعة التي عدها مهربا يلتجأ اليه في ازماته النفسية وكأنها عالمه الحقيقي الذي اجبر على تركه والعيش بين الناس، يقول:

انّـــي نظـــرت الـــى الانـــام يـــسودهم     جهـــل يحـــارب او همـــوم تنهـــك
ثـــم التفـــت الـــى الطبيعـــة باحثـــا     مـــا عنـــدها، فـــاذا الطبيعـــة تـضحـــك [5]

ويقول ايضا:

انـــا ان جلـــست الـــى الطبيعـــة مفـــردا     لـــم اخـــش مـــن ملـــك ومـــن احـــزان
الكائنـــــات جميعهـــــن خلائـــــق     يتحدثـــون لكـــن بالـــف لـــسان [6]

الطبيعة/ تضحك

الطبيعة/ الكائنات/ تتحدث

ان الاسقاطات النفسية ظاهرة في النصين الشعريين التي تتعدى حدود الوصف الحسي والشكل الخارجي لتخلق من الطبيعة وسائل نقل مناسبة لبث حالته النفسية تعبيرا عن حركة وجدانه المضطرب وتمثيلا للواقع المحاصر الذي يعيش فيه، ولتتحول الى صور انسانية فيها من الحركة والاحساس والجمال.

وهذا ينعكس على البحر الذي يعد مستودع اسراره ورفيق وحشته وغربته، يتبادل معه الزفرات ويشكي اليه الالام والاهات من دون ان تعيقه العوائق، يقول:

البحـــر يزحـــف غـــضبانا علـــى البـــر     ممـــا رأى فيـــه مـــن غـــدر ومـــن مكـــر
امـــا تـــرى الفـــم منـــه ، مزبـــدا غـــضبا     والمـــوج يعلـــو هجومـــا ، حـــاجز الـــصخر
كأنـــه الخيـــل فـــوق الخيـــل هاويـــة     مـــن سـرعة الزحـف، فـــي ميدانها تجـري
والبحـــر يبـــصق مـــن غـــيظ بـــه ، زبـــدا     فـــي وجـــه بـــر، عـــديم الخلـــق والطهـــر
يـــروم تطهيـــره ، والبحـــر اعجـــز عـــن     تطهيـــر مـــا فيـــه مـــن ادرانـــه الكثـــر
ان لـــم يطهـــره مـــات اليـــوم منتحـــرا     لليـــأس، يـصدم منـــه الجـسم بالـصخر [7]

---

(1) المجموعة الكاملة : ٢٤٤.
(2) قضايا الشعر المعاصر : ٥٣.
(3) الامواج : ٣٢.
(4) هواجس : ٧٨ - ٧٩.
(5) م . ن : ١٠٢.
(6) م . ن : ١١٨ .
(7) الشلال : ٧٥ - ٧٦ .

انها صورة رائعة رسمها الشاعر لذلك البحر المليء بالحركة والنشاط والذي يحمل من العنف ما يدفعه الى شن حرب ضروس تقضي على البر كله لتطهره من المكر والخبث والخيانة، فخيوله المسومة تتهاوى بعضها فوق بعض من (سرعة الزحف) ـ كما يقول ـ في اشارة منه الى حالة الخوف والفزع التي تتركها تلك الخيول في النفوس، بل انه يخلق من ذلك البحر انسانا يبصق على الارض احتقارا لها وعقابا على ما وجده من الادران والامراض المنتشرة بين جنباتها ... ولكنه يفشل، وتلك الحالة يتفق فيها الشاعر مع البحر الذي طالما حاول تغيير واقعه المريض لهذا تجده اليوم يصدم نفسه بالصخر الما ويأسا لذلك الفشل.

ان المتأمل في تلك النماذج والصور الشعرية التي يظهر فيها عنصرا التجسيد والتشخيص تجد ان الشاعر اعتمد على انفعاله الحاذق وتجربته النفسية في احداث هذين العنصرين، وهذا ما يعطي للصورة قيمة فنية عالية مستعينا في ذلك بالخيال الذي هو في حقيقة الامر ((المملكة التي تخلق وتبث الصورة الشعرية))(١).

## ٣ـ الرمز الادبي :

يعرف الرمز الادبي بانه((عمق او بعد من اعماق او ابعاد المعنى))(٢) وهو في حقيقة الامر التفات الى التجربة الانفعالية التي تسكن الشاعر لحظة الخلق الشعري، فيعبر عنها بلفظة معينة ترتبط بدلالات معنوية وشعورية بما يتسرب للنفس من وقع الاشياء وتأثيرها عليه.

فالرمز الادبي هو((ابن السياق))(٣)، الذي يجلو ابعاد ذات الشاعر بحيث يغور الى اعماق نفسه البعيدة ليستمد من مخزونها صورا تعبر عن حالته النفسية المضطربة، هدفها تحقيق نوع من التوازن بين علاقة الشاعر والانسان من جهة وعلاقة الشاعر والوجود من جهة اخرى فـ ((جوهر الانسان يكمن في عالمه الباطني))(٤) .

وبهذا فان الرمزالادبي يختلف عن الرموز الاخرى لانه في الحقيقة ((لا يقوم على العقل والادراك وانما على نظرة وجدانية حدسية))(٥) تولد نتيجة التوقد الانفعالي والنزوع الحلمي الى الانفصال عن العالم.

ان هذا المنحى تجده واضحا في شعر الصافي بما اضفاه من رموز ادبية خاصة استقاها من عناصر الحياة المختلفة تعبيرا عن حالة الانفصال والاغتراب التي يعيشها، كرمز (البشر، البلبل، العصفور، الاسود، الافاعي، العقارب، الزهور، المدينة، القرية، الخريف، الربيع، الليل، النهار، البحر، النهر ...) ، ولكن تلك الرموز حملت في دلالتها الخاصة طابعين مختلفين تراوح بين الرفض والقبول، يقول الشاعر:

غربتي في الحياة موت، ولكن ... في بلوغي بالموت داري، حياتي(٦)

الرمز، هنا، ابن السياق وجد تعبيرا عن تجربة شعورية خاصة استدعت حضور متناقضين (الحياة، الموت) وهما في حالة من الانخفاض والارتفاع في اشارة تدل على مدى التوتر الشديد الذي يعاني منه الشاعر، ليتحول بذلك الموت الى تجربة خصبة تثري شعوره بالحياة وترهف احساسه به .

ومثل هذه الرمزية الخاصة انعكست على المكان ايضا، يقول:

املّ كل مكان اذ احلّ به ... ولي بكل مكان زرته، وله
اعاف كل مكان زرته مللا ... لكن اذا عفته ابقى احن له (٧)

فالحركة الصراعية هنا، هي في الاصل جزء من حركة الذات التي جمعت بين الملل والوله من جهة، والملل والحنين من جهة اخرى، وهذا يعود الى نفسية الشاعر المتقلبة وانعكاسها على المكان الذي يقطنه فيجعله في حالة من الحب والكره الاني بحيث يرفض المكان وهو في حالة من الالتئام التام معه، وربما رجع هذا الامر الى احساسه بعدم الانسجام والالفة مع بعض ساكني ذلك المكان.

ان هذا التقابل بين الصور يتحكم به الرمز الادبي الذي يبرز بشكل جلي في صورة الحيوان وانعكاساتها على البشر، يقول:

لقد صار شغلي اليوم قتل عقارب ... كأنّ على نعلي لها القتل واجب
قواي بتقتيل العقارب تنتهي ... وما تنتهي بالقتل تلك العقارب (١)

---

(1) الصورة الشعرية : ٧٣.
(2) مقالات في الشعر الجاهلي : يوسف اليوسف : ٢٩٨.
(3) الصورة الادبية : د. مصطفى ناصف : ١٥٥.
(4) الرمزية الرومانتيكية في الشعر اللبناني : امية حمدان : ٢٤.
(5) رماد الشعر : ٢٤٩.
(6) الاغوار : ١٣٦.
(7) اشعة ملونة: ٤٠ ـ٤١.

ويقول:

انـــا مـــن زمـــرة البلابـــل ولكـــن طـــال اســـري ولـــم اجـــد لـــي فكاكـــا
قـص جنحـــي جـاني الفضـــا ورمـــاني فـــي قفـــار، اعاشـــر الاشواكـــــا [٢]

ان احداث الترابط الدلالي الذي يجمع بين متناقضين ظاهر في السياق، فالنص الاول يشير الى (العقارب) ليكوّن منها رمزا ثابتا ينتمي في اصله الى البشر لما يحملونه من صفات الوضاعة واللؤم، وهذه الصورة تعد من ابشع الصور الشعرية وان كانت تبرز حالة وجدانية خاصة توحي باستمرار العذاب والالم، فالصورة ((هـي العبارة الخارجية للحالـة الداخلية))[٣] . فـ (العقارب) ـ في نظر الشاعر ـ قوة خفية تطارده في كل مكان، بل انها تهيمن عليه فتشله عن الحركة.

اما النص الثاني فيوضح حقيقة تلك الرؤية، لانها تبرز الشاعر في صورة (البلبل) وهي دلالة رمزية تشير الى حالة من التضارب بينه وبين البشر (العقارب) التي تنطلق من كون البلبل (الشاعر) يقع في دائرة الحرية المغيبة التي ينتمي اليها الصافي في الاصل.

ان استدعاء للرمز الادبي جاء لضرورات نفسية وفنية اقتضتها طبيعة التجربة الشعرية وما توحيه من حيرة وكآبة وقلق لتخلق كيانا حيا يستمد عناصر تشكيله من الصور الداخلية وليس من الواقع الخارجي، فان ((الصورة الحقيقية لا تعني بالضرورة الصورة الصادقة والحقيقية على الواقع ولكنها تعني الصورة المقصورة بذاتها)) [٤].

(1) هواجس : ١٤٨.
(2) شرر : ٨٧.
(3) اصول النقد الادبي : احمد الشايب :٢٤١.
(4) الصورة الفنية معيارا فنيا : د. عبد الاله الصائغ : ٣٧١.

# المبحث الرابع

## البناء

لا ريب في ان تشكيل النص الشعري ليس مهارة فردية تتمثل في الفاظ تنقى وتراكيب ترصف حسب، وانما هو بناء جمالي ناهيك من جمال، لان ((غرض الشعر هو استثارة الروح في تأمل الجمال ... والشعر يعانى كلحظة جمالية لا كفكرة يستوعبها العقل بالتدريج))(١) بحيث تتآزر الاجزاء المختلفة في تصوير تلك اللحظة تصويرا يكون ادعى الى التأثير من خلال تحقيق اشكال بنيوية تتعرض الى مستوى اعمق من مستوى الدلالات الظاهرة، الغرض منها هو خلق بنية توازي بالضرورة بنية الدلالة(٢) .

وعلى هذا الاساس فان ((كل ما بداخل العمل الفني من افكار ومفاهيم وموسيقى يجب ان يتخلى عن طابعه الاساس الذي كان له قبل دخوله العمل الفني، وان ينصهر انصهارا تاما في ذا ت الفنان، وان يصبح بعد عملية الانصهار شيئا اخر جديدا، ياخذ فيه كل جزء شيئا من ذاته وطبيعته))(٣) ليتحول بذلك الى ((كل مكون من ظواهر متماسكة، يتوقف كل منها على ما عداه، ولا يمكنه ان يكون ما هو الا بفضل علاقته بما عداه))(٤) .

والواقع ان الاقتراب من هذا المفهوم، تجده واضحا في شعر الصافي الذي ضل محتفظا بالاطار الشكلي القديم الا انه اكتسب سمات جديدة تمثلت بالطاقات الشعورية العارمة والايحاءات الوفيرة التي منحته ترابطا عميقا لبناء شعره والتعبير عن تجربته الانفعالية الخاصة وهذا بالتالي انعكس على المنحى الذي اتخذه الشاعر اساسا في تقسيم شعره الى قصائد ومقطعات التي قد تصل الى البيت الواحد تبعا لحالته النفسية، فكانت على النحو الاتي:

| | |
|---|---|
| عدد القصائد | ١٩٢ |
| عدد القصائد | ٤١٨ |

تبين ان اعلى نسبة في شعر الصافي تحققها المقطعات وربما عاد ذلك الى طبيعة التجربة الاغترابية التي عاشها الشاعر وما يعانيه من مواقف اليأس وخيبة الامل وحالات الخوف والذعر والهلع، فحقيقة العمل الفني هو ((تصوير لموقف نفسي موحد او للحظة شعرية ذات مغزى))(٥) مما يحقق نماء نفسيا وامتلاء عضويا ينمان عن تجربة خلق عرفت طريقها الى التكامل بحيث تستوعب كل انفعالات الشاعر واحاسيسه لتصير بذلك كيانا متلاحما تتركز فيه الفكرة التي يطمح في ايصالها الى الاخرين.

فهو يحشد فيها الامه الذاتية التي تبرز الصراع في صورة لا تحتاج الى الكثير من التأمل، فذلك الصراع وحده هو الذي يمثل الحياة بالنسبة له، فـ ((الصافي شاعر، ولكنه شاعر على طريقته هو))(٦) .

وبهذا السياق المنسجم مع التجربة الانفعالية فان دراسة البناء الفني عند الشاعر جاءت في اتجاهين:

## ١- القصائد الشعرية الخالية من المقدمات:

لم يكن تبني الشاعر لهذا النوع من القصائد اعتباطا، وانما جاء انسجاما وطبيعة الموقف النفسي الذي يمر به في مراحل حياته المختلفة، فهي عنده تقوم اساسا على تداعي المشاعر والاحاسيس وتقلباتها المستمرة، ذلك لانه يتعامل مع القصيدة بما تمليه عليه لحظة القول التي تجعله يبدأها وينميها في موضوع واحد يعبر بالنهاية عن روحه المتشائمة التي تعيش في جو من الحزن والانكسار الروحي.

واللافت للنظر ان جميع هذه القصائد تدور في محور الشاعر والصراع مع الاخر هذا فضلا عن تناقضات الحياة المختلفة باعتبارها عناصر اساسية كونت قصائد الصافي بموضوعاتها المختلفة.

ومن الموضوعات التي شكلت تلك الوحدات الشعرية قوله في نفسه وهي قصيدة بلغت سبعة ابيات، يقول:

لا تــرض ســطح حيــاة الا التــذاذ بهــا ... كــن كالملائــك او عــش عيــشة الــدون
لا اســتطيع حيــاة المــوت مــع بــشر ... احيـــا مـــع الله او بـــين الـــشياطين
اذا اردت صــــعودا عــــاقني بــــشر ... وان نزلـــت اراهـــم حائـلا دونـــي (٧)

---

(1) الجمالية : ر.ف جونسون: ضمن سلسلة (موسوعة المصطلح النقدي) ، ترجمة: د. عبد الواحد لؤلؤة : ٢٤٧.
(2) ينظر : جدلية الخفاء والتجلي : كمال ابو ديب : ٦٤.
(3) فلسفة الجمال في الفكر المعاصر : د. محمد زكي العشماوي : ١١٩ .
(4) نظرية البنائية في النقد الادبي : د. صلاح فضل : ١٧٦.
(5) قضايا النقد الادبي والبلاغة : د. محمد زكي العشماوي : ٩١.
(6) مجددون ومجترون : مارون عبود :١٦٦.
(7) شرر : ٦٩.

فالنص في اطاره العام يجري وفق الشكل المعروف للقصيدة العربية غير ان الشاعر استطاع ان يتحدى عصره بتجربته الشعورية من خلال موضوعها الذي جاء باسلوب خاص ابتدأه بخطاب موجه الى الاخر في اشارة منه الى اشراك المتلقي في عملية خلقه الشعري باعتبارها يخوض في تجارب تخص الانسان بشكل او باخر، ثم ينتقل في الحديث عن نفسه التي تعيش حالة من الضياع والانسلاخ والشعور باللامغزى بين البشر لتنتهي تلك الحالة في حقيقة وجوده العدمي الذي لا بد من مواصلة السير فيه، فالجو الذي يهيمن على القصيدة هو وحدة الشعور باللانسجام مع الاخرين.

ويقع ضمن هذا الاطار ايضا تعبيره عن العصفور في قصيدة بلغت احد عشر بيتا في صورة موحدة لا تقبل التجزئة او القطع مما اكسب القصيدة العاطفة والوحدة المتلاحمة والصور المنسجمة والمعاني اللطيفة، يقول:

رغـــم الـــصواعق والرعـــود ... افقـــت، عـــصفوري، تغنـــي
هـــل كنـــت مختبئـــا وقـــد ... ثـــار الـــدجى، فـــي اي ركـــن؟

ومما جاء فيها ايضا:

يـــا خيـــر مخلـــوق مـــن الحيـــوان ... او انـــس او جـــن
تمـــضي، ولحنـــك خالـــد ... يبقـــى يـــرن بـــاذن اذنـــي [١]

ان بناء هذه القصيدة لا يوحي باي تفكك او تخلخل، لانها تنبع من موقف نفسي واحد في صورة منسجمة تعبر عن مشاعر الصافي اتجاه هذا الحيوان الصغير الذي يحس بانتمائه اليه وهو يعيش في سجن لا يستطيع الفرار منه ابدا.

ومثل هذا الانتماء للطبيعة ومخلوقاتها تجده واضحا في قصيدة المصيف التي جاءت بثلاثة عشر بيتا، يقول:

جميـــل بعينـــي هـــذا المـــصيف ... واجمـــل مـــا فيـــه فقـــد البـــشر
فمـــا فيـــه مـــن نـــاطق مقلـــق ... يـــشوش لـــي مـــا ارى مـــن صـــور
ولا مـــن مغنـــي بالحانـــه ... يشـــوش لـــي حفيـــف الشجـــر
انـــام مـــع الطيـــر عنـــد المســـاء ... ويوقـضنـي الطيـــر عنـــد الـسحـــر [٢]

ان هذه اللوحة الفنية تعمق شعوره بالفقد والحرمان وهو يعاني حالة من التأزم النفسي فتأتيه تلك القصيدة في التفاتة فنية رائعة حيث تبرز حالة من التوازن بين احساسه بفقدان البشر والامتلاء الوجداني للمخلوقات الاخرى في سهولة وانسيابية واضحة تتدفق فيها مشاعر الشاعر وخلجات نفسه التي تنوء بحمل ثقيل.

ويأتي تعبير الشاعر في موضوع مختلف ينصب في اتجاه الزمن وتأثيره السلبي لما ناله من الظلم والاضطهاد الروحي وهو يعيش في عصر يخالف تطلعاته وافكاره الخاصة، ولقد تمثل لديه هذا الزمن بالساعة تلك الالة التي تحولت الى عقرب يحاول لدغ الشاعر بعقاربه التي لا تتوقف ابدا في قصيدة بلغت اربعة عشر بيتا، يقول:

مـــا العـــن الـــساعة المنحـــوس طالعهـــا ... اذا ادرت اليهـــا اللحـــظ قـــدامي
اضـــحت تحـــدد لـــي وقتـــا تفـــارقني ... فيـــه كـــأن حـــددت لـــي وقـــت اعـــدامي
كـــأنّ عقربهـــا فـــي القلـــب يلـــدغني ... مـــن لـي بـان تـسحق الـساعات اقـدامي [٣]

تبدأ تلك القصيدة في لوحة فنية رائعة تبرز الساعة من دون اي مقدمات قد تغرقها في تفصيلات فائضة في تجسيد واضح يحول الساعة الى صورة عقرب يحاول قتل الشاعر، او الى ضرة تقاسم الصافي في النظرات مرة بعد اخرى، او الى سلاح يحاول ان يقتل الوقت باستمرار... ان تلك الصورة الجزئية الكثيرة للساعة واجزائها الصغيرة تعبر عن ادراك الشاعر لبشاعة الزمن الذي يحيط به مما يجعل القارئ يتلمس من خلال تلك الصور اشياء لم يكشفها من قبل في احساس يدل على عمق التضاد والاختراق الحاصل بين كيان الشاعر والساعة.

وبشكل عام، فلقد جاءت قصائد الصافي تتناسب وحالته الشعورية والنفسية بحيث لا تستغرق قصائد طوال مع الالتزام بكل ما تعارفت علية القصيدة العربية مما اظهر لبنائها الفني خصوصية تعبيرية.

---

(1) الشلال : ٦٠.
(2) شرر : ٦٩.
(3) م . ن : ١٨٦.

## ٢ـ المقطعات:

ان انتشار ظاهر المقطعات في شعر الصافي تكاد تكون السمة الغالبة عليه، حيث لا يخلو اي من دواوينه من تلك الانغام او الومضات التي تأتي استجابة آنية لما يحس به في ازماته النفسية الشديدة بعد ان يكون الشاعر قد ((اعاد تشكيل ((الظاهرة)) وفقا لواقعه النفسي ورتب الخارج ليتلاءم مع رؤيته الذاتية))[١].

وبناء تلك المقطعات لا يختلف كثيرا عن الوحدات الشعرية حيث احتواؤها على موضوع واحد او فكرة واحدة، هذا فضلا عن كونها تعبر عن موقف موحد يحمل طابع الالم والشكوى والتبرم من كل مظاهر الحياة المختلفة، ولكن يمكن لتلك المقطعات ان تعرض ذلك الموضوع باكثر من طريقة بحيث تساعد الشاعر في تحديد حالته الشعورية ساعة وقوع الحدث، لانها تكون اشد تدفقا وعنفا واكثر انسجاما وتكييفا، وان كان هناك صعوبة في تناسق اجزائها اذا ما اريد لها ان تكون متكاملة[٢].

فالنظر الى شعر المقطعات يجب ان يكون من جهتين: ((الاول: انها تتصل بقدرة الشاعر على القول، والثانية: انها تتصل بالحاجة اليها او الموضوع الذي يحددها))[٣] .

ويبدو ان الشاعر احس باهمية ذلك النوع من الشعر في التعبير عن مشاعره الجريحة وعذابه النفسي بابيات قليلة يكون فيها معبرا عن موقفه من الحياة بشكل مباشر مما اكسبها خصوصية تعبيرية مؤثرة في هذا النمط الشعري البسيط حتى تؤثر في جمهور المتلقين بشكل واسع وعميق فوراء تلك المقطعات تكمن عوالم عميقة تتمتع بالعمق والمصداقية.

لقد اتبع الشاعر في بناء تلك المقطعات طريقة خاصة في التعبير وان كانت على وفق النظام المألوف في الشعر العربي لان ((اكثر تلك الموضوعات غريبة جدا لم يطرقها سابق ولا لاحق ... وان غرابة تلك الموضوعات اكسبت الشاعر طابعا مستقلا ومتطرفا))[٤] فكانت من اجل ذلك غاية في الدقة والجمال.

ومن تلك الموضوعات التي لا بد من الاشارة اليها هي رؤيته العميقة للموت باعتباره يشكل الحياة الابدية التي يتحقق فيها كل ما يطمح الشاعر اليه من اجل بناء عالمه المنشود، يقول:

انّما هذه الحياة فناء    فاطلب الموت ان اردت خلودا
وفراري من الحياة لاني    واجد في الممات كونا سعيدا
لست اخشى من ظلمة الموت، انّي    مبصر في الظلام نورا جديدا [٥]

فتلك اللوحة الفنية التي تحمل من المعاني الخفية التي تبين حياة الشاعر المأساوية في جو مفعم بالاسى والتمرد ليطلب من الموت النجاة والوصول الى خلوده الابدي.

ومن المفردات الاخرى التي تناولتها مقطعاته نفسه والبشر وهو يعيش حياة البؤس والشقاء في عصر تراجعت فيه كل القيم الروحية وافتقدت اواصر الحب الانساني الذي يتشوق اليه الشاعر ، يقول:

اميل الى السمو، وادنياء    تشدّ الرجل مني للهبوط
اقاوم جذب ارض، ثم جذبا    لاهل الارض ، من اهل السقوط
فليت خلقت روحا دون جسما    ولا شكل كشكل بني المحيط
فاحيا بينهم اسمو واسمو    فهم من شدّ رجلي في قنوط [٦]

ان تلك المقطوعة الشعرية التي جاءت على وفق النسق المعروف في بناء بسيط بحيث يجعلها قريبة من المتلقي بما تحمله من المعاني المؤثرة التي بينت الحالة النفسية للشاعر وما يعانيه من مشاعر السأم والاضطهاد النفسي وهو يعيش بين بني جنسه.

ولقد انعكست هذه الفكرة على باقي مقطعاته الاخرى التي جعلت من البشر اعداء يحاولون اغتياله والتخلص منه، يقول:

---

(1) تطور الشعر العربي في العراق : ٥١٣.
(2) ينظر: الشعراء نقادا : ١٨٨ .
(3) ابحاث في الشعر العربي : د. يونس السامرائي: ٤١.
(4) الشعر العراقي، مرحلة وتطور : ١٩٧٠ : ٨٤ - ٨٩ .
(5) هواجس : ٩٩.
(6) المجموعة الكاملة: ٩٧ .

يــا قــالع الـــشوك اشــفاقا علـــى بـــشر اقلـــع مـــن الـــشوك مـــا يدعونـــه بـــشرا
يــا جبـــذا الشـــوك يــــدمي وخـــزه قدمـــي مـــن شـــوكة تخـــز الارواح والنظـــــرا [١]

ويقول ايضا:

تناهـــــشني قـــــوم لئـــــام لانهـــــم رأونــــي ابـــثّ النبـــل والكـــرم الجمـــا
فاصـــبحت محتاجـــا الـــى اللـــؤم منجيـــا فمــن ذا يبيع اللــؤم كـي اشتـري اللــؤما [٢]

فاسلوب المباشرة في الموضوع هو الصفة البارزة في هاتين المقطوعتين وغيرها من المقطوعات الاخرى التي تأتي تنفيسا عن ضيق الشاعر بالحياة وقلقه الدائم من كل ما يحويه لذلك تجده يلجأ في تلك المقطعات الى ابراز مفاهيم مختلفة المعاني وان كانت تدور في ذات الموضوع وهو التعبير عن شعور الصافي العميق بالاغتراب والبعد عن كل شيء في هذه الحياة.

ومنها ما جاءت تحمل رؤية غريبة تبرز انتماء الشاعر الى جنس الحيوان ـ في الاصل ـ ، يقول:

يجـــيء الـــيَ البائـــسون كـــأنهم يرونـــي لهـم مــن دون بــاقي الــورى خـلا
واعجـــب للحيـــوان ان كـــان بائـــسا اتـــاني كـــأني كنـــت اعرفـــه قـــبلا
فكـــم جـــاءني قـــط ينـــوء ببؤســـه فـــشاطرته همـــا وشـــاطرني اكـــلا
يجـــيء الـــيَ الهـــائمون كـــأنّني ـ ولا اهــل لـي ــ اهـل لمن فقـد الاهــلا [٣]

ان نمط هذا البناء الذي يأتي تعبيرا عن حالة مأساوية يعيشها الشاعر في نظرة سريعة، ليلقي الضوء على عمق التجربة الابداعية التي رسمتها بدقة تجربته الحياتية وما يعانيه من مظاهر العذاب والقسوة.

ويقول في مقطوعة اخرى:

اصـــخت الـــى ســجع الحمـــام صـــبيحة وقـــد اكلـــت قلبـــي الهمـــوم النـــواهش
وفكـــرت، مـــا معنـــى غنـــاه اذا بـــه يخاطبنـــي ان عـش كمـا انـا عائـــش [٤]

ان طابع الحوار سائد في هذه المقطوعة والذي يدور في خضم التجربة الانفعالية التي يعيشها الشاعر في ظل جو من الحيرة والقلق متخذا من الحيوان رفيقا يحاكيه كلما المت به الهموم والمصائب.

ومن المقطعات الاخرى التي تبرز حالة الشاعر الاغترابية جعله من الدهر عدوا يحمل صفات القهر والظلم والتعسف بحيث تظهر تلك المقطعات حربا ضروسا يشنها الشاعر على زمنه الانكد الذي يسعى الى القضاء عليه وعلى امثاله الذين يحملون الاحساس الرقيق والشعور الوقاد، يقول:

تـــؤمن مـــن الـــد عـــداك يومـــا ومـــا لحـــوادث الـــدنيا امـــان
يخـــاط بابـــرة فتـــق بثـــوب وليـــس يخـاط مـا فتـــق الزمـــان [٥]

ويقول:

تلقيـــت لكمـــات الزمـــان بمهجـــة حديديـــة ردت لـــه الكـــف داميـــا
وبـــادلته لكمـــا بلكـــم وعفتـــه لــدن خـرّ منهـوكا علـى الارض جاثيــا [٦]

ان تلك الصورة الفنية الرائعة التي اظهرت تشابكا مميزا بين ما هو معنوي واخر مادي في ترابط عضوي موحد بحيث ينسجم مع التجربة الانفعالية التي تقود الشاعر الى القتال حتى الموت.

هذا فضلا عن المقطعات الاخرى التي جاءت في التعبير عن الاماكن التي يرتادها الصافي والانعكاسات التي تركتها في نفسه، فمنها ما ترك اثرا طيبا كعين ميسة، يقول:

ايمّـــم (عـــين ميـــسة) كـــل يـــوم لاروي مـــن مباهجهـــا فـــؤادي
اذا انـــا لــم اجـــد فيهـــا انـــاسا وجـــدت بهـا جمـــال الانفـــراد [٧]

ومنها ما كان موطنا للبغض والحقد والكراهية، يقول:

---

(1) هواجس : ٩.
(2) م . ن : ١٧٥ ـ ١٧٦.
(3) اشعة ملونة : ٥٤.
(4) هواجس : ٢٥١ ـ٢٥٢.
(5) المجموعة الكاملة : ٤٨٢.
(6) هواجس : ١٩٠.
(7) م. ن : ١٢١.

يـــــا بلـــــــدة كلهــــا مخـــــاز          انغامهـــــــا جمـــــــــة النـــــــشاز
تبغـــــي جـــــواز الدخـــول منـــي          وهـــل الـــى النـــار مـــن جـــــواز [1]

فبالرغم من الاختلافات الظاهرة في الموضوعات الشعرية الا ان تلك المقطعات قد هيمن عليها((احساس واحد ورؤية نفسية ذات لون واحد في العمل الفني كله))[2] مما اكسبها صفة البساطة والغور في المعاني العميقة التي ترسم صورة مترابطة ونامية في تعبيرها الفني.

ان الصافي الذي يعيش حالة من التوتر والشعور بالحزن والقنوط جعلته يلجأ الى الجماد ليبعث فيه الروح وكأنه اخ يستمع الى شكواه والامه، ومنها ما قاله في مسبحته:

ومـــــسبحة تزيـــــل الهـــــم عنـــــي          وتجمـــــع شـــــارد الفكـــــر الـــــشتيت
تـــــوقع ان سكـــــت الـــــدّ لحـــــن          فاحـســـب لحنـــها نغــم الـسكـــــوت [3]

فالجو الذي يخلقه الشاعر في تلك المقطوعة مفعم بالسحر والاثارة التي تحاول بث المشاعر والاحاسيس في المسبحة لتنطق بما لم يستطع ان ينطق به الشاعر مما ولد شيئا من العمق والابتكار.

ان تلك المقطعات الشعرية قد ساعدت الصافي كثيرا بفضل ما يمتلكه من مقدرة شعرية استطاع من خلالها ان يركز المعاني والافكار ويقتضب الصور من اجل ان تكون تلك المقطعات قوية الاستجابة والتأثير في الاخرين.

ولعل تأثير بعض المواقف النفسية على الصافي دفعه الى قول بعض الابيات المفردة التي تنتظم فيها المفردات المكثفة في مستواها الدلالي والصوتي والجمالي ضمن مساحة البيت الواحد لتعبر عن فكرة واحدة كمحاولة لتركيزها في ذهن المتلقي، ومن تلك الابيات ما جاء في قوله:

مـــا لامســـت انملـــي سهـــوا نـــدى بشـر          الا قففـــزت كـــأني لامـــــس قـــــذرا [4]

ويقول:

الهـــي لمــــاذا قـــد خلقـــت غـــــريبا          اخــــاطب احجــــارا دعيـــن قلـــوبا [5]

ويقول:

مــــا ســـــروري بيـــــن الشـــــــدائد الا          نــسمـــــات تمـــــر بيــــن العـــواصف [6]

ويقول:

انّ الحيـــــــــــــاة خـــــــــــــرافة          بتـــــــــراء يفـضحهـــا الممــــــات [7]

ويقول:

عــــــــاشت طرابــــلس فمـــا ان ارى          اجمـــــل منهــــا غيــــــر اهليهــــا [8]

ويقول:

بصقـــت علـــى الوجـــود فجـــفّ ريقـــي          لكثــــرة مـــا بـصقـت علـى الوجـود [9]

ويقول:

اجـــــاهد للحفـــــاظ علـــــى حيــاتي          واحـــــذر ان تلـــــوثني الحيـــــاة [10]

ومن كل ما سبق، فان تلك الابيات المفردة وغيرها من المقطعات قد اسهمت في تكثيف الدوافع الانفعالية ذات التأثير الواضح والمليء بمشاعر الالم والشكوى، ولكنها دلت على قدرة الشاعر في تحويل انفعالاته المختلفة الى تجربة تعبيرية ــ جمالية.

---

(1) اشعة ملونة : ١٧٨.
(2) بناء القصيدة العربية : يوسف حسين بكار:٣٧٤.
(3) هواجس : ٢٩- ٣٠ .
(4) اشعة ملونة: ٢٠٢.
(5) م . ن: ١٣١.
(6) المجموعة الكاملة : ٢٨٦.
(7) هواجس : ٤٤.
(8) اللفحات :٢٤٨.
(9) اشعة ملونة : ٩٦.
(10) م . ن : ١٣٤

# الخاتمـــة

ان دراسة ظاهرة الاغتراب في شعر الصافي تحتاج الى شيء من التأمل الفكري الدقيق بحيث تحاكي اعماق الذات البشرية التي تتاصل فيها جوانب الوجدان الانساني المغترب.

ومن خلال ذلك كان لا بد من ملاحظة ابرز النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسة المتواضعة:

١- عرفت لفظة الاغتراب قديما كفكرة تدل على معنى البعد والتنحي والنوى ... الا ان هذه اللفظة تطورت في العصر الحديث لتحمل بذلك دلالات متنوعة تشمل العجز والاستلاب وفقدان الهدفية والمعايير ، فضلا عن الاغتراب والوحدة ولا سيما للاديب الذي يحمل من الاحاسيس والمشاعر ما يجعله يعيش صراعا بين مقومات شخصيته وما يحيط بتلك الشخصية من قوى مختلفة تتمثل بالمجتمع وغيره الذي يحاول تقييده والحد من حريته، مما ادى به الى التعبير عن ذلك الاغتراب بالخلق والابداع او بالنكوص والخذلان.

٢- يعود اغتراب الشاعر الصافي الى ايام طفولته التي رفضت كل ما يحيط بها من الاهل والمجتمع والبيئة ليتحول بذلك الرفض الى الكون كله مما جعله يشعر بحالة من الانفصال والانقسام بينه وبين الاخرين، وهذا الامر يعود الى دوافع كامنة في تكوينه النفسي والفكري وما يتميز به من الحساسية المفرطة اتجاه الامور المختلفة.

٣- لقد جاء الاغتراب في شعر الصافي بموضوعات مختلفة، ومنها: البشر الذي جاءوا في شعره بصور شتى ولكنها تهدف الى ابراز حالة واحدة وهي اظهار مدى الانسلاخ والتباعد بين الشاعر وبين بني جنسه الذي يمكن ان يندرج ضمن الاغتراب الروحي الذي يعاني منه، ولكي لا يتحول ذلك الاغتراب الى جحيم لا يطاق، فقد سعى الشاعر الى تجاوزه او التخفيف منه من خلال اللجوء الى الكائنات الحية الاخرى كالحيوانات التي كثرت في شعره بشكل كبير كـ ((العصفور، البلبل، القط، الكلب ...)) التي تمثل ارتباطا عميقا بين الشاعر وبين تلك المخلوقات واشتراكهما في نيل الظلم والتعسف من قبل الانسان ، هذا فضلا عن النباتات التي كانت مصدرا للراحة بالنسبة للشاعر كـ ((الازهار ،الورود ، النخلة)).

٤- ومن الموضوعات الاخرى التي جاءت في شعره تعبيرا عن احساسه بالاغتراب هي الامكنة حيث ذكر اغلب الاماكن التي ارتادها اثناء سفراته الى سوريا ولبنان كالمدن، مثل ((دمشق، حماة، صور...)) والاودية والمصايف، مثل((مضايا، بقين، زحلة، جزين...)) ، ولكنها ارتبطت بمشاعر خاصة تراوحت بين الرفض والقبول وذلك بالرجوع الى طبيعة الشاعر النفسية وتقلباتها المستمرة.

٥- ان اغتراب الصافي هو اغتراب ايجابي وليس سلبي حيث ادت به عزلته وبعده عن كل ما حوله الى الابداع والانتاج الشعري الثر الذي تمثل في اعماله الشعرية وما تضمنته من اغتراب عميق كان نتاجه اغتراب ادبي واضح في كافة تلك الاعمال.

٦- لقد تميز شعر الاغتراب عند الصافي بلغة سهلة وبسيطة بحيث تكون قريبة من النفوس، ولكنها قد تصل حد الركاكة والاسفاف بسبب اهتمامه بالمضامين والمعاني والعزوف عن التأنق والتشذيب في الالفاظ، لانها تعبر عن احساس داخلي بعيد عن كل الغموض والتعقيد، كما انها تميزت بوجود الفاظ خاصة اكثر من تداولها في معظم اشعاره مما شكل لديه معجما لفظيا خاصا، هذا فضلا عن استخدام بعض الاساليب اللغوية كالتقديم والتأخير والحذف والتكرار، فضلا عن المحسنات البديعية التي جاءت عن عفو الخاطر.

٧- لقد تميزت صور شعر الاغتراب بالبساطة ايضا، ولكنها حملت شيئا من التعمق والابتكار بحيث جسدت المعنويات الى الماديات وبالعكس، وشخصت الجمادات بل وانطقتها، واستخدمت الرموز الادبية التي تعبر عن حالته النفسية الحزينة لتؤكد بذلك تلك الصور ان روح الشاعر تقبع في اعماق عالم غريب.

٨- لقد جاء ايقاع شعر الاغتراب متميزا بالافصاح عن حالة الضيق والاختناق التي كانت واضحة من خلال استعماله للبحور الطويلة والقصيرة على حد سواء ، كما جاء استخدامه لحروف الروي التي تدل على نفسيته المتألمة ازاء ما يعاني منه كـ ((الراء، الميم، اللام...)).

٩- جاء شعر الاغتراب عند الصافي على شكل مقطعات الامر الذي يبرز حالة من التوتر العميق الذي يشعر به من جراء الحالات المختلفة التي يعيشها الشاعر، ولكن هذا لا يعني ان تجد بعض القصائد التي حملت ذات المضمون في التعبير عن حالة الحزن والبؤس والشقاء التي يحس بها ازاء عالمه المزيف.

وعلى العموم، فان في كل شاعر يوجد اغتراب، تلك حقيقة لا يمكن تجاوزها باي حال من الاحوال، ولكنها ــ بطبيعة الحال ــ تبقى سرا خاصا من اسرار الشاعر نفسه.

# المصادر والمراجــع:


١- ابحاث في الشعر العربي: الدكتور. يونس احمد السامرائي، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- جامعة بغداد- بيت الحكمة، مطبعة دار الكتب للطباعة والنشر.

٢- الاتجاه الوجداني في الشعر العربي المعاصر: الدكتور. عبد القادر القط، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨١، ط٢.

٣- اتجاهات الشعر العربي المعاصر: الدكتور. احسان عباس، سلسلة عالم المعرفة، مطابع اليقظة، الكويت، ١٩٧٨.

٤- الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي المعاصر ١٩١٤- ١٩٤١: الدكتور. رؤوف الواعظ، دار الحرية للطباعة ، بغداد، ١٩٧٤.

٥- الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث: الدكتورة. سلمى الخضراء الجيوسي، ترجمة: الدكتور. عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ٢٠٠١.

٦- الحان اللهيب: احمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢، ط٢.

٧- احمد الصافي حياته- شعره: تركي كاظم جودة، مطبعة دار البصري، بغداد، ١٩٦٧.

٨- احمد الصافي شاعر العصر: سلمان هادي الطعمة، منشورات دار الثقافة، مطبعة العاني، بغداد، ١٩٨٥.

٩- احمد الصافي عالم حر، دراسة ومختارات: الدكتور. جلال الخياط، دار الرائد العربي، بيروت- لبنان، ١٩٨٧، ط١

١٠- احمد الصافي النجفي: زهير المارديني، رياض الدين للكتب والنشر، لندن، ١٩٨٩.

١١- احمد الصافي النجفي رحلة العمر: عبد الله الشيتي، منشورات دار القبس، الكويت، ١٩٧٩.

١٢- الادب الاوربي، تطوره ونشأة مذاهبه: الدكتور. حسام الخطيب، دمشق، ١٩٧٢.

١٣- الاديب وصناعته: كارون، ترجمة: جبرا خليل جبرا، بيروت، ١٩٦٢.

١٤- استعادة الماضي، دراسات في شعر النهضة: الدكتور. جابر عصفور، مطابع الهيئة المصرية، ٢٠٠١.

١٥- اسرار البلاغة: للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ)، تحقيق: هـ. ريتر، مطبعة وزارة المعارف، استانبول، ١٩٥٤.

١٦- الاسس الجمالية في النقد الادبي الحديث ، عرض وتفسير ومقارنة: الدكتور. عز الدين اسماعيل، دار الفكر العربي ، ١٩٧٤، ط٣.

١٧- الاسس النفسية لاساليب البلاغة العربية: الدكتور. مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت- لبنان، ١٩٨٤، ط١.

١٨- الاشارات الالهية: لابي حيان التوحيدي ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي، مطبعة جامعة فؤاد الاول، القاهرة،١٩٥٠.

١٩- اشكالية المكان في النص الادبي: ياسين النصير، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ط١.

٢٠- اشعة ملونة: احمد الصافي النجفي، مكتبة المعارف، بيروت ، ١٩٨٣، ط٤.

٢١- الاصوات اللغوية: الدكتور.ابراهيم انيس، دار النهضة العربية، القاهرة ، ١٩٦١، ط٣.

٢٢- اصول النقد الادبي: احمد الشايب ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٥، ط٥.

٢٣- اعيان الشيعة: محسن الاميني، مطبعة الاتقان، بيروت، ١٩٥٦.

٢٤- الاغتراب: ريتشاردز شاخت، ترجمة: كامل يوسف حسين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ط١.

٢٥- الاغتراب سيرة ومصطلح: الدكتور. محمود رجب، منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٧٨.

٢٦- الاغتراب في الشعر الاموي: الدكتورة. فاطمة حميد السويدي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩٧، ط١.

٢٧- الاغتراب في الشعر العباسي حتى القرن الرابع الهجري: الدكتورة. سميرة السلامي، دار الينابيع، دمشق، ٢٠٠٠، ط١.

٢٨- الاغتراب في الشعر العربي قبل الاسلام: الدكتور. صاحب ابراهيم خليل، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، الجمهورية اليمنية ، ٢٠٠٠، ط١.

٢٩- الاغتراب في الفن، دراسة في الفكر الجمالي العربي: الدكتور. عبد الكريم هلال خالد، بيروت، ١٩٩٢، ط١.
٣٠- الاغتراب وازمة الانسان المعاصر: الدكتور. نبيل رمزي اسكندر، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ١٩٨٨.
٣١- الاغوار: احمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦١، ط١.
٣٢- الافكار والاسلوب، دراسة في الفن الروائي ولغته: ا.ف. تشيتشرين، ترجمة: الدكتورة. حياة شرارة، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
٣٣- الامواج: احمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٦١، ط٤.
٣٤- الانسان بين المظهر والجوهر: اريك فروم، ترجمة: سعد زهران، مراجعة: لطفي فطيم، سلسلة عالم المعرفة، مطابع السياسة، الكويت، ١٩٨٠.
٣٥- الانسان والاغتراب: مجاهد عبد المنعم مجاهد، سعد الدين للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٥، ط١.
٣٦- الانسان و عالم المدينة في الشعر العربي: مناف منصور، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٩٧٨.
٣٧- البحث عن معنى، دراسة نقدية: الدكتور. عبد الواحد لؤلؤة، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٣.
٣٨- بناء القصيدة العربية: الدكتور. يوسف حسين بكار، دار الثقافة للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٧٩.
٣٩- البناء اللفظي في لزوميات المعري، دراسة تحليلية بلاغية: الدكتور. مصطفى السعدني، نشر منشأة المعارف، الاسكندرية، ١٩٨٥.
٤٠- تاج العروس من جواهر القاموس:السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، د.م، د.ت.
٤١- التجديد في لغة الشعراء الاحيائيين: الدكتور. عادل جاسم البيتي، مؤسسة الخليج للطباعة، الكويت، ١٩٨٤.
٤٢- التحليل النقدي والجمالي للادب: الدكتور. عناد غزوان، دار ((افاق عربية)) للصحافة والنشر، بغداد، ١٩٨٥.
٤٣- تطور الشعر العربي في العراق، اتجاهات الرؤيا وجمالات النسيج: الدكتور. علي عباس علوان، منشورات وزارة الاعلام، الجمهورية العراقية.
٤٤- التفسير النفسي للادب: الدكتور. عز الدين اسماعيل، دار المعرفة، القاهرة ، ١٩٦٣.
٤٥- تمهيد في النقد الادبي: روز غريب، دار المكشوف، بيروت ، لبنان ، ١٩٧١، ط١.
٤٦- تهذيب اللغة: لابي منصور الازهري، تحقيق: أ. عبد العظيم محمود، مراجعة: أ. محمد عبد النجار، الدار المصرية للتاليف والترجمة، مطابع سجل العرب، د.ت.
٤٧- التيار: احمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٦٢، ط٢.
٤٨- ثورة ١٩٢٠ في الشعر العراقي: الدكتور. عبد المحسن مبارك، مطبعة البصري، بغداد، ١٩٧٠، ط١.
٤٩- الثورة العراقية الكبرى: عبد الرزاق الحسيني، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٥٢.
٥٠- الثورة العراقية الكبرى سنة ١٩٢٠: عبد الله الفياض ، دار السلام ، بغداد ، ١٩٧٥، ط٢.
٥١- ثورة النجف على الانكليز او الشرارة الاولى لثورة العشرين: حسن الاسدي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٠.
٥٢- ثورة النجف: عبد الرزاق الحسني، مطبعة العرفان، صيدا، ١٩٧٢.
٥٣- جدلية الخفاء والتجلي، دراسات بنيوية في الشعر:كمال ابو ديب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٩، ط١.
٥٤- جدلية الزمن: غاستون باشلار، ترجمة: خليل احمد خليل، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ١٩٨٨، ط١.
٥٥- الجمالية: بقلم ر.ف. جونسون، ترجمة: الدكتور. عبد الواحد لؤلؤة، سلسلة موسوعة المصطلح النقدي، منشورات وزارة الثقافة والفنون، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٨.
٥٦- جماليات المكان: جاستون باشلار، ترجمة: غالب هلسا، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٠.
٥٧- حركة التطور والتجديد في الشعر العراقي الحديث منذ عام ١٨٧٠ حتى قيام الحرب العالمية الثانية، عربية توفيق لازم، مطبعة الايمان، بغداد، ١٩٧١، ط١.
٥٨- حركة الشعر في النجف الاشرف واطواره خلال القرن الرابع عشر الهجري ، دراسة نقدية: الدكتور.

عبد الصاحب الموسوي، دار الزهراء، بيروت، ١٩٨٨، ط١.
٥٩- حركية الابداع، دراسات في الادب العربي الحديث: الدكتورة. خالدة سعيد، دار العودة، بيروت،١٩٨٢، ط٢.
٦٠- حصاد السجن: احمد الصافي النجفي، منشورات مكتبة المعارف، مطابع دار الغندور، بيروت ، د. ت.
٦١- الحنين والغربة في الشعر العربي الحديث: الدكتور. ماهر حسن فهمي، جامعة الدول العربية، معهد البحوث والدراسات العربية، مطبعة الجبلاوي، ١٩٧٠.
٦٢- الخصائص: صنعه ابي الفتح عثمان بن جني، تحقيق: محمد علي النجار، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٥٥، ط٢.
٦٣- دراسات في الفلسفة الوجودية: عبد الرحمن بدوي، دار الثقافة، بيروت- لبنان، ١٩٧٣، ط٣.
٦٤- دراسات في النقد والشعر: الدكتور. ناصر الحاني، المكتبة العصرية، صيدا – لبنان، د.ت.
٦٥- دراسات نقدية في الادب الحديث: عزيز السيد جاسم، مطبعة الادراة المحلية، مصر، ١٩٧٠.
٦٦- دلائل الاعجاز: للامام القاهر الجرجاني، صحة وشرحه وعلق عليه: فضيلة الاستاذ الكبير احمد مصطفى المراغي، مطبعة دار الكتب ـ مصر، د.ت، ط٢.
٦٧- دير الملاك، دراسة نقدية للظواهر الفنية في الشعر العراقي المعاصر: الدكتور. محسن اطميش، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦، ط٢.
٦٨- ديوان المتنبي، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٤، ط١٥.
٦٩- الذريعة الى تصانيف الشيعة: محمد محسن الشهير بأغا بزرك الطهراني، بانك ملي، ايران، ١٣٦٦، ط١.
٧٠- رباعيات الخيام: عمر الخيام، تعريب: السيد احمد الصافي النجفي، تقدم، طهران ، د. ت.
٧١- رسائل ابن باجة الالهية: ابو بكر الصائغ (ت ٥٨٣ هـ)، تقديم وتحقيق: ماجد فخري، دار النهار، بيروت، ١٩٧٨.
٧٢- الرمز والرمزية في الشعر العربي المعاصر: الدكتور. محمد فتوح احمد، دار المعارف، مصر، ١٩٧٨، ط٢.
٧٣- الرمزية والرومانتيكية في الشعر اللبناني: امية حمدان، دار الرشيد للنشر، بغداد، ١٩٨١.
٧٤- رماد الشعر، دراسة في البنية الموضوعية والفنية للشعر الوجداني الحديث في العراق: الدكتور. عبد الكريم راضي جعفر، بغداد، ١٩٩٨، ط١.
٧٥- الرومانتيكية: الدكتور. محمد غنيمي هلال، بيروت، دار العودة ـ دار الثقافة، ١٩٧٢.
٧٦- الرومنطيقية ومعالمها في الشعر العربي الحديث: عيسى يوسف بلاطة، دار الثقافة، بيروت، ١٩٦٠، ط١.
٧٧- الزمان في الفكر الديني والفلسفي القديم: الدكتور. حسام الالوسي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ط١.
٧٨- الزمن عند الشعراء العرب قبل الاسلام: عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية، بغداد، ١٩٨٦.
٧٩- سياسة الشعر: ادونيس، دار الاداب، بيروت، ١٩٨٥، ط١.
٨٠- سيلكوجية الابداع في الفن والادب: يوسف ميخائيل اسعد، مشروع النشر المشترك دار الشؤون الثقافية العامة (افاق عربية) بغداد والهيئة والمصرية العامة للكتاب (القاهرة).
٨١- شاعرية الصافي: خضر عباس الصالحي، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٧٠.
٨٢- شرر: احمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٣، ط٢.
٨٣- الشعر بين الابداع والواقع: صبيح ناجي قصاب، دار الرشيد للنشر، ١٩٧٩.
٨٤- الشعر العراقي الحديث و اثر التيارات السياسية والاجتماعية فيه: الدكتور. يوسف عز الدين، دارالمعارف ، مصر، د. ت.
٨٥- الشعر العراقي ، مرحلة وتطور: الدكتور. جلال الخياط ، دار صادر، بيروت ، ١٩٧٠ .
دار الرائد العربي، بيروت،١٩٨٧، ط٢.
٨٦- الشعر العربي الحديث في لبنان، بحث في: شعراء لبنان الجدد مرحلة ما بين الحربين العالميتين: الدكتور منيف موسى، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٦، ط٢.

٨٧- الشعر العربي المعاصر، قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: الدكتور. عز الدين اسماعيل، دار العودة ـ دار الثقافة، بيروت، ١٩٨١، ط٣.
٨٨- الشعر كيف نفهمه ونتذوقه: اليزابيث درو، ترجمة: الدكتور. محمد ابراهيم الشوش، بيروت، ١٩٦١.
٨٩- الشعر والتجربة: ارشيبا مكليش، ترجمة: سلمى الخضراء الجيوسي، مراجعة: توفيق صايغ، منشورات دار اليقظة العربية نشر بالاشتراك مع مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت- نيويورك، ١٩٦٣.
٩٠- الشعر والزمن: جلال الخياط، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٧٥.
٩١- الشعر والشعراء في العراق ١٩٠٠- ١٩٥٨: احمد ابو سعد، دار المعارف، بيروت،١٩٥٩.
٩٢- شعراء الحلة (البابليات): علي الخاقاني، مطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٠- ١٩٥٠.
٩٣- شعراء الرابطة القلمية، دراسات في شعر المهجر: الدكتورة. نادرة جميل سراج، دار المعارف، مصر ١٩٦٤.
٩٤- شعراء العراق المعاصرون: غازي عبد الحميد الكنين، مطبعة الشباب، بغداد، ١٩٧٣، ط١.
٩٥- شعراء الغري (النجفيات):علي الخاقاني، مطبعة الحيدرية، النجف، ١٣٧٤- ١٩٥٤.
٩٦- الشعراء نقادا: الدكتور. عبد الجبار المطلبي، دار الشؤون الثقافيةالعامة، بغداد ، ١٩٨٦.
٩٧- شكسبير والانسان الموحد: جانيت ديلون، ترجمة: جبرا ابراهيم جبرا، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ١٩٨٦.
٩٨- الشلال: احمد الصافي النجفي، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٦٢، ط١.
٩٩- الصافي، عبد اللطيف شرارة، دار بيروت، بيروت، ١٩٨١.
١٠٠- الصحاح: اسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق: احمد عبد الغفورعطار، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ط٢.
١٠١- صفحات من مذكرات احمد الصافي النجفي، احد رجالات الثورة العراقية ١٩٢٠، تحقيق وتعليق: كامل سلمان الجبوري، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ط٢.
١٠٢- الصورة الادبية: الدكتور. مصطفى ناصف، دار الاندلس للطباعة والنشر، ١٩٨٣، ط٣.
١٠٣- الصورة الشعرية: سيسل دي لويس، ترجمة: الدكتور. احمد نصيف الجنابي ومالك ميري وسلمان حسن ابراهيم، مراجعة: الدكتور. عناد غزوان، مؤسسة الخليج للطباعة والنشر، الصفاة ـ الكويت، د.ت.
١٠٤- الصورة الفنية في شعر ابي تمام: الدكتور. عبد القادر الرباعي، جامعة اليرموك، الاردن، ١٩٨٠.
١٠٥- الصورة الفنية معيارا نقديا: الدكتور. عبد الاله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٠، ط١.
١٠٦- طبقات اعلام الشيعة (نقباء البشر في ق ١٤): أغا بزرك الطهراني، المطبعة العلمية، النجف، ١٩٧٢.
١٠٧- الطبيعة في الشعر الجاهلي: الدكتور. نوري حمودي القيسي، عالم الكتب، مكتبة النهضة العربية،١٩٨٤، ط٢.
١٠٨- ظاهرة الحزن في شعر نازك الملائكة، اسبابها وقضاياها المعنوية والفنية: الدكتور. سالم الحمداني، مطبعة وزارة التعليم العالي والبحث العلمي- جامعة الموصل، ١٩٨٠.
١٠٩- عبقرية الصافي: ابراهيم عبد الستار، مطبعة الحضارة، طرابلس، ١٩٥٣.
١١٠- العراق الجديد: عمر ابو نصر، سلسلة المطبوعات الاهلية، مطبعة دار الاحد، ١٩٣٧، ط١.
١١١- العروض و القافية دراسة، ونقد: د. عبد الرحمن السيد، مطبعة قاصد خيه، الفجالة، د.ت، ط١.
١١٢- العزلة والمجتمع: نيقولاي برديائف، ترجمة: فؤاد كامل، مراجعة: علي ادهم، دار الشؤون الثقافية العامة وافاق عربية، بغداد، ط١.
١١٣- عصر البنيوية: اديث كرزويل، ترجمة: جابر عصفور، دار افاق عربية بغداد، ١٩٨٠.
١١٤- عضوية الموسيقى في النص الشعري: الدكتور. عبد الفتاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء ـالاردن، ١٩٨٥، ط١.
١١٥- العقد الاجتماعي: جان جاك روسو، ترجمة: عادل زعيتر، دار المعارف، مصر، ١٩٥٤.
١١٦- على المحك، نظرات وآراء في الشعر والشعراء: مارون عبود، دار العلم للملايين، ١٩٥٤.
١١٧- العمدة في محاسن الشعر، وادابه، ونقده: ابي علي الحسن بن رشيق القيرواني الازدي (٣٦٠-٤٥٦هـ)، حققه وفصله وعلق على حواشيه: محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة السعادة، مصر، ١٩٥٥، ط٢.

١١٨- عمر الخيام، الحكيم الرياضي والفلكي: احمد حامد الصراف، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٦٠، ط٣.
١١٩- عن بناء القصيدة العربية الحديثة: الدكتور. علي عشري زايد، دار المرجان للطباعة، ١٩٧٩، ط٢.
١٢٠- العوامل التي جعلت من النجف بيئة شعرية: جعفر الخليلي، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٩٧٠.
١٢١- الفلاكة والمفلكون:شهاب الدين احمد علي الدلجي، مطبعة الاداب، النجف ، ١٣٨٥.
١٢٢- فلسفة الجمال في الفكر المعاصر: الدكتور. محمد زكي العشماوي، د. م ، بيروت، ١٩٨٠.
١٢٣- فلسفتنا: محمد باقر الصدر، مؤسسة دار الكتاب الاسلامي، مطبعة السرور، ٢٠٠٠.
١٢٤- فن التقطيع الشعري والقافية: الدكتور. صفاء خلوصي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ط٦.
١٢٥- فن الشعر: الدكتور. احسان عباس، دار الثقافة، بيروت، ١٩٧٥، ط٥.
١٢٦- في الادب العربي: الدكتور. عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٥٩، ط٣.
١٢٧- في البنية الايقاعية للشعرالعربي، نحو بديل جذري لعروض الخليل ومقدمة في علم الايقاع المقارن: الدكتور. كمال ابو الديب، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٧٤، ط١.
١٢٨- في الرؤيا الشعرية المعاصرة: احمد نصيف الجنابي، دار الحرية للطباعة، مطبعة الجمهورية، د.ت.
١٢٩- في الشعرية، كمال ابو ديب، مؤسسة الابحاث العربية، ١٩٨٧، ط١.
١٣٠- في الميزان الجديد: الدكتور. محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الفجالة، القاهرة، د.ت، ط١.
١٣١- في النقد الادبي، دراسة وتطبيق: الدكتور. كمال نشات، مطبعة النعمان ، النجف، ١٩٧٠.
١٣٢- القاموس المحيط: العلامة اللغوي محمد بن يعقوب الفيروز آبادي،(٧٢٩- ٨١٧هـ)، دار احياء التراث العربي، لبنان، ١٩٩١، ط١.
١٣٣- قضايا الشعر العربي: نازك الملائكة، منشورات دار الادب، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٦٢.
١٣٤- قضايا النقد الادبي المعاصر: الدكتور. محمد زكي العشماوي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، د.ت.
١٣٥- قضية الشعر الجديد: الدكتور. محمد النويهي، دار الفكر، د.ت.
١٣٦- قلب العراق: امين الريحاني، مطبعة صادر، بيروت، ١٩٣٥.
١٣٧- قواعد النقد الادبي: لاسل آبر كرمبي، ترجمة: الدكتور. محمد عوض محمد، دار الشؤون الثقافية (دار افاق عربية) ، بغداد، (د.ت).
١٣٨- قيم جديدة في الادب العربي: الدكتورة. عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ، د.م، مصر، ١٩٧٠.
١٣٩- كتاب العين: لابي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي، تحقيق: الدكتور. مهدي المخزومي والدكتور. ابراهيم السامرائي، شركة المطابع النموذجية، عمان - الاردن،١٩٨٢.
١٤٠- كشف اللثام عن رباعيات الخيام: ابو نصر مبشر الطوازي الحسيني، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، ١٩٦٧ .
١٤١- لزوم ما يلزم اللزوميات: ابو العلاء المعري، دار صادر، بيروت، ١٩٦١.
١٤٢- لسان العرب: ابن منظور الافريقي، دار صادر– دار بيروت للنشر، بيروت، ١٩٥٥.
١٤٣- اللغة الشاعرة، مزايا الفن والتعبير في اللغة العربية: عباس محمود العقاد، مطبعة الاستقلال الكبرى، د.ت.
١٤٤- اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي، تلازم التراث والمعاصرة: محمد رضا مبارك، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد – العراق، ١٩٩٣، ط١.
١٤٥- اللغة والمجتمع، رأي ومنهج: الدكتور. محمد سعران، المطبعة الاهلية، بنغازي، ١٩٦٨.
١٤٦- لغة الشعر بين جيلين: الدكتور. ابراهيم السامرائي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٨٠، ط١.
١٤٧- لغة الشعر الحديث في العراق بين مطلع القرن العشرين والحرب العالمية الثانية: الدكتور. عدنان حسين العوادي، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥.
١٤٨- لغة الشعر الحديث، مقوماتها وطاقتها الابداعية: الدكتور. السعيد الورقي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الاسكندرية، ١٩٧٩.
١٤٩- لغة الشعر العراقي المعاصر: عمران خضر حميد الكبيسي، وكالة المطبوعات الكويت، ١٩٨٢، ط١.
١٥٠- اللفحات: احمد الصافي النجفي، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٥، ط٢.
١٥١- ماضي النجف وحاضرها جعفر الشيخ باقرآل محبوبة، مطبعة الاداب ،١٩٨٥، ط٢.

١٥٢- المتخيل الشعري، اساليب تشكيل ودلالات الرؤية في الشعر العراقي الحديث: الدكتور. محمد صابر عيد، مطابع دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ٢٠٠٠، ط١.
١٥٣- مجددون ومجترون: مارون عبود، دار العلم للملايين، بيروت ، ١٩٨٤.
١٥٤- المجموعة الكاملة لاشعار احمد الصافي النجفي غير المنشورة: قدم لها وهيأها للطبع: الدكتور. جلال الخياط ، مطبعة الشعب، بغداد، ١٩٧٧.
١٥٥- محاضرات في الشعر بعد شوقي: الدكتور. محمد مندور، دار نهضة مصر، القاهرة، ١٩٥٧.
١٥٦- محاضرات في الشعر العراقي: عبد الكريم الدجيلي، جامعة الدول العربية، معهد الدراسات العربية العالية، القاهرة، ١٩٥٩.
١٥٧- مخطوطات ١٨٤٤ ، الاقتصاد السياسي والفلسفة: كارل ماركس، ترجمة: الياس مرقص، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ١٩٧٠.
١٥٨- المرشد الى فهم اشعار العرب وصناعتها: الدكتور. عبد الله الطيب المجذوب، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر ، ١٩٥٥ ، ط١.
١٥٩- المشجر الوافي في السلسلة الموسوية: حسين السيد علي ابو سعيدة الموسوي، مطبعة الجاحظ ، بغداد، ١٩٩٤.
١٦٠- معارف الرجال في تراجم العلماء والادباء: حجة الاسلام والمسلمين المرحوم حسين حرز الدين، مطبعة الاداب، النجف الاشرف، ١٩٦٤.
١٦١- معجم مفردات الفاظ القران : الراغب الاصفهاني، صححه وضبطه: ابراهيم شمس الدين، دار الكتب العالمية، بيروت - لبنان، ١٩٩٧، ط١.
١٦٢- مفهوم الشعر: الدكتور. جابر عصفور، المركز العربي للثقافة والعلوم، ١٩٨٢.
١٦٣- مقالات في الشعر الجاهلي: يوسف اليوسف، دار الحقائق، الجزائر، ١٩٨٠، ط٢.
١٦٤- مقدمة للشعر العربي: (علي احمد سعيد)ادونيس، دار العودة، بيروت، ١٩٨٣، ط٤.
١٦٥- منازل السائرين: عبد الله الانصاري، حققه وقدم له: سي دي لوجيه، مطبعة المعهد العلمي للاثار الشرقية، ١٩٦٢.
١٦٦- من اسرار اللغة: الدكتور. ابراهيم انيس، مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٧٥.
١٦٧- منية الراغبين في طبقات النسابين: السيد عبد الرزاق كمونة، مطبعة النعمان، النجف، ١٩٧٢.
١٦٨- موسيقى الشعر: الدكتور. ابراهيم انيس، مطبعة الامان، مصر، ١٩٧٨.
١٦٩- موسيقى الشعر العربي: الدكتور. شكري محمد عياد، دار المعرفة، القاهرة، ١٩٦٨، ط١.
١٧٠- نصوص النظرية البلاغية في القرنين الثالث والرابع الهجري: الدكتور. داود سلوم والدكتور. عمر الملا حويش، مطبعة الامة، بغداد، ١٩٧٧.
١٧١- نظرية الادب: رينيه ويليك واوستن وارين، ترجمة: محي الدين صبحي، مراجعة الدكتور. حسام الخطيب، دمشق، ١٩٧٢، ط١.
١٧٢- نظرية البنائية في النقد الادبي: الدكتور. صلاح الفضل، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ١٩٨٧، ط٣.
١٧٣- النقد والنقاد المعاصرون: الدكتور. محمد مندور، مكتبة نهضة مصر، مطبعة الفحالة ، د. ت.
١٧٤- هكذا عرفتهم: جعفر الخليلي،ج١، مطبعة دار الزهراء، بغداد، ١٩٦٣.
ج٢، مطبعة دار الكتب، بيروت، ١٩٨٢.
١٧٥- هواجس: احمد الصافي المجفي، مؤسسة المعاف للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٦٧، ط٢.
١٧٦- الوافي في احوال آل السيد الصافي((طاب ثراه)): محمود السيد محمد رضا الصافي النجفي، مطبعة العرفان، صيداـ لبنان، د. ت.
١٧٧- الوجود والعدم: جان بول سارتر، ترجمة: عبد الرحمن بدوي، منشورات دار الاداب ، بيروت، ١٩٦٦، ط١.
١٧٨- الوجودية: جون ماكوري، ترجمة: الدكتور. امام عبد الفتاح امام، مراجعة الدكتور. فؤاد زكريا، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الانباء، الكويت، ١٩٨٢.
١٧٩- الوجودية مذهب انساني: جان بول سارتر، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، ١٩٧٨.

## المجـــلات:


١- مجلة الاذاعة والتلفزيون، اذار ١٩٧٦، العدد (١٧٩)، بغداد.
٢- مجلة الاعتدال، ايلول ١٩٣٥، العدد (٤)، النجف.
١٩٣٩، العدد (٣-٤)، النجف.
٣- مجلة الافكار، حزيران ١٩٦٧، العدد (١٣)، الاردن.
٤- مجلة الاقلام، نيسان ١٩٧٠، العدد (٧)، بغداد.
٥- مجلة الف باء، اذار ١٩٧٦، العدد (٣٩٠)، بغداد.
حزيران ١٩٧٧،العدد (٤٥٥) ، بغداد.
٦- مجلة البلاغ، ١٩٧٨، العدد (٤)، بغداد.
٧- مجلة التفيض، نيسان ١٩٣٩، العدد (١)، بغداد.
٨- مجلة الثقافة، نيسان ١٩٣٨، العدد (٤)، بغداد.
٩- مجلة الحكمة، تشرين الاول ١٩٥٤، العدد (١)، بيروت.
١٠- مجلة الرسالة، مايو ١٩٣٩، العدد(٣٠٥) ، القاهرة.
١١- مجلة الضاد، ١٩٦٩، العدد (٣-٤)، حلب.
١٢- مجلة عالم الفكر، يوليه اغسطس سبتمبر ١٩٧٣، المجلد (٤)، العدد (٢)، بيروت.
ابريل مايو يونيو، ١٩٧٩، المجلد (١٠)، العدد (١)، بيروت.
ابريل مايو يونيو، ١٩٨٤، المجلد (١٥)، العدد (١)، بيروت.
١٣- مجلة العربي، اب ١٩٧٨، العدد (٢٣٧)، الكويت.
١٤- مجلة الفرات، كانون الثاني ١٩٤٧، العدد (٨)، الحلة.
١٥- مجلة الفكر المعاصر، يوليه ١٩٦٥، العدد (٥)، مصر.
١٦- مجلة الفيصل، ديسمبر ١٩٧٧، العدد (٧)، السعودية.
١٦- مجلة المجمع العلمي، ٢٠٠٢، المجلد (٤٩)، الجزء (٢)، بغداد.
١٧- مجلة المجمع العلمي العراقي، ١٩٧٩، مجلد (٣٠)، بغداد.
١٨- مجلة المستقبل العربي، تموز ١٩٧٨،العدد (٢)، لبنان.
١٩- مجلة المكتبة، ايار ١٩٦١ ، العدد (١)، بغداد.
٢٠- مجلة الهاتف، تشرين الاول ١٩٣٨، العدد (١٤١)، النجف.


## الرسائل الجامعية:


١- التجديد والتقليد في شعر احمد الصافي النجفي: سمير كاظم خليل، جامعة الاسكندرية، كلية الاداب، ١٩٧٩.
٢- شعر احمد الصافي النجفي: حاتم عبد حبوب الساعدي، جامعة القاهرة، كلية دار العلوم، ١٩٧٩.
٣- الغربة في الشعر العراقي ١٩٠٠- ١٩٦٨: الدكتور. فليح كريم خضير الركابي، جامعة الكوفة، كلية القائد للتربية، ١٩٩٦.
٤- الغربة والاغتراب في الشعر العراقي المعاصر ـ مرحلة الرواد: محمد راضي حعفر، جامعة بغداد، كلية التربية ابن رشد، ١٩٩٥.
٥- لغة الشعر في هاشميات الكميت: رزاق عبد الامير، جامعة الكوفة ـ كلية القائد التربية، ١٩٩٩.

## المخطوطـات:

١- اتجاهات شعر احمد الصافي النجفي في تغيير المجتمع: هاشم المحنك.
٢- الدر المنثور: جعفر الاعرجي.
٣- عمدة الطالب في انساب ابي طالب: ابن عنبة.

## المصادر الاجنبية:

- The New Encyclopedia Britainnica, (30) Volumes: William Benton, Publisher, 1943 - 1973.

# ABSTRACT

Beyond dispute, that alienation is an ancient phenomenon, it was first human company, This concept has been depended in discursion different cases.

Many find in Alienation as an escaping, looking for or a satisfaction of self dispossess or other reasons related to human beings.

This deep connection between Alienation and human made me imagining in it for the studiers or poets who suffer especially Ahmad Al–Safi.

Al– Safi is estranger person in everything in his frankness, temperament, behavior even his food, clothes.

According to this tension the thesis is about a preface and three chapters and Conclusion.

The preface tends to study The alienation anciently as an idea refers to remoteness and exile but this idea has developed to an idiom many different meanings refers to disabling, dewing, moreover, the isolation and loneliness. This idiom has appeared for many specially the poet who has lived a straggle between the peculiarities and what surrounds this personality of many effects as society and else which tries to chain his freedom has led him to creation, invention, drawing and disappointment.

The first chapter deals with the life of Ahmed Al–Safi AL–Najafi including family and its origin, emigration to Najaf from AL–Hijaz, Birth, growth and his emigration to Iran in 1918–1920 and its reason, and his emigration to AL– Sham and his life till his back to Iraq after he hit by a bullet during Lebanon home war.

The second chapter studies the subjects of Alienation in his Poetry : hum an beings, animals, positions, periods which reflect the psychological painful condition.

These theses are about the sadness of the poet, inconsecutiveness with the state of his time.

The third chapter deals with he study of technical Criteria for Alienation in Al–Safi poet : Language including study the utterances, structures, Music witch flow in studying meters, rhymes and the imagination of Alienation in his poetry through personification, liter symbolism and technical formation of Al–Safi poetry that is in to two types : poems that are free of introductions, verses which are fitted with the nerve, worry in the poet life.

The Alienation of Al–Safi is positive not negative that has led to his isolation and his remoteness of what was around him of invention that represented in his poetical works including, deep Alienation, that works were clear literature Alienation in all his works.

Generally in each poet, there is an Alienation. This is a truth that can not be passed in any way, so, it is still a secret of the poet himself.